

حتى نهاية القرن السادس الهجري

الدكتور أيمن فؤاد سيد

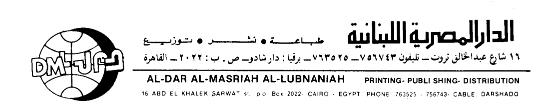


الناشر
الدار المصرية اللبنانية


تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن
حتى نهاية القرن السادس الهجري

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



فهرست الكتاب

صفحة

الباب الثانى
الدعوة الفاطمية فى اليمن فى القرنين الخامس
والسادس الهجرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم يصبح تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى مجالا للبحث العلمى الجاد إلَّا منذ أواخر القرن التاسع عشر عندما نشر هنرى كاسل كاى H.C.Kay كـ . « تاريخ اليمن » لعمارة اليمنى . ومع ذلك فإن الدراسات الخاصة بتاريخ اليمن السياسى والاقتصادى والاجتماعى والدينى ظلَّت قليلة اضطلع بأغلبها المستشرقون وبعض الباحثين العرب يأتى فى مقدمتهم كاى ورودلف شتروطمان وفان آرندونك وتريتون وأوسكار لوفجرين وار .ب . سرجنت وولفرد مادلونج وركس سميث ومحمد عبد الله ماضى وحسين وعباس همدانى وراضى داغفوس . وإذا أخذنا كذلك فى الاعتبار الدراسات التى ظهرت فى العشر سنوات الأخيرة ، سواء بالعربية أو باللغات الأوربية ، فإن فترات قصيرة فقط من تاريخ اليمن الإسلامى هى التى استرعت انتباه الباحثين وتركَّزت حولها دراساتهم .

فقد لقى تاريخ الزيدية اهتمامًا خاصًّا من الباحثين الأوربيين حيث كتب فان آرندونك فى سنة ١٩١٩ أطروحة عن قيام الدولة الزيدية فى اليمن ، كما اهتم شتروطمان ومادلونج بدراسة عقائد الفرقة الزيدية سواء فى بلاد الجيل والديلم أو فى بلاد اليمن وعلاقتها بالمذاهب الكلامية الأخرى وخاصة المعتزلة والإثنى عشرية . كذلك فقد كتب حسين همدانى عدة دراسات ، فى حاجة إلى مراجعة ، عن الدعوة الفاطمية وتاريخ الدولة الصليحية فى اليمن ، وذلك بالإضافة إلى دراسات جزئية عن الفاطميين فى اليمن كتبها صمويل شتيرن وعباس همدانى .

أما تاريخ الدول السُّنِّية فى اليمن حتى أواسط القرن السادس / الثانى عشر فإن تحقيق هنرى كاسل كاى « لتاريخ اليمن » لعمارة وتعليقاته الغنية عليه مازال مصدرًا لا يستغنى عنه فى دراستها . أما الاهتمام بدراسة تاريخ الدول السنية التى تعاقبت على حكم اليمن منذ الفتح الأيوبى فى أواسط القرن السادس فلم يبدأ إلَّا فى فترة متأخرة نسبيًّا عندما نُشِر كتاب « العقود اللؤلؤية » للخَزْرَجى وعندما توفرت المراجع التى تدلُّل على مواضع المخطوطات المتعلِّقة بتاريخ اليمن وأماكن وجودها بعد أن أخْرَجت كتابى « مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى » سنة ١٩٧٤ .

وإذا كانت أغلب هذه الأعمال اختصت بالدراسة قيام وسقوط الدول التى تعاقبت على حكم اليمن ، فإن التنافس والصراع الدينى بين المذاهب المختلفة التى دانت بها هذه الدول ، خلال الفترة الممتدة من نهاية القرن الثالث / التاسع وحتى استيلاء الأيوبيين على الحكم فى اليمن فى أواسط القرن السادس / الثانى عشر ، مازالت بحاجة ماسة إلى دراسة تحليلية اعتمادًا على المصادر الأصلية المتاحة للتعرُّف على أوجه الخلاف بينها وطبيعة العلاقات التى حكمت وجود هذه القوى المتنافسة طوال أكثر من قرنين من الزمن .

ومعروف أن بلاد اليمن ذات طبيعة جغرافية صعبة (نجود وتهائم) ساعدت على قيام دول متنافسة ذات إيديولوجيات مختلفة فى أماكن متفرِّقة منها (صَعْدَة وصَنْعَاء وزَبيد وتعز وذى جِبْلة وعَدَن) وفى فترة زمنية متعاصرة (الزياديون واليُعَافرة – النجاحيون والصليحيون والزريعيون وبنو مهدى بالإضافة إلى الدولة الزيدية) . لذلك فقد اصطلح المؤرخون اليمنيون على تقسيم بلاد اليمن مذهبيًّا إلى قسمين : يمن أسْفَل يغلب عليه مذاهب أهل السنة وخاصة المذهب الشافعى ، ويمن أعلى يغلب عليه المذهب الزيدى الهادوى ، بينما غَلَب المذهب الفاطمى الإسماعيلى لفترة غير قصيرة على أواسط اليمن حول منطقة جبل حَراز .

وأدَّى هذا التقسيم المذهبى إلى تقسيم اليمن إلى كيانات سياسية متميزة .

فقد سيطرت الدول السنية على اليمن الأسفل واتخذت ، على الأخص ، مدينتىْ زَبيد وتَعِز - باستثناء بعض فترات قصيرة - عاصمة لها مثل : دول بنى زياد وبنى نجاح وبنى مهدى وبنى رسول وبنى طاهر . وسيطرت الدولة الزيدية على منطقة اليمن الأعلى واتخذت مدينة صَعْدةَ عاصمة لها فيما عدا بعض فترات الضعف . أما الدولة الصليحية الإسماعيلية والدعوة الطيبية فقد اتخذتا مدينة ذى جِبْلَة وجبل حراز ، على الأخص ، مقرًّا لهما . بينما كانت مدينة صَنْعاء ، لوقوعها فى موقع متوسط فى اليمن ، محل تنافس بين القوى السياسية المختلفة ، تسيطر عليها أحيانًا الدولة السنية مثلما كانت فى زمن اليُعَافِرة والأيوبيين أو الدولة الإسماعيلية مثلما كانت فى زمن الصليحيين وأخيرًا الدولة الزيدية وخاصة فى التاريخ الحديث . فكما هو معروف ، فإن الدولة الزيدية هى أطول الدول الإسلامية حكمًا ، استمرت تحكم اليمن ، باستثناء بعض فترات متقطعة ، أكثر من ألف عام منذ أسَّسَها الإمام الهادى إلى الحق سنة ٨٩٧/٢٨٤ إلى أن سقطت مع قيام الثورة اليمنية سنة ١٩٦٢/١٣٨١ .

* * *

والدراسة التى أقدمها اليوم هى ، قبل كل شىء ، محاولة لدراسة التاريخ الفكرى للدول السنية التى حكمت اليمن قبل وصول الأيوبيين فى أواسط القرن السادس / الثانى عشر للتعرُّف على كيفية انتقال العلم بين أهل اليمن وعمَّن أخذوا وبمن تأثَّروا . وهى كذلك دراسة لتاريخ الدولة الصليحية الإسماعيلية وعلاقتها بالخلافة الفاطمية فى مصر ، مركز الدعوة الإسماعيلية ، وكيف أَخَذَت بنصوص الدعوة وحَفظت تراثها بعد زوال الخلافة الفاطمية فى مصر على يد الأيوبيين السنيين . بالإضافة إلى دراسة للدولة الزيدية وانقساماتها العقائدية وصراعها مع القوى السياسية الأُخرى الموجودة فى اليمن خلال القرنين الخامس والسادس / الحادى عشر والثانى عشر على وجه الخصوص .

والإطار الزمنى لهذه الدراسة يحده تاريخان : ٤٣٩/~~١٧٠٤~~ ١٠٤٧ ، قيام الداعى على بن محمد الصليحى بالدعوة الفاطمية فى اليمن ، و ٦١٤/١٢١٧ ، وفاة الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة . غير أن الفهم الجيد لطبيعة العلاقات التى حكمت القوى المتنافسة فى الفترة موضوع الدراسة لم يكن ممكنًا إلَّا بتوضيح الأحداث التى جَرَت فى اليمن قبل هذا التاريخ ، مما جعلنى أرجع بالدراسة إلى فترة سابقة على ذلك ترجع إلى تأسيس أول دولة مستقلة فى اليمن : دولة بنى زياد سنة ٢٠٤/٨١٩ حتى يمكننا أن نفهم جيدًا الوضع الذى آلت إليه أحوال اليمن فى القرنين الخامس والسادس للهجرة .

واعتمدت فى كتابة هذه الدراسة فى الأساس على المصادر الأصلية : السنية والإسماعيلية والزيدية ، استخرجت منها جميعًا المواد التى تأكدت أنها تعود حقيقة إلى الفترة موضوع الدراسة ، والتى لم يكن ممكنًا لهذا العمل أن يرى النور بدونها .

* * *

وحتى يتَّضح للقارئ الكريم موضوع ومحتويات هذا الكتاب فإنى سأعرض فيما يلى الأقسام التى قسمت إليها هذه الدراسة التى جعلتها فى ثلاثة أبواب . ومدخل فى دراسةِ المصادرِ ونَقْدِها .

خَصَّصْتُ البابَ الأولَ ، وعنوانُه « مَذْهَبُ السنَّةِ فى بلاد اليمن فى القرنين الخامس والسادس للهجرة » ، لدارسةِ المذهبِ السنى الشافعى فى مِنْطَقَة اليمن الأسفلِ وتأثيره على الحياةِ الفكرية خاصةً مع الإشارةِ إلى تاريخ الدول السنية التى حكمت هناك فى تلك الفترة . وجعلتُه فى ثلاثةِ فصول :

الأول – انتشارُ المذْهبِ الشافعى فى اليمن حتى القرن السادس الهجرى دَرَسْتُ فيه مذاهبَ أهلِ السنة السَّائدَةَ هناك قبلَ ظُهُورِ مذهبِ الشافعى وأهمَّ

رجالِ المذهبِ الشافعى فى اليمن والمصنفاتِ التى كان عليها مدارُ العلمِ والتصنيف بينهم فى ذلك الوقت .

الثانى – دخُولُ المذهبِ الأشعرى إلى اليمن . دَرَسْتُ فيه مذهبَ الأشاعرةِ ودخولَهُ إلى اليمن مع الأيوبيين فى أواسط القرن السادس الهجرى وكيف تمَسَّك بِهِ الشافعيةُ هناك وصارُوا أشاعرةً فى الأصول شافعيةً فى الفروع بينما كان بعضُ أهلِ السنة حَنَابِلَةً فى الاعتقاد يكفِّرُون الأشاعرة ، شَافِعِيَّةً فى الفروع . وأشَرْت إلى أَخْذِهم ونَقْلِهم عن كتبِ فقهاءِ الأشاعرة مثل : أبى إسحاق الشيِّرازى وأبى حامد الغَزَالى وإمامِ الحرمين الجُوَيْنى .

الثالث – الحالةُ السياسيةُ فى اليمن فى القرنين الخامس والسادس للهجرة . دَرَسْتُ فيه تنازُع اليمن بين القوى السياسية المختلفة : النَجَاحيين فى زَبيد ، والصُلَيحيين فى صَنعاء وذى جِبْلة ودُعَاةِ الزيدية فى صَعْدَة فى القرن الخامس الهجرى ، وبنى حاتم أصحابِ صنعاء وابن مهدى صاحب زبيد ، وبنى زُرَيْع أصحابِ عدن ، وأئمةِ الزيدية فى صَعْدة ثم الأيوبيين الذين خَلَفُوا الدولَ السنيةَ جميعَهَا فى اليمنِ الأسفلِ فى القرنِ السادسِ الهجرى .

وَعَرَضْتُ لتاريخِ هذه الدولِ إجمالا لأننى أشَرْت إلى تفصيلِ أحوالِ بعْضِهَا فى البابين الثانى والثالث . وتبيَّن لى أنه لم يكُن للمذهب السنى تأثيرٌ على الحياةِ السياسيةِ اللهم إلَّا أنه مذهبُ الدولةِ الرسمى الذى يجْعَلُهَا ترتبطُ إسميًّا بدارِ الخلافةِ فى بغداد . لذلك فإن الحياةَ العقليةَ هى الغالبةُ على الباب الأول .

أما البابُ الثانى وعنوانُه « الدعوةُ الفاطميةُ فى اليمن فى القرنين الخامس والسادس للهجرة » فخَصَّصْتُه لدراسةِ المذهبِ الفاطمى وانتشارهِ فى اليمن الأوسط ونجاحِ دعَاتِه فى إقامَةِ دولةٍ فاطميةٍ فى اليمن تدعو للخلافةِ الفاطميةِ فى مصر ، هى الدولةُ الصليحية وتُشْرِفُ على دعْوَتَى الهندِ وعُمَان ، وجعلتُه فى ثلاثةِ فصول .

الأول - الدعوةُ الفاطميةُ فى اليمن حتى نهايةِ عهدِ الصليحى . درَسْتُ فيه مقدماتِ الدعوةِ الفاطميةِ فى اليمن وإرسالَ الإمامِ المستورِ لداعيتِهِ ابن حَوشَبَ إلى هناك وتفكيرَ الإمامِ المهدى عبد الله فى إقامةِ دولتِهِ فى اليمن وسَبَبَ عدُولِهِ عن ذلك ، وتطورَ الدعوةِ الفاطميةِ فى اليمن بعدَ ابن حَوشَبَ وحتى ظهورِ علىٍّ الصليحى .

وبظهورِ الصليحىِّ وإعلانِ دولَتِهِ بَلَغَت المواجهةُ العباسيةُ الفاطميةُ قِمَّتَهَا فَدَرسْتُ أثَرَ ذلك وأثَر خروج بلاد إفريقية عن طاعةِ الفاطميين فى تأييدهم للصليحيين فى اليمن سواءٌ عن طريق المواجهةِ الحربية المباشرة ، أو عن تحويلِ طريقِ التجارة . ثم عَرَضْتُ للدعوةِ اليمنية وعلاقَتِها بمركز الدعوة الفاطميةِ فى القاهرة ودَوْر كلٍّ من القاضى لَمَك بن مَالِك والداعى المؤيد فى الدين الشيرازى فى تَوْطِيدِ هذه العلاقَةِ وفى نقلِ تراثِ الدعوةِ الفاطميةِ إلى اليمن .

الثانى - الدعوةُ الفاطميةُ فى اليمن بعد وفاةِ الصليحى . دَرَسْتُ فيه حالةَ الدعوةِ فى وقتِ خلفاءِ علىٍّ الصليحى ، المكرمِ أحمد والسيدةِ الحرَّة بنت أحمد ، وكيفيةَ انفصالِ الدعوةِ الدينيةِ عن الرئاسةِ السياسيةِ ، وموقفَ السيدةِ الحرة بنتِ أحمد من رئاسةِ الدعوةِ فى مصر ورفْعَهَا إلى مراتبِ الحُجَج ، وتأييدَها لدعوةِ الإمامِ المستعلى فى مصر بعد انقسامِ الدعوةِ فى أعقابِ وفاة المستنصر إلى مستعليةٍ ونزاريةٍ .

كذلك أشَرْتُ إلى تفويض رئاسةِ الدعوةِ الفاطميةِ فى مصر دعوةَ اليمن الإشراف على دَعْوَتَى الهند وعُمَان مما ساعدَ على نقلِ تراثِ الدعوةِ الفاطميةِ بعد ذلك إلى الهند .

الثالث - الدعوةُ الطيبية . دَرَسْتُ فيه حالةَ الدعوةِ الفاطميةِ فى مصر فى أعقابِ وفاةِ الخليفة الآمرِ بأحكام الله . وناقَشْتُ الوجودَ التاريخىَّ للإمام الطيب بن الآمر واعترافَ دعوةِ اليمنِ به وعَدَمَ اعترافِهَا بإمامةِ الخليفةِ الحافظ

لدين الله ، ابن عم الآمر ، الذى طَلَب إلى الزريعيين فى عَدَن أن يدعوا إليه ، ليحتفظ بطريق تجارة الهند ، فقاموا بالدعوة له وتمكَّنوا من القضاءِ على دولة الصليحيين بعد وفاةِ السيدةِ الحرة . ودَرَسْتُ كذلكَ كيفيةَ تحولِ الدعوةِ الطيبية إلى دور السَّتْر ومَرَاتبَ هذه الدعوةِ الجديدةِ وأدَبَهَا وبمَ تأثَّرت ، وعلاقةَ يهودِ اليمنِ بالدعوةِ الفاطمية ومدَى تأثُّرِهم بها .

أما البابُ الثالث فعنوانه « دولةُ اليمن الزيدية فى القرنين الخامس والسادس للهجرة » خَصَّصتُه لدراسةِ المذهبِ الزيدى وانتشارِه فى اليمن الأعلى ، وجَعَلْتُه فى فَصْلَيْن .

الأول – نشاطُ الزيدية فى اليمنِ حتى نهايةِ القرن الخامس الهجرى ، دَرَسْتُ فيه بإيجاز نشأةَ المذهبِ الزيدى وأهمَّ فِرقِه وصلَتَه بالمذاهبِ الفقهيةِ والكلاميةِ الأخرى ، ونَجَاحَ الزيديةِ فى تحقيقِ أطماعِهم السياسيةِ أولا عندما أسَّسَ الحسنُ ابن زَيْد أولَ دولةٍ فى بلادِ الجيل والديلم فى سنة ٢٥٠ هـ ، وثانيا بعدما نَجَحَ الإمامُ الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين فى تأسيسِ الدولةِ الزيديةِ فى اليمن فى أواخرِ القرنِ الثالث الهجرى ، وتطُّورَ مذهبِ الإمامِ زيدٍ فى الفروع على أيدى أئمة الزيدية سواء فى بلاد الجيل والديلم ويمثلها الإمام الناصرُ الأطْرُوشُ والإمام القاسمُ الرَّسِّى أو فى بلاد اليمن التى سادَ فيها مذهبُ الهادى إلى الحق . كذلك أشَرْتُ إلى خلفاءِ الإمام الهادى حتى زَمَن الحسين بن القاسم العِيَانى الذى اعتَقَدَت فيه الفرقةُ الحسينية أنه المهدى وأنه لم يمت وينتظرونَ عَوْدَتَه .

وَدَرَسْتُ كذلك افتراقَ زيدية اليمن فى زمن الإمام القاسمِ العيانى إلى فرقتين : مُخْتَرِعَةٍ ومُطَرَّفيةٍ . ولعلَّ هذه الدراسةَ هى أولُ دراسةٍ بالعربية عن فرقةِ المطرفيةِ الزيدية الطبيعية التى قامت فى اليمن واستمرت حتى قُضِى عليها فى أوائلِ القرن السابع الهجرى .

وبعد ذلك أشَرْتُ إلى علاقة المذهب الزيدى بمذهب الاعتزال ودخول تراثِ

المعتزلةِ إلى اليمن على يدِ القاضى جعفر بن أحمدَ بن عبد السلام الذى قَدِمَ به من العراق ليُنَاظِرَ به الفرقَة المطرفية ، وكيف حَافَظَ علماءُ اليمنِ على هذا التراثِ الكبير الذى ضَاعَ وتفَرَّق على أيدى أهل السنة .

الثانى - الدولةُ الزيديةُ الثانيةُ فى اليمن . دَرَسْتُ فيه حالةَ الدعوةِ الزيديةِ فى القرنِ الخامسِ الهجرى وكيف لم تتوفَّر شروطُ الإمامةِ فى أصحاب الدعوةِ وقيامَ الدعاةِ والمحتسبين والمقتصدين بأمر الدعوةِ الزيدية وصراعَهُم مع الصليحيين حتى بويع الإمامُ المتوكلُ على الله أحمدُ بن سليمان إمامًا للزيدية وتأسيسَهُ الدولةَ الزيديةَ الثانيةَ فى اليمن . ودَرَسْتُ أيضًا موقفَهُ وخَلَفَهُ الإمامَ المنصورَ بالله عبدَ الله بن حَمْزةَ من الفرقة المطرفية وكيف قَضَى عليها ، ورسالةَ ابن النسَّاخ ، أحدِ زعمائِهم ، إلى خليفةِ بغداد .

أما مصادرُ الكتاب فخَصَّصْت لها بحثًا مفصلاً ، فى أولِ الكتاب ، دَرَسْتُ أهميتَها وأولوياتِها وكيفَ أخَذَ بعضُها عن بعضٍ وقيمتَها للموضوعِ الذى درسته .

وكما انقسم حُكْمُ اليمن بين الدولِ السنية والفاطمية والزيدية لاحَظْتُ أن مصَادِرَ التاريخِ اليمنى تنقسمُ أيضًا أقسامًا ثلاثة : مصادرَ سنيةً ، ومصادر فاطميةً ، ومصادرَ زيديةً .

وقليلًا ما تتعرضُ هذه المصادرُ إلى العلاقة بين هذه المذاهب ودُوَلِها فى اليمن وموقفِ بعْضِهَا من بعض إلَّا فى حالاتِ الحروبِ الدائرةِ بينَها . كما أن المصادرَ الزيديةَ لا تفصل بين أئمةِ الزيديةِ فى الجيل والديلم وأئمتِهم فى اليمن بل تَعْرِضُ لهم فى تاريخٍ متَّصِلٍ .

* * *

ولعل أهمَّ ما يمكنُ أن أشيرَ إليهِ بعدَ كمالِ هذه الدراسة هو أنَّ المذهبَ السنِّى لم يكن لهُ تأثيرٌ كبيرٌ على الحياةِ السياسيةِ فى اليمن سوَى كونهِ المذهبَ الرسْمِىَّ للدول السنيةِ ، أما بالنسبةِ للحياةِ العقلية فإن تأثيرَهُ كبيرٌ فقد أُخِذَ المذهبُ الشافعى طبقة عن طبقة فى اليمن وصنَّفَ علماءُ اليمن فى أصول المذهب وفروعه وتأثَّروا بكتبِ المذهبِ الأخرى المؤلَّفةِ خارجَ اليمن ، بعدَ أن كان الغالبَ عليهم قبل دخولِ المذهب الشافعى إليهم مذهبَا مالكٍ وأبى حنيفة .

أما المذهبُ الفاطمى فكان وضْعُهُ مختلفًا فقد ارتبطَت الدولةُ بالدعوةِ وأصبح من الصعبِ الفصلُ بين تاريخِها الدينى وتاريخِها السياسى حتى تميَّزَت الدعوةُ فى دورِ الستر بكثَرةِ الإنتاجِ العقلى الذى كانت تُحافظُ عليه بقوةٍ فى دَوْرِ الظهورِ والقوة فنَرَى الداعى المؤيدَ فى الدينِ الشيرازى عندما شعَر بضعفِ الخليفةِ الفاطمى المستنصر وبدايةِ ظهورِ نفوذ الوزراء يطلب إلى داعى اليمن لَمَك بن مالِك نقْلَ كتب الدعوةِ إلى هناك .

وإذا كان الفاطميون قد نَجَحُوا فى إقامةِ خلافةٍ تنافسُ الخلافةَ العباسيةَ السنية ، بل حاوَلَت القضاءَ عليها ، فإن الزيديين لم يحاولوا إقامةَ خلافة بل رَضُوا بتحقيق أطماعِهم السياسية فى شكلِ دولةٍ صغيرة لها نظُمُها وعقائدُهَا الخاصةُ أولًا فى بلاد الجيل والديلم ثم فى اليمن كما شاركوا الخلافَةَ العباسية فى الحُكْم عن طريق البويهيين لفترةٍ غيرِ قليلةٍ من الزمن .

وكان تأثيرُ المذهبِ الزيدى على الحياة العقليةِ كبيرًا ، وشارَك أئمتُهم أنفُسُهُم فى ذلك فقد كان من شروطِ الإمامةِ عندَهُم أن يكون الإمامُ على ما يقتضيه مذهب الإمامة من العلم ، فوَضَعَ أئمتُهُم وعلماؤُهم عددًا كبيرًا من المصنفات فى جميعِ الفروع . واشتغلوا بتثبيت دعْوَتِهم ومُنَاظرةِ الفِرَقِ المنْشَقَّةِ عليهم .

* * *

وبعد ، فأرجو أن أكُونَ قد وفِّقْتُ فيما قَصَدْتُ إليه ، وأن أكونَ قد ساهَمْتُ بنصيبٍ متواضع فى دراسة تاريخ اليمن الذى شُغِفْتُ به فترةً من الزمان ووَضَعْتُ كتابًا فى « مصَادِره » دَفَعَنى إلى دراسةِ هذا الموضوع .

ولا يفوتُنى فى هذاالمَوْضِعِ أن أشكرَ كلَّ من قَدَّمَ لى عوناً أثناءَ إعداد هذه الدراسة خاصةً الأستاذ الدكتور عباس همدانى الأستاذَ بجامعة وسكنسون فى الولايات المتحدة الأمريكية الذى أمدَّنى بكثيرٍ من المصادرِ الفاطميةِ المحفوظةِ فى خزانَتِه ، والأستاذ الدكتور ولفرد مادلُونج الأستاذ بجامعة أكسفورد على ما أمدَّنى به من أبحاثٍ عن دراساته فى تاريخ الزيدية وفِرَقها .

أما أستاذى الجليلُ الدكتور حسن أحمد محمود فأشكُر لهُ عنايتَهُ واهتمَامَهُ بأمر هذا الكتاب ، وما قَدَّمَهُ لى من توجيهٍ ونُصْحٍ أفَدْتُ منهما الكثيرَ أثناءَ إعَدادِه للطبع . كما أتوجهُ بخالصِ شكرى إلى أعضاء لجنة المناقشة الدكتور على حسنى الخربوطلى والدكتور محمد أمين صالح اللذين استفدت كثيرًا من توجيهاتهم وأنا أعد الكتاب للطبع .

والحمد لله أولا وآخرًا ، وهو من وراء القصد .

القاهرة : ١٦ / ٤ / ١٩٨٧ . أيمن فؤاد سيد

مصادر الكتاب
دراسة نقدية

اتَّفق المؤرخون على أن المصادر هى الأساس الأول الذى تستند عليه الدارسات التاريخية ، فالتاريخُ ، كما قال Seignobos ، يُبْنَى على الوثائق وحيث لا تُوجَدُ وثائق فلا تاريخ ، وعلى ذلك فمرحلة التأليف التاريخى لا تكون إلَّا بعد توفُّر المصادر الأصلية ودراستها ونشرها .

إن دراسة القيمة التاريخية للمصادر التى اعتَمدْتُ عليها فى كتابة هذه الرسالة ، أمرٌ ضرورى ، لا سيما أننا لا نملك دراسة علمية دقيقة لهذه الأصول التاريخية وكيف أخَذَ بعضُها عن بعض . فدراسة كهذه تيَسِّر لنا فهم اتجاهات المؤرخين وتصنيف المصادر على أساس الأسبقية .

وتاريخ اليمن فى الفترة التى يعالجُها هذا البحث ، لم يُعْرض بصفة متكاملة من قبل . فلم تُنْشر أهم المصادر التى تؤرخ لهذه الفترة ، ولم تُدْرَس دراسة تحليلية نقدية تُعين على ترتيب أولوياتها وأهميتها .

وقد قُمْت منذ أكثر من عشر سنوات بوضع كتاب عن المصادر التى أرَّخت لليمن فى العصر الإسلامى [1] ، عرضت فيه هذه المصادر مع التدليل على أماكن المخطوط منها ، وتاريخ ومكان المطبوع منها . ورغم إقبال المتخصصين

---

(1) أيمن فؤاد سيد : مَصادِرُ تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى (مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، سلسلة نصوص وترجمات – المجلد ٧ ، ١٩٧٤) .

على هذا العمل والإشادة به كدليل يُرْشد إلى مواضع الكتب ويعَرِّف بها وبقيمتها[١] ، فإن بعض المخطوطات التى أشَرْت إليها لم تُتح لى فرصة مراجعتها بدقة والاستفادة منها إلَّا أثناء إعدادى هذه الدراسة ، وأستطيع الآن أن أقدم عنها دراسة تحليلية نقدية شاملة .

ومصادر التاريخ اليمنى تنقسم ثلاثة أقسام تبعًا لطبيعة الدول التى تعاقبت على حكمها ومذاهبها . فهى مصادر سنية ، ومصادر إسماعيلية فاطمية ، ومصادر زيدية .

١- مصادر السُّنة الشافعيّة

أهم مصادر هذا القسم كتب التراجم والطبقات ، فهى السجل الحافل للتاريخ الفكرى والاجتماعى للأمم والشعوب . وتعدَّدَت طرق التأليف فى هذا الفن ، وعرف علماءُ اليمن بعض هذه الطرق واتَّبَعُوها فى تآليفهم .

ومن أوائل هذه المؤلفات كـ . « طبقات فقهاء اليمن » لعمر بن على بن سَمُرَة الجَعْدِى المتوفى بعد سنة ٥٨٦ / ١١٩٠ [٢] . وهو من أقدم كتب الطبقات اليمنية يروى لنا فيه مؤلفه قصة دخول المذهب الشافعى إلى اليمن وانتشاره فيها ، وخصوصًا فيما يصفه المؤرخون باليمن الأسفل ، ويقَدِّم لنا نتفًا متفرقة عن الكتب التى كانت مرجع القوم فى دراستهم العلمية ، قبل دخول مصنفات الشافعية ويَصِف لنا الحياة العلمية والعقلية التى كانت سائدة عَصْرَئذ فى هذه البلاد .

---

[١] شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون (بيروت ١٩٧٥ و ١٩٧٩) ١ : ٢٦ و ٢٧ ، ٢ : ٣١٣ ونقل كل كتابى تقريبا فى الجزء الثانى ص ٣١٣ - ٣٦١ ، سامى الصقار : « كتاب السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن لابن حاتم اليامى » ، مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض ٦ (١٩٧٩) ، ٣٩٧ - ٣٩٨ .

[٢] راجع أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١١١ - ١١٢ .

وقد قَصَد المؤلف بتصنيفه « أن يَعْرِفَ كلُّ فقيه يمنى حال اليمن منذ رسول الله ﷺ ، ووجه اتصال الفقه به ، إلى وقته هو »[1] ورَسَم لنفسه منهجًا تاريخيا يتضَمَّن ذكر كل من تولَّى الأحكام والقضاء والفقه فى هذه الفترة مع إيراد ما أمكنه الحصول عليه من أخبارهم وحياتهم ومصنفاتهم وأهم الحوادث التاريخية المتصلة بذلك[2] .

وهذا الكتاب هو الأساس الذى اعتمد عليه المؤرخون المتأخرون ، سواء فى اليمن أو خارجه ، لمعرفة انتشار المذهب الشافعى فى اليمن وطبقات علمائه وشيوخه ، والكتب التى كان عليها مدار العلم والتصنيف بين أتباعه . فاعتبر الجَنَدى المتوفى سنة ٧٢٣ / ١٣٣٢ كتاب ابن سمرة أساسًا لكتابه « السلوك » وذكر أنه شيخه فى جمع مادة كتابه[3] . وعدَّه ابن الدَّيْبَع الشَّيْبَانى المتوفى سنة ٩٤٤ / ١٥٣٧ « ذو السبق والابتداء فيمن أَلَّف فى تاريخ اليمن وفضائله »[4] ، وكان الأساس الذى نقل عنه أيضا اليافعى صاحب « مرآة الجنان » ما علَّقه من تاريخ اليمن[5] ، وبامخرمة صاحب « تاريخ ثغر عدن » أخبار الشافعية فى هذا الثغر[6] .

أما كتاب « السلوك فى طبقات العلماء والملوك » لبهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدِى المتوفى سنة ٧٣٢ /١٣٣٢ فكان مصدرًا أساسيًّا

---

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ١٤٢ .
(٢) فؤاد سيد : مقدمة طبقات ابن سمرة صفحة هـ .
(٣) الجندى : السلوك فى طبقات العلماء والملوك (مخطوطة كوبريلى رقم ١١٠٧) . ورقة ٢ و .
(٤) ابن الديبع : قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون (تحقيق محمد بن على الأكوع - القاهرة) ١٦ - ١٧ .
(٥) اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان (الهند ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ) .
(٦) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن (نشرة أوسكار لوفجرين - ليدن ١٩٣٦) .

لى فى الباب الأول حيث أضاف فوائد كثيرة إلى ما ذَكَره ابن سمرة ، وأفادنى فى تحديد الكثير من مواضع هِجَر العلم فى اليمن ، وذكر أسماء الكثير من الكتب التى انتشرت بين فقهاء الشافعية هناك .

وكان كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » لتاج الدين عبد الوهاب بن على السُّبْكِى المتوفى سنة ٧٧١ / ١٣٦٩ مصدراً كبير الأهمية بالنسبة لأحكامه العامة على تطور الفقه الشافعى فى اليمن ، وإن اعتمد فى ذلك على كتاب ابن سَمُرة ، مع ملاحظة أن كثيرًا من الأخبار التى أوردها السبكى فى « طبقات الشافعية الكبرى » عن شافعية اليمن ، نقلًا عن طبقات ابن سمرة ، أَخَذَها مشافهة عن الحافظ عفيف الدين عبد الله بن محمد المَطَرى ، كما يذكر ذلك فى بعض المواضع ، وفى بعضها الآخر يصَرِّح أنه أخذها عن المَطَرى الذى نقلها عن الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبى عن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد القَسْطَلَّانى المتوفى سنة ٦٨٦ / ١٢٨٧ فيما علَّقه من تاريخ اليمن [١] .

وتميَّز كتاب « طبقات الشافعية » لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإِسْنَوى المتوفى سنة ٧٧٢ / ١٣٧٠ - معاصر السبكى - بذكر مؤلفات علماء الشافعية بالإضافة إلى أخبارهم وتراجمهم .

هذه هى الكتب التى كان عليها اعتمادى فى الباب الأول ، أما المصادر الأخرى فقد اعتمدت على هذه الكتب بالنقل والتلخيص ، ككتاب « تاريخ ثغر عدن » لبامخرمة المتوفى سنة ٩٤٧ / ١٥٤٠ .

أما كتابا « طبقات الزيدية » و « أنباء الزمن » ليحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ / ١٦٨٨ - واللذان يعدَّان من أهم مصادر الباب الثالث - فقد

---

[١] السبكى : طبقات الشافعية الكبرى : ٧ : ٨٧ .

قدّما لنا آراء سديدة فيما يخصّ اختلاف الشافعية فى اليمن الأسفل فى القرن السادس الهجرى ، ودخول مذهب الأشعرى إلى اليمن مع الأيوبيين وميل الشافعية إليه .

أما المؤلفون المتأخّرون من أمثال الخَزْرَجى وابن الدَّيْبَع وملوك بنى رسول فإن مؤلَّفاتهم تمثِّل قيمة للفترة التى عاشوا فيها . أما معلوماتهم عن العهود السابقة عليهم فقد اعتمدوا فيه بالنقل والتلخيص على مؤرخين معاصرين لهذه العهود وَصَلَت إلينا مؤلفاتهم ، لذلك لم أكثر من الأخذ عنهم . وهذا الوضع يختلف كثيرًا عن مؤرخى مصر فى نفس هذه الفترة أمثال النُّوَيْرى والمَقْريزى وابن تَغْرِى بَرْدِى فإن كتاباتهم عن العهود السابقة عليهم تعَدّ من الأهمية بمكان حيث إن المصادر التى نقلوا عنها مفقودة تقريبًا اليوم .

٢ـ المصادر الفاطمية

لا يستطيع الباحث أن يعتمد فى دراسة تاريخ الفاطميين فى اليمن على المصادر اليمنية وحدها ، فسيجد نفسه فى حاجة إلى استكمال كثير من الأحداث والتفصيلات عن طريق المصادر الفاطمية العامة والمصادر المصرية والمصادر المكية . فقد ارتبطت الدعوة الفاطمية فى اليمن ارتباطًا مباشرًا بمركز الدعوة الفاطمية سواء فى الكوفة أو فى سَلَمْية أو فى المهدية أو فى القاهرة .

ففيما يخص التغلغل الفاطمى الأول فى اليمن زمن المنصور بن حَوْشَب وعلى ابن الفَضْل ، أواخر القرن الثالث الهجرى ، تضطرب المصادر اليمنية عند سرد أحداث هذه الفترة ، فلم يفَرِّق مؤرخو اليمن بين الإسماعيلية والقرامطة واعتبروهم كلهم قرامطة . بينما تمدّنا المصادر الفاطمية بتفصيلات كثيرة عن أحداث هذ الفترة نجدها فى « رسالة افتتاح الدعوة » للقاضى النعمان بن حيُّون المتوفى سنة ٣٦٣ / ٩٧٤ الذى يَعْرِض للمراحل المتتالية للدعوة الفاطمية

المبكرة والظروف السياسية والاجتماعية التى أدَّت إلى وصول أبى القاسم المنصور بن حَوْشَب إلى اليمن سنة ٢٦٨ / ٨٨٣ ونجاحه فى إنشاء أول دولة فاطمية فى التاريخ ممَّا أدَّى إلى خروج الدعوة من دور الستر إلى دور الظهور وإلى قيام خلافة الفاطميين نفسها فى إفريقية بعد ذلك بنحو ربع قرن فى عام ٢٩٦ / ٩٠٩ . وعَرَض القاضى النعمان للأسباب السياسية والاجتماعية التى جعلت الدعوة الفاطمية تستقر فى اليمن ، وإن لم تستطع الوصول إلى مرحلة إنشاء دولة قوية تستطيع مواجهة العباسيين وتُعْلن عن ظهور الخلافة الشيعية ، الأمر الذى جَعَل المهدى يُعْرِض عن قيام دولته فى اليمن ويُؤْثِر قيامها فى إفريقية .

وتوضح لنا سيرة الحاجب جعفر بن على [١] سبب انشقاق فيروز داعى المهدى الرئيسى عنه ، واتجاهه إلى اليمن عندما علم بنِيَّة المهدى فى عدم قَصْد اليمن . وهى تصف لنا بدقة رحلة المهدى من سلمية ووصوله إلى مصر ثم اتجاهه إلى إفريقية وانشقاق الدعاة عليه ، يقول الدكتور محمد كامل حسين « ... ويَغْلِب على ظنِّى أنهم هم القرامطة الذين خرجوا عليه » [٢] .

وكتب محمد اليمانى ، راوى هذه السيرة الذى لا نعرف عن شخصيته أى شىء ، هذه المذكرات فى أوائل خلافة العزيز بالله الفاطمى (٣٦٥ – ٣٨٦ هـ) وذكر فيها كتاب « افتتاح الدعوة » للقاضى النعمان [٣] ، وهو مُؤَلَّف بعد سنة ٣٤٦ / ٩٥٧ .

وأول مصدر يمنى يحدِّثنا عن الدعوة الفاطمية فى اليمن هو كتاب « كَشْف

---

[١] هى ترجمة للمهدى عبد الله كتبها حاجبه جعفر ورواها محمد اليمانى فى شكل مذكرات تروى حياة المهدى فى سَلَمْيَة ومسيره إلى مصر ومطاردته عبر طرابلس الغرب حتى سجلماسة ، ثم قصده لمدينة رقادة فى إفريقية .

[٢] مقدمة ديوان المؤيد فى الدين الشيرازى (القاهرة ١٩٤٩) ٨ .

[٣] محمد اليمانى : سيرة الحاجب جعفر بن على ، نَشَرَها إيفانوف فى مجلة كلية الآداب – الجامعة المصرية ٤ (١٩٣٦) ١٢٥ .

أسرار الباطنية » لأبى عبد الله محمد بن مَالِك بن أبى القَبَائِل الحَمَّادِى ، أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة فى القرن الخامس الهجرى [١] . ويُعَدُّ كتابه مصدرًا بالغ الأهمية لتاريخ الحركة الفاطمية الصليحية فى اليمن نظرًا لأنه معاصر لهم ودَخل مذهبهم يتعرَّف عليه ، يقول : « ... أنى كنت أسمع ما يُقَال عن هذا الرجل الصُلَيْحى ... فرأيت أن أدخل فى مذهبه لأتيقَّن صِدْق ما قيل فيه من كذبه ، ولأطَّلع على سرائره وكتبه . فلما تصفَّحْت جميع ما فيها وعرفت معانيها ، رأيت أن أَبْرْهِن على ذلك لِيَعْلَم المسلمون عُمْدَة مقالته ، وأكشف لهم عن كفره وضلالته نصيحة لله وللمسلمين ، وتحذيرًا مما يحاول بغض هذا الدين ، والله موهن كيد الكافرين » [٢] . فلما تحقَّق له فساد مذهبهم رجع عنه وعمل هذه الرسالة التى يخبر فيها بأصل مذهبهم ويبين عَوَارَهم ويحذر من الاغترار بهم [٣] . وشخصية ابن أبى القبائل غير معروفة فى كتب التراجم والطبقات اليمنية ، ويرَجَّح أنه أخو الداعى لَمَك بن مَالِك الحَمَّادى [٤] .

وترجع أهمية كتاب ابن أبى القبائل إلى أنه يصف لنا حالة بلاد اليمن من الناحية الدينية قبل قيام الصليحى ، مع إيراد صورة واضحة لحالة الدعوة الفاطمية فى اليمن وأحوال الدعاة بعد وفاة منصور اليمن . ونظرًا لمعاصرة ابن أبى القبائل للأحداث التى يتناولها فإن التاريخ الذى أثبته لقيام على الصُلَيْحِى بدعوته فى جبل مَسَار وهو سنة ٤٣٩ / ١٠٤٧ هو التاريخ الصحيح لهذه الثورة [٥] .

---

[١] الجندى : السلوك ١٦٥ .
[٢] ابن أبى القبائل : كشف أسرار الباطنية ١٩٢ .
[٣] الجندى : السلوك ١٦٥ .
[٤] فؤاد سيد : طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة ٢٣٤ هـ ٣ .
[٥] فى بعض المصادر أن ثورة على الصليحى كانت سنة ٤٢٩ هـ .

وحذَّر ابن أبي القبائل فى نهاية كتابه المسلمين من « مُقَارَبة الصليحى ومُخَالَطَته ... لأنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويُضِلُّون من رَكَن إليهم »[١] .

ويبدو أن ابن أبي القبائل لم يُدْرِك آخر عصر الصليحى ، وإلَّا كان حدَّثنا عن رحلته إلى مكة وصلته بآل نجاح السنيين ، ثم مصرعه فى سنة ٤٥٩ / ١٠٦٦ .

واعتمد على ابن أبي القبائل المؤرخ بهاء الدين الجَنَدِى المتوفى سنة ٧٣٢ / ١٣٣٢ فنقل نَصَّ كتابه تقريبًا فى الفصل الذى عَقَده فى كتابه « السلوك فى طبقات العلماء والملوك » عن أخبار القرامطة فى اليمن[٢] .

أما أهم المصادر المعاصرة لهذه الفترة ، والتى تمدنا بمعلومات غزيرة عن الجزيرة اليمنية وعلاقتها بالخلافة الفاطمية فى مصر فمجموعة « السجلات المستنصرية » وهى عبارة عن ستة وستين سجلًا صادرة عن ديوان الخليفة المستنصر بالله الفاطمى إلى دعاته بجزيرة اليمن . وتُعَدّ وثيقة كبيرة الأهمية لفهم العلاقة بين رئاسة الدعوة الفاطمية فى القاهرة وإحدى جزر الدعوة . وهى توضّح لنا ما كان يتمتع به اليمن الأوسط من قوة تحت حكم الصليحيين ، وتُعْطى انطباعًا بأن رئاسة الدعوة فى القاهرة كانت تُصَدِّق فقط على ما يراه الصليحيون فيما يخصّ دعوتى الهند وعُمَان اللتين كان يشرف عليها الصليحيون . ولكن يجب أن نعلم أن كثيرًا من هذه القرارات كان يُتَّفَق عليها شفويًا بين الرسل الذين كانوا دائمى السفر بين بلاط الإمام الفاطمى وبلاط الصليحيين وكانت السجلات تأتى فقط لتأكيد هذه القرارات بطريقة رسمية .

---

(١) ابن أبي القبائل : كشف أسرار الباطنية ٢٢٠ .
(٢) نشر هذا القسم من كتاب الجندى هنرى كاسل كاى مع تاريخ اليمن لعمارة (لندن ١٨٨٢) ، ثم أعاد نشره حسن سليمان محمود فى القاهرة سنة ١٩٥٧ .

وتُلقى هذه السجلات أضواء هامة على الفترة المتأخرة من حكم الخليفة المستنصر بالله الطويل (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ، فنجد بها معلومات هامة عن الأحداث الداخلية فى مصر وفى البلاط الفاطمى ، وأحيانًا فى خارج مصر مثل دعوة المعز بن باديس للعباسيين فى إفريقية [١] .

ونجد أن السجلات المكتوبة بعد سنة ٤٦٧ / ١٠٧٥ تذكر أمير الجيوش بَدْرًا الجمالى بأعلى الألقاب [٢] وقد وَصَل أمير الجيوش إلى مصر فى هذه السنة بعد أن استنجد به الخليفة المستنصر فى أعقاب الشدة العظمى والصراع بين الأتراك والسودان ، ولم يلبث أن حلَّ محل الداعى المؤيد فى الدين هبة الله الشِّيرازِى فى رئاسة الدعوة فى مصر بعد وفاته فى سنة ٤٧٠ / ١٠٧٧ .

وإذا كنَّا نجد فى السجلات المستنصرية بعض إشارات إلى ما كان يجرى فى مصر من أحداث ، فإننا لا نكاد نَظْفر فى المصادر المصرية بأية تفاصيل عن ما كان يجرى فى البلاط الفاطمى بخصوص دعوة اليمن .

ونجد فى هذه المجموعة رسائل من المستنصر إلى الصليحى مؤرَّخة فى سنة ٤٤٥ / ١٠٥٣ وهذا هو الوقت الذى دَعَّم فيه الصليحى سلطانه فى اليمن وبدأ فيه خروج إفريقية على الفاطميين فى زمن المعز بن باديس .

وباكتشاف هذه الوثائق أمكننا تحديد تاريخ وفاة على الصليحى فلا يتْرُكُ لنا السجلان رقم ٤٠ و ٦٠ أدْنَى شك فى أن الصليحى قتل عام ٤٥٩ هـ (١٠٦٧ م) .

ومن الممكن أن تكون هذه السجلات أحد مصادر عماد الدين إدريس المتوفى سنة ٨٧٢ / ١٤٦٧ فى الجزء السابع من كتاب « عيون الأخبار » حيث

---

(١) السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٥) .

(٢) Hamdani, H. « The letters of al-Mostancir », *BSOS* VII (1933), p. 308 .

اقتبس السجلات رقم ٥ و ١٤ و ٣٥ و ٥٠ بكاملها ، ورقم ٧ بصورة غير تامة . ولكن لا شك أنه كانت لديه مصادر أخرى غير تلك المجموعة ، أو أن هذه المجموعة ناقصة ، حيث أورد سجلات كاملة غير موجودة فى هذه المجموعة .

وإذا كانت السجلات المستنصرية تمثّل مجموعة وثائق من جانب واحد فإننا نملك أيضًا بعض مكاتبات الملك المكرم أحمد بن على الصليحى إلى الإمام المستنصر بالله الفاطمى كَتَبها أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد المعروف بابن القُمّ المتوفى سنة٤٨٢ / ١٠٨٩ وعنوانها « مجموعة رسائل الشاعر المنشىء حسين بن على القمى » وتوجد مخطوطتها بمكتبة الدكتور عباس همدانى الأستاذ بجامعة Milwaukea Wisconsin بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تَفَضَّل وأرسل إلَىَّ مصورتها .

ويُعدّ كتاب « تاريخ اليمن » المسمى « المفيد فى تاريخ صنعاء وزبيد » لنجم الدين أبى محمد عمارة بن أبى الحسن الحَكَمِى اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ / ١١٧٤ [1] من أوائل كتب التاريخ اليمنية التى تناولت تاريخ الدولة الصليحية وعلاقتها بالدول السنية الأخرى فى اليمن وخاصة النجاحيين ، وكان الأساس الذى اعتمد عليه فيما بعد كل من أرَّخ لهاتين الدولتين [2] . ونَقَل عمارة فى تاريخه أخبارًا كثيرة من كتاب فُقدِ اليوم للأسف هو « المفيد فى تاريخ زبيد » لجَيَّاش بن نَجَاح المتوفى سنة ٤٩٨ / ١١٠٥ ويُرْجع بامخرمة فقد هذا الكتاب

---

[1] راجع ، عمارة اليمنى : النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية ، أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١٠٨ – ١١١ وما ذكر من مصادر ومراجع .

[2] نقل ابن خلكان أخبار الصليحى عن عمارة ، وأخذ عن ابن خلكان كل من ابن أيبك الداودارى : كنز الدرر ٦ : ٤١٤ – ٤٢٠ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ونقل يحيى بن الحسين مباشرة عن عمارة ، أما الفاسى صاحب « العقد الثمين » فنقل أخبار الصليحى عن عمارة وابن خلكان وصاحب مرآة الزمان . بينما نقل ابن الديبع عن الخزرجى الذى نقل عن عمارة ، أما بامخرمة فقد نقل أخبار الصليحى عن طريق الجُنَدى وهو الآخر ينقل عن عمارة .

إلى أنه « كَشَفَ أنساب عدَّة من الناس كانوا يعتزون إلى العرب فحكى عنهم غير ذلك ، فبالغوا فى إعدامه و لم يسمعوا منه بنسخة إلَّا اشتروها وأعدموها فلذلك قلَّ وجوده » [١] .

وكتب عمارة كتابه بعد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة [٢] أى بعد أن استقر فى مصر بثلاث سنوات ، واختلف المؤرخون فى دخوله مذهب الفاطميين ، فرغم أنه قُتِل فى محاولة إعادة خلافة الفاطميين سنة ٥٦٩ / ١١٧٤ وله القصيدة الشهيرة التى نعى فيها مُلْك الفواطم ، فيغلب على الظن أنه مات على السُّنَّة [٣] ، يقول القلقشندى : « وعمارة هذا لم يكن على معتقد الشيعة ، بل فقيهًا شافعيًا قدم مصر برسالة عن القاسم بن هاشم بن فُلَيْتَة ، أمير مكة ، إلى الفائز أحد خلفائهم فى سنة ٥٥٠ فى وزارة الصالح طلائع بن رُزِّيك [٤] » .

ومن الغريب أن عمارة اليمنى على قربه من الأحداث التى أرَّخ لها قد وَقَع فى كثير من الأخطاء خاصة فى تحديد سنة وفاة على الصليحى وابنه المكرم أحمد التى ذكر أنه نقلها من مفيد جَيَّاش ، وهو مشارك فى هذه الأحداث ! فقد جعل عمارة وفاة على الصليحى فى سنة ٤٧٣ هـ ووفاة ابنه المكرم أحمد فى سنة ٤٨٤ هـ ، بينما تسلسل الأحداث يقتضى أن تكون فى سنة ٤٥٩ و ٤٧٧ هـ على التوالى ، فلا تترك لنا « السجلات المستنصرية » أى شك فى أن وفاتيهما كانتا فى هذه السنوات ، وقد وَقَع فى هذا الخطأ كل من نقل عن عمارة .

ويبدو أن عمارة لم يهتم بذكر جميع الشخصيات التى توالت على حكم

---

[١] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٤٧ .

[٢] عمارة : تاريخ اليمن ١٢٧ .

[٣] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٧٠ .

[٤] القلقشندى : صبح الأعشى (القاهرة ١٩٣٨) ٣ : ٥٢٨ .

الصليحيين ، فلا نجده يشير إلى الأمير المكرم الصغير عبد المستنصر ابن الملك المكرم أحمد من زوجته السيدة الحرة ، الذى تولى الأمر تحت إشراف والدته بعد وفاة المكرم سنة ٤٧٧ هـ .

وتَفَرَّد عمارة فى آخر كتابه بذكر السجل الذى أرسله الخليفة الفاطمى الآمر إلى السيدة الحرة ينبئها فيه بميلاد ولده وولى عهده أبى القاسم الطيب . وهو أول من ذكر نص هذا السجل الهام بالنسبة للدعوة الطيبية [١] .

وإذا كانت المصادر اليمنية السنية لم تؤرخ للدعوة الفاطمية فى اليمن بعد وفاة السيدة الحرة سنة ٥٣٢ / ١١٣٧ وسقوط دولة الصليحيين حيث رجعت الدعوة مرة أخرى إلى دور الستر والتخفى ، فإن المصادر المصرية تعيننا على استكمال جوانب هذا الموضوع ، فبينما لا تذكر الكتب اليمنية أى شىء عن الإمام الطيب بن الآمر ، فيما عدا عمارة اليمنى وكتب الدعوة الفاطمية « كتُحْفَة القلوب » للحَامِدِى « وعيون الأخبار » لعماد الدين إدريس ، نجد تاج الدين ابن مُيَسَّر المؤرخ المصرى المتوفى سنة ٦٧٧ / ١٢٧٨ يشير بالتفصيل إلى ميلاد هذا الطفل فى حياة أبيه والاحتفالات التى أقيمت فى البلاد احتفالًا بمولده [٢] ، وكل من كتب بعد ذلك من المؤرخين المصريين وأشار إلى مولد هذا الطفل نقل عن ابن ميسر مثل المقريزى والنويرى [٣] .

أما ابن المُجَاور البغدادى النيسابوى صاحب كتاب « صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز » [٤] الذى لا نعرف اسمه وإنما نعرف اسم أبيه الذى ذكره فى كتابه ص ٢٥٢ قال : « كتب والدى محمد بن مسعود بن على بن أحمد

---

[١] عمارة : تاريخ اليمن ١٢٧ – ١٢٨ .

[٢] ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٩ – ١١٠ .

[٣] المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٢٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، (مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة) ٢٦ : ٨٧ .

[٤] راجع ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ١٢٣ – ١٢٤ .

ابن المُجَاوِر البَغْدَادى النَيْسَابُورى . فهو رحَّالة يُعَد خبيرًا ممتازًا ببلاد العرب الجنوبية والحجاز الأوسط ، وقد أقام بعض الوقت بمدينة مُلْتَان بالهند وفى عام ٦١٨ هـ عبر البحر من الدَيْبُل إلى عَدَن ، وزار مدينة زَبِيد نحو ثلاث مرات فى السنوات ٦١٩ و ٦٢٤ و ٦٢٦ وكان موجودًا ببلاد العرب فى سنة ٦٢٧ مما يدفعنا إلى ترجيح تأليف كتابه قبل عام ٦٣٠ هـ بوقت قليل . ويتميز كتاب ابن المجاور بحديثه عن أخلاق السكان وعاداتهم واهتمامه بتسجيل الروايات والأساطير المحلية التى يشعر بميل نحوها ، فنجده يصف عادات الزواج وطقوس العرس فى زَبِيد ، وكيفية شراء الرقيق وتقليب التجار لهم ، كما يَمُدُّنا بمعلومات دقيقة عن الأوزان والمقاييس والنقود المستخدمة وقتئذ وأنواع الملابس ، والمكوس التى كانت تجبى على البضائع ، إلى غير ذلك من معلومات اقتصادية لا نجدها فى المصادر الأخرى .

ونجد عند ابن المجاور معلومات هامة عن الحكام الزُرَيْعيين فى عَدَن الذين كانوا تابعين للدعوة الحافظية فى مصر ، أما معلوماته عن فترة حكم الصليحيين وخاصة على الصليحى فقد نقلها عن عمارة اليمنى عن جَيَّاش بن نَجَاح ووقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه عمارة عند ذكر وفاة على الصليحى .

أما المصادر الفاطمية اليمنية فهى التى أشارت بالتفصيل إلى حالة الدعوة الطيبية فى اليمن بعد السيدة الحرة ، لأن الدعاة الطيبين أنفسهم هم الذين كتبوا هذه المصنفات ، وقد وَصَلَت إلينا هذه المصنفات محفوظة فى مكتبات طائفة البُهَرَة فى الهند والفاطميين المقيمين فى جبل حَرَاز فى اليمن مثل مؤلفات الداعى حاتم بن إبراهيم الحَامِدِى المتوفى سنة ٥٩٦ / ١١٩٩ وأهمها كتاب « تُحْفَة

---

[١] يقوم بنشر هذا الكتاب الآن الدكتور عباس همدانى وكتب عنه دراسة راجع : Hamdani, A. « The Dâ'I Ḥàtim ibn Ibràhīm al-Ḥàmidī (d. 596 H./1199 AD) and his book Tuḥfat al-Qulûb » *Oriens* 23 - 24 (1974), p. 258 - 300.

القلوب وترتيب الحدود فى الجزيرة اليمنية » وهو كتاب فى فلسفة الإسماعيلية فى ٢٨ فصلًا يحوى الفصلان ٢١ و ٢٢ حديثًا عن الدعاة الطيبين وحالة الدعوة فى اليمن بعد وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله [١] . ونقل هذين الفصلين الداعى الحسن بن نوح البَهْرُوجى المتوفى سنة ٩٣٩ / ١٥٣٣ فى الجزء الثالث من كتابه « الأزهار » ونشرها صمويل شتيرن فى مجلة Oriens سنة ١٩٥١ [١] .

وأهم المؤلفات الفاطمية التاريخية على الإطلاق ، مؤلفات الداعى الطيبى التاسع عشر عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف المتوفى سنة ١٤٦٧/٨٧٢ الذى يُعَد أكبر مؤرخ للدعوة الفاطمية [٢] . ولمؤلفاته أثر كبير فى جلاء بعض الحقائق التاريخية التى رافقت الدعوة الفاطمية . وترجع أهمية مصنفاته إلى أنه استقى معلوماته ورواياته من اتصالات مباشرة بالرواة ، ومن أصول معاصرة للدعوة الفاطمية فى عهد الصليحيين ، وساعده منصبه كرئيس للدعوة الطيبية فى وقته ، فى الاطلاع على كثير من الوثائق الفاطمية المحفوظة فى جبال حراز باليمن .

وكتابه « عيون الأخبار وفنون الآثار » يعد أضخم كتاب فى تاريخ الفاطميين ، وهو فى سبعة أجزاء يؤرخ الجزء السابع منه لفترة خلافة المستنصر بالله ودعاته فى اليمن ولتاريخ الدولة الصليحية ، كما أفاض فى الحديث عن حكم الخليفة الآمر بأحكام الله والدعوة لابنه الطيب تحت كفالة السيدة الحرة ورئاسة الداعى الذؤيب بن موسى الوادعى [٣] .

---

(١) Stern, S. « The Succession of the Fatimid Iman al-Àmir ... », Oriens IV (1951) . pp. 232 - 243 .

(٢) راجع ، أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١٨٠ ـــ ١٨٣ ، ولعلى حسنى الخَرْبُوطْلى : عماد الدين إدريس الداعى ، والمؤرخ الفاطمى (القاهرة ١٩٧٤) .

(٣) نشر الأستاذ مصطفى غالب الأجزاء من الرابع إلى السادس من هذا الكتاب (بيروت ـــ دار الأندلس ١٩٧٣ ـــ ١٩٨٤) ، ونشر فرحات الدشراوى مقتطفات من الجزء الخامس تحت عنوان تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب فى تونس سنة ١٩٨١ ، ثم نشر محمد اليعلاوى هذا القسم كاملًا مستدركًا الأخطاء الجسيمة التى وقعت فى نشرة مصطفى غالب (الجزء السادس) تحت عنوان « تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب » وصدر عن دار المغرب الإسلامى فى بيروت سنة ١٩٨٥ . وأعد كاتب هذه =

ومن مصادره فى هذا الجزء « تاريخ اليمن » لعمارة اليمنى « والمفيد » لجيَّاش ابن نجاح« وتحفة القلوب » للحَامِدى ، وبعض « السجلات المستنصرية » التى لم تصل إلينا ، كما أنه أخذ بعض أخبار المستنصر بالله نقلًا عن المؤيد فى الدين الشيرازى .

ويُعَدُّ كتابه « نزهة الأفكار وروضة الأخبار فى ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار » الكتاب الوحيد الذي يبين لنا بصورة واضحة تطور تاريخ الدعوة الفاطمية فى اليمن من أيام ابن حَوْشَب حتى أيام مؤلفه ، واهتم فيه أيضاً بالتاريخ السياسى فيمدنا فيه بمعلومات كثيرة عن فترة حكم المكرم أحمد الصليحى ، حيث كانت معه « سيرة للمكرم » [١] لم تصل إلينا .

وقد ألَّف عماد الدين إدريس كتاب « نزهة الأفكار » بعد أن أتمَّ كتابه « عيون الأخبار » يقول فيه : « ... وقد ذَكَرْنا من ذلك فى كتاب عيون الأخبار جُمَلًا وشرحناه شرحًا مفَصَّلًا » [٢] .

ويجب أن نلاحظ أن مؤرخى الدعوة الفاطمية تركو لنا كتبًا يصعب جدًا الاعتماد عليها لكثرة ما فيها من اختلافات وأخطاء تاريخية [٣] ، أظنّ أن سَبَبَها محاولة التوفيق بين الحقائق التاريخية وأقوال أئمتهم .

٣ - المصادر الزيدية

لم تُعْن مصادر تاريخ اليمن السنية بذكر أخبار الأئمة الزيديين إلَّا نادرًا ، كذلك لم تعن المصادر الزيدية بأخبار الدول السنية إلَّا بعد القرن العاشر

= السطور تحقيقًا علميًا للجزء السابع والأخير من الكتاب سيصدر قريباً .

(١) عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٢٥ ظ .

(٢) المصدر نفسه ٣١ ظ .

(٣) محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ١٩ .

الهجرى ، واهتمت بالترجمة لأئمة الزيدية وعلمائها ورؤسائها فى اليمن أكثر من اهتمامها بالحوادث السياسية . ومصادر تاريخ الزيدية فى اليمن مرتبطة بتاريخ زيدية بلاد الجيل والديلم ، فلا يُفَرِّق مؤرخو الزيدية بين أئمة الزيدية فى الديلم وأئمتهم فى اليمن .

وأقدم كتب التراجم الزيدية التى وصلت إلينا كتاب « المَصَابيح » لأبى العبَّاس أحمد بن إبراهيم بن الحسن الحسنى المتوفى سنة ٣٥٢ / ٩٦٤ الذى ذكر فيه سِيَر أئمة الزيدية ودعاتهم حتى الإمام الناصر الأُطْرُوش [١] .

وتَمَيَّز مؤرخو الزيدية بأنهم أفردوا سيراً لأئمتهم فنجد من معاصرى الأئمة من يهتم بتدوين سيرهم ، وأقدم هذه السير « سيرة الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين » لعلى بن محمد بن عبيد الله العلوى المتوفى أواخر القرن الثالث ، ويَغْلُب على هذه السيرة ذكر الفضائل والخوارق المنسوبة للهادى [٢] .

ووَضَع عبد الله بن عمر الهَمْدَانى « سيرة الناصر أحمد بن الإمام الهادى وحروبه مع القرامطة » [٣] ولم تصل إلينا .

وألَّف الحسين بن أحمد بن يعقوب ، أحد علماء القرن الرابع ، « سيرة المنصور بالله أبى محمد القاسم بن على العِيَانى ، المتوفى سنة ٣٩٣ / ١٠٠٣ [٤] .

وأهم كتب تراجم أئمة الزيدية الأوائل كتاب « الإفادة فى تاريخ الأئمة السادة » للإمام الناطق بالحق أبى طالب يحيى بن الحسين الهارونى البطحانى

---

(١) انظر ، أيمن فؤاد : المرجع السابق ٨٤ .

(٢) نشرها سهيل زكار (بيروت ١٩٧٢) وعلى هذه السيرة بنى فان آرندونك دراسته الرائدة عن قيام الدولة الزيدية فى اليمن Van Arenndonk, C., *Les débuts de l'imamt Zaydite au Yémen, Leiden* 1960.

(٣) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ٣٢ هـ .

(٤) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ٨٣ – ٨٤ .

المتوفى سنة ٣٤٠ / ٩٥١ واعتمد كثيرًا على كتاب « المصابيح » – السابق ذكره – وقد مثَّل هذا الكتاب مصدرًا هامًا لمؤرخى الزيدية المتأخرين وذَيَّل عليه مؤرخ يمنى هو يحيى بن على الحَبْسِى المتوفى بعد سنة ١١٠٤ / ١٦٩٢ [١] .

وقد أَمدَّنى كتابا الناطق بالحق والحبسى بمعلومات دقيقة عن تواريخ دعوة الأئمة الزيديين وقيامهم وأهم مصنفاتهم .

وإذا كانت هذه المصادر تَخْلِط بين أئمة الزيدية فى بلاد الجيل والديلم واليمن ، فقد وضَع أبو إسحاق إبراهيم بن هِلَال الصَّابى المتوفى سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ كتابًا فى أخبار الدولة الديلمية الزيدية وصل إلينا منه « المنتزع من الجزء الأول من كتاب التاجى فى أخبار الدولة الديلمية » وهو يعرض فيه تاريخًا كاملا للحكم الزيدى فى منطقة جنوب بحر قزوين حتى سنة ٣٦٨ / ٩٧٩[٢] .

وأما كتاب « الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية » لحميد أحمد المُحَلِّى المتوفى بعد سنة ٦٥٢ / ١٢٥٤ [٣] فهو آخر المصادر التى تؤرخ للأئمة الزيديين فى الجيل والديلم واليمن . وكان مؤلفه على حداثة سنه من أعيان أصحاب الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ثم عاون الإمام المهدى لدين الله أحمد بن الحسين حتى استشهد سنة ٦٥٢ هـ فى المعركة التى كانت بين أصحاب الإمام المهدى وبين الأمراء الحمزيين [٤] .

وقد نقل حميد المُحلِّى أغلب كتاب « الإفادة » للإمام الناطق بالحق ولكن تراجمه للأئمة المتأخرين بدءًا من الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان تُمَثِّل أهمية كبرى .

---

[١] المرجع نفسه ٩١ – ٩٢ و ٢٥١ – ٢٥٢ .

[٢] راجع Khan, H.S. « A Manuscripts of an Epitome of al-Sàbi's kitab al-Tàji », *Arabica* XII (1965), pp. 27 - 44; « Studies in the kitab al - Tàji Epitome of al-Sàbi ,» *Arabica* 17 (1970), pp. 151 - 160; 18 (1971), pp. 194 — 201 .

[٣] أيمن فؤاد : المرجع السابق ١٢٧ – ١٢٨ .

[٤] ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ١٩٩ .

وفيما يخص تاريخ الفرقة المُطَرِّفِيَّة فى اليمن فإن « تاريخ مُسَلَّم اللَّحْجِى » (مُسَلَّم بن محمد بن جَعْفَر اللَّحْجِى الشطبى المتوفى سنة ٥٤٥ / ١١٥٠) [١]، هو أهم كتاب يؤرخ هٰذه الفرقة لأن مؤلفه كان يعتقد مذهب المطرفية . وجَعَله فى خمس طبقات الرابعة فى اختلاف الزيدية فى اليمن ومن أخذ على مُطَرِّف بن شهاب ونَهْد بن الصبَّاح وغيرهما ، والطبقة الخامسة فيمن عاصر مُسَلَّم اللحجى من العلماء المطرفية [٢] . وقد نقل السيد يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ / ١٦٨٨ غالب تاريخ مسلم فى كتابه « طبقات الزيدية » واعتمد عليه كذلك ابن الوزير عند ذكره المطرفية فى « تراجم بنى الوزير » .

وفى المكتبة الأهلية بباريس مخطوط برقم ٥٩٨٢ عنوانه « تاريخ مُسَلَّم اللَّحْجِى » حَصلْت على صورة مكبرة له ، ولكن بعد تصفُّحه تبيَّن لى أن هذا الكتاب لا يمكن أَن يكون لمُسَلَّم اللَّحْجِى فهو مختلف تمامًا عما ذكره عنه يحيى بن الحسين ، وفيه أخبار عن الدولة الأموية وإشارات إلى تواريخ متأخرة على وفاة مسلم نفسه . فيذكر مؤلفه أنه كتب الكتاب فى سنة ٦٢٧ هـ [٣] أما القسم الذى يُذْكَر فيه اسم اللَّحْجِى فمن ورقة ٢٠١ ظ – ٢١٧ ظ ويُعْطينا نصًّا مختصرا للصفحات ٤١ – ٥٩ ظ من الكتاب المنسوب للَّحْجى فى برلين . ثم كان أن تلقيت من البروفيسير ولفرد مَادِلُونج الأستاذ بجامعة أكسفورد بحثًا نشره فى مجلة JNES درس فيه مخطوطة باريس ورأى ، كما اتَّضَح لى ، أنها ليست لمُسلَّم اللَّحْجِى ، وإنما تمثِّل الجزء الرابع من كتاب « روضة الحجورى » [٤] .

---

(١) مُسَلَّم – بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد اللام (يحيى بن الحسين : أبناء الزمن ٤٠ ، طبقات الزيدية ٥٨) وانظر ، أيمن فؤاد : المرجع السابق ١٠٥ – ١٠٦ .

(٢) يحيى بن الحسين : الطبقات ٥٨ و .

(٣) تاريخ مسلم اللحجى ٢٤ ظ ، ٢٥٣ ظ .

(٤) Madelung, W. « The Identity of two yemenite manuscripts », *JNES* 32 (1973), pp. 179 - 190 .

وبينما يَعْرِض كتاب « البرهان الرائق المُخَلِّص من وُرَط المضائق » لسليمان المَحَلِّى ويدافع عن عقائد المطرفية باستفاضة فإنه لا يمدنا تقريبًا بأيَّة معلومات عن تاريخ هذه الفرقة . ويبدو أن المحلى كَتَب كتابه فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى لأنه يذكر معارضى الفرقة مرات قليلة باسم « الجَعْفَرِيَّة » وهى إشارة دون شك إلى مدرسة القاضى جعفر بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٣ / ١١٧٧ الذى كان أصلًا من المطرفية ثم صار من كبار روَّاد الزيدية فى صراعها مع المطرفية .

كما أن كتاب « مطلع البدور ومجمع البحور » لأحمد بن صالح بن أبى الرِّجال المتوفى سنة ١٠٩٢ / ١٦٨١ [١] يعدُّ واحدًا من أهم كتب التراجم الزيدية ، فهو يحتوى على ١٣٠٠ ترجمة لزيدية اليمن والعراق على ترتيب حروف المعجم . وقد أفدت كثيرًا من هذا الكتاب فى تراجم الرجال القادمين من العراق إلى اليمن وما حملوا معهم من كتب ومصنفات .

وكتاب « طبقات الزيدية » للسيد يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ / ١٦٨٨ [٢] فهو أشمل كتب الطبقات الزيدية على الإطلاق فقد اعتمد مؤلفه على كل المؤلفات الزيدية السابقة عليه فجاء كتابه حاويًا لتاريخ المذهب الزيدى فى اليمن وتراجم رجاله على الطبقات وأضاف إلى كل ذلك آراءه الشخصية وكلها ذات قيمة كبيرة .

ويمدنا هذا الكتاب بعرض للحياة الفكرية فى اليمن ، وما كان يدور بين علمائه من مناظرات ، فقد جَمَع فيه خمسة آلاف ترجمة وافية معتمدًا على ٤٢ مصدرًا أهمها تاريخ مُسَلَّم اللَّحْجِى فى الفصل الذى عقده لرجال المطرفية .

---

[١] أيمن فؤاد : المرجع السابق ٢٤٣ - ٢٤٤ .

[٢] المرجع نفسه ٢٤٦ - ٢٤٩ .

أما كتابه الثانى « أنباء الزمن فى تاريخ اليمن » فهو من أهم مصادر تاريخ اليمن ، رتَّبه على السنوات وانتهى فيه إلى سنة ١٠٤٦ هـ . حاول فيه أن يفسر الأحداث ويحلِّلَها .. واحتوى كذلك على معلومات دقيقة وهامة عن تاريخ الفرق الإسلامية فى اليمن .

* * *

أما كُتُب الملل والنحل فقد اهتمت بذكرالعقائد أكثر من اهتمامها بذكر التاريخ إلَّا أنها لا تخلو من إشارات تاريخية ذات فائدة كبيرة .

ومن أهم هذه الكتب التى اعتمدت عليها ، كتاب « مقالات الإسلاميين » لأبى الحسن الأشْعَرى المتوفى سنة ٣٢٤ / ٩٣٦ وكتاب « المقالات » لأبى القاسم البَلْخِى المتوفى سنة ٣١٩ / ٩٣١ و « العيون » و « شرح عيون المسائل » للحاكم الجُشَمِى المتوفى سنة ٤٩٤ / ١١٠١ وهم من المعتزلة . و « المنية والأمل شرح كتاب الملل والنحل » لأحمد بن يحيى المُرْتَضَى المتوفى سنة ٨٤٠ / ١٤٣٧ وهو واحد من كتب الملل والنحل القليلة التى وصلت إلينا لأحد أئمة الزيدية فى اليمن .

البابُ الأول

مذهب السُّنَّة في بلاد اليمن في القرنين الخامس والسادس للهجرة



الفصل الأول
انتشار المذهب الشافعى فى اليمن
حتى القرن السادس الهجرى

تمهيد

دَخل أهلُ اليمن فى الإسلام طوْعًا ، فلم يأْت العام السادس للهجرة إلَّا وكان الإسلام قد انتشر تمامًا بين أهلها . وفى الحديث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، أنه قال : « أتاكم أهل اليمن ، هم أرَقّ أفئدة وألْيَن قلوبًا ، الإيمان يمان [وفى رواية الفقه] والحكمة يمانية ... » [(١)] .

وبعث الرسول بعمَّاله على اليمن ليعملوا على تفقيه أهله فى أمور الدين ، وهم : على بن أبى طالب الذى بعثه الرسول قاضيا بين أهلها [(٢)] ، ومُعَاذُ بن جَبَل الذى كان معلمًا لأهل اليمن وحَضْرَمَوْت فأقام بين أهلهما اثنى عشر شهرًا وأيامًا [(٣)] ، وأبو موسى الأشعرى، وخالد بن الوليد وزياد بن أبيه وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم [(٤)] .

---

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن (تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٧) ٥ – ٦ ، الأهدل : نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون (القاهرة ١٩٣١) ٢٥ ، ابن الديبع : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون (تحقيق محمد بن على الأكوع) ٢٦ .

(٢) ابن سمرة : المصدر السابق ١٦ .

(٣) نفس المصدر ١٨ ، وراجع أخباره عند ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١ : ٣١٨ – ٣٣١ ، الرازى : تاريخ صنعاء اليمن (دمشق ١٩٧٤) ٢٤٩ – ٢٥٢ .

(٤) ابن سمرة : المصدر السابق ١٥ ، الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن فى أخبار من ملك اليمن =

وفى عهد النبى حاول الأَسْوَدُ العَنْسِى (عَيْهَلَة بن كَعْب) الارتداد عن الإسلام ، وادِّعَاء النبوة ، فكان أَوَّل مرتد عن الإسلام ، فحرّض عليه رسول الله من بقى على الإسلام فى اليمن فاغتاله أحدهم (١) .

وخلال القرن الأول للهجرة وحتى أوائل الخلافة العباسية لم يجر باليمن كثيرٌ من الأحداث التى تُذْكر فى التاريخ نظرًا لبُعْدِها وتطَرُّفها عن مركز الدولة الإسلامية فى دمشق . إلَّا أن هذا الموقع ساعد بعض الخارجين على استغلالها فى الثورة والخروج ، مثل ثورة عبد الله بن يحيى الكِنْدِى الإباضِى الملقَّب « بَطالِب الحَقّ » الذى خَرَج باليمن فى سنة ١٢٩ هـ (٧٤٦ م) لِمَا وَجَده بها من جَوْر ظاهر وعسف شديد من عُمَّال بنى أمية ، فأقام فترة فى حضرموت ثم قَصَد صنعاء ولكنه لم يلْبَث أن قُتِل فى سنة ١٣٠ / ٧٤٧ (٢) .

وفى هذه الفترة أيضًا كان لليمنيين دَورٌ كبير فى حركة الفتوح الإسلامية الكبرى (٣) كما سانَدت قبائل هَمْدان الإمامَ على بن أبى طالب فى حروبه مع الخوارج .

= (مخطوطة بالمكتبة التيمورية برقم ١٤٠٩ تاريخ) ١٠ ، الخزرجى : الكفاية والاعلام ٣٤ – ٥١ .

(١) راجع أخباره عند ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (بيروت) ٢ : ٣٣٦ – ٣٤١ .

(٢) راجع ، أبا الفرج الأصفهانى : الأغانى (دار الكتب) ٢٣ : ٢٢٤ – ٢٢٥ ، المسعودى : مروج الذهب (بيروت ١٩٧٣) ٤ : ٨٢ ، أبو زكريا الأزدى : تاريخ الموصل (تحقيق على حبيبة ، القاهرة ١٩٦٧) ٧٧ و١٠١ – ١٠٧ ، الهمدانى : الإكليل (تحقيق محمد الأكوع ، القاهرة ١٩٦٥) ٢ : ٢٢ – ٢٣ ، النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب (القاهرة ١٩٧٦) ٢١ : ٥٣٥ – ٥٣٦ . يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى (تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٨) ١٢٤ . وانظر ، محمد بن على الأكوع : الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢ هـ (بغداد ١٩٧٦) ٢٠٣ – ٢٠٦ ، محمد أمين صالح : تاريخ اليمن الإسلامى فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة (القاهرة ١٩٧٥) ١٠٩ – ١١٠ .

(٣) راجع ، Jean - Claude VADET, « L' Acculturation » des Sud -Arabiques du Fustàt au Lendemain de la Conquête Arabe » , *BEO XXII* (1969) , pp . 7 - 14 ; Hicham Djait , « Les yamanites à Kûfa au 1er siècle de l'Hégire », *JESHO, xix* (May 1976), pp.148 - 181. ، ونزار =

علوم الإسلام في اليمن

كان أكثر تفقّه أهل اليمن فى هذا العصر الأول ، إلى وقت ظهور تصانيف الشافعية ، بفقهاء مكة والمدينة (١) . وكانت لهم مساهمات معروفة فى علوم الدين الإسلامى المختلفة خاصة فى علم الحديث .

و « الحديث » أو « السنَّة » هو كل ما صَدَر عن رسول الله ﷺ ، من قَوْلٍ أو فِعْلٍ أو تَقْرِيرٍ ، أو وَصْفٍ خُلُقى أو خِلْقى (٢) . وبعد عصر رسول الله ﷺ ضُمّ إلى الحديث ما وَرَد عن الصَّحَابة الذين كانوا يُعَاشرون النبى ويسمعون قوله ويشاهدون عمله ويُحَدِّثون بما رأوا وما سمعوا ، وجاء التَّابعُون بَعْدُ فعاشروا الصحابة وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا ، فكان من الأخبار عن رسول الله ﷺ وصحابته « الحديث » (٣) .

أُطْلِق على مجموع كل ذلك لفظ « السُّنَّة » . وهى المصدر الثانى للتشريع ، جاءَت مبيِّنةً للكتاب شارحةً له (٤) . وكان رجوع المسلمين إلى الحديث « السنة » أمرًا ضروريا لمعالجة الأمور التى لم يجدوا لها فى القرآن نصًّا صريحًا ، خاصة بعد أن اضطروا فى أعقاب الفتوح الإسلامية إلى مخالطة أقوامٍ لهم أفكارٌ وآراءٌ مخالفة لهم ، يهودية ومسيحية وهلّينية وزرادشتية (٥) .

وعندما بدأ جيلُ الصحابة والتابعين ، الذين كانوا يحْفَظُون الحديث فى صدورهم ، فى الانقضاء ، شَرَع المسلمون فى كتابة الحديث وتدوينه خوفًا

= الحديثى : أهل اليمن فى صدر الإسلام (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

(١) ابن سمرة : المصدر السابق ٥٥ .

(٢) ففى القرآن ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ ، [الآية ٢١ سورة الأحزاب].

(٣) أحمد أمين : فجر الإسلام (القاهرة ١٩٣٣) ١ : ٢٤٤ .

(٤) ففى القرآن ﴿ وأنزلنا إليك الذِّكر لتُبَيِّن للنَّاس ما نُـزِّل إليهم ﴾ . [الآية ٤٤ سورة النحل] .

(٥) Robson, J., *EI²*. art. « *Ḥadīth* » III. p.24

عليه من الضياع . وبدأ ذلك بالفعل فى عهد الصحابة وأوائل التابعين ، فسُجِّلت الأحاديث فى « كراريسَ » صغيرة أُطْلِق عليها إسم « الصحيفة » أو « الجزء » . وفى الربع الأخير من القرن الأول للهجرة والربع الأول من القرن الثانى صَرَف علماءُ المسلمين اهتمامهم فى المقام الأول إلى تدوين المرويات وجَمْع النصوص المتفرقة . وبدأت بعد ذلك مرحلةٌ تالية فى أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى رتِّبت فيها هذه المادة ترتيبًا موضوعيًا وِفْق الموضوعات المختلفة فى فصولٍ أو أبواب ، وهو ما عُرِف بـ « تَصْنيف الحديث » [١] ، كان ذلك فى وقتٍ أُلِّف فيه كل من ابن إسحاق وأبى مِخْنَف وعَوَانَة بن الحَكَم وغيرهم مدوناتهم فى التاريخ ، ووُجد فى مناطقَ مختلفة من العالم الإسلامى عددٌ من علماء الحديث وُصِفوا بأنهم أوّل من صنَّف الحديث ، فى مقدِّمتهم الزُّهرى وابن جُرَيْج بمكة ، وسعيد بن أبى عَرُوبَة وحَمَّاد بن سَلَمة وغيرهما بالبَصْرة ، والأَوْزَاعِى بالشام ، والإمام مَالِك بالمدينة ، ومَعْمَر بن رَاشِد باليمن ، واللَّيث ابن سعد وعبد الله بن لَهِيعَة وابن وَهبْ بمصر ، وسُفْيان الثَّوْرىّ بالكوفة . « وكان العلماءُ قبل ذلك يتكلَّمون عن حِفْظِهم أو يروُون العلم عن صُحُفٍ صَحيحه مرتَّبة » [٢] .

شارك العلماءُ اليمنيون فى كل مراحل تطور الحديث هذه . فوصل إلينا من

---

[١] Sezgin, F., *GAS* I, p. 55 - 56 . استمرت هذه الطريقة إلى أن ظهرت مع أواخر القرن الثانى للهجرة طريقة أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء صحابة رسول الله ﷺ ، فى كتب تحمل اسم « المسند » . وحملت الكتب الأولى ذات الترتيب المنهجى عناوين مثل : « مصنف » و « سنن » و « موطأ » و « جامع » ، وربما تمثل الكتب المذكورة أخيرًا مجموع الأحاديث التى لم يمكن وضعها فى أبواب الفقه . (Sezgin, *GAS* I, p., 90) .

[٢] الذهبى : تاريخ الإسلام (ط . القدسى) ٦ : ٥ – ٦ وفيه أن ذلك كان نحو سنة ١٤٣ هـ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (ط . دار الكتب) ١ : ٣٥١ ، يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية (مخطوطة السيد محمد بن محمد المنصور) ٣ و ، Sezgin, F., *GAS* I, pp. 55 - 58, 280 .

اليمن أقدمُ تأليف فى الحديث النبوى ، هو « صحيفة همَّام بن مَنبِّه » [١] . وهمَّام أخو وَهْب بن منبِّه من أقدم مؤرخى اليمن [٢] . ولقى همامٌ أبا هُرَيْرَة – راوية الإسلام – وروى عنه رواية كثيرة ، كما روى عن معاوية بن أبى سفيان وعبد الله بن عبّاس وغيرهم [٣] .

ويُعد همَّام وأخوه وَهْب من الأَبْنَاء ، ويبدو أنه كانت له دراية بالكتب فيذكر ابن حجر أنه « كان يشْتَرى الكتب لأخيه وَهْب » [٤] .

ووُلِد همّامٌ على الأرجح نحو سنة ٤٠ / ٦٦٠ وكان له تلاميذ كثيرون أشهرهم معمر بن راشِد المتوفى سنة ١٥٤ / ٧٧٠ الذى سمع قسمًا من مضمون صحيفته عليه وقرأ عليه قسمًا آخر منها . والأخبار الخاصة بسَنَة وفاة همام زاخرة بالتناقض إلَّا أن المشهور أنه كان أكبر من أخيه وهب وأنه توفى قَبْلَه ، ووفاة وَهْب فى سنة ١١٤ / ٧٣٢ فعلى ذلك تُرَجّح رواية ابن سعد حيث ذكر فى الطبقات أن همَّامًا مات سنة إحدى أو اثنتين ومائة / ٧٢٠ [٥] .

ومن أشهر علماء اليمن طاووس بن كَيسْان قال عنه ابن عبّاس : « طاوُوس

---

[١] انظر ، محمد حميد الله : « أقدم تأليف فى الحديث النبوى ، صحيفة همّام بن منبه ومكانتها فى تاريخ علم الحديث » مجلة المجمع العلمى العربى ٢٨ (١٩٥٣) ٩٦ – ١١٦ ، نص الصحيفة والتعليقات ٢٧٠ – ٢٨١ و ٣٤٣ – ٤٦٧ . وأثبتها ابن حنبل فى مسنده ٢ : ٣١٢ – ٣١٩ وبينَ ما أثبته ابن حنبل وما نشره حميد الله اختلاف يسير . ثم نشرها نشرة محققه الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب (القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٨٥) .

[٢] راجع ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى (القاهرة ١٩٧٤) ٥٥ – ٥٦ .

[٣] البخارى : التاريخ الكبير (ط . الهند) ج ٤ ق ٢ ص ٢٣٦ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١ : ٦٧ ، Sezgin, *GAS* I, p. 86 .

[٤] ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١ : ٦٧ .

[٥] ابن سعد : الطبقات الكبرى (بيروت) ٥ : ٥٤٤ .

عَالِمُ أَهْلِ اليمن » [١] . تولى قَضَاء صَنْعَاء والجَنَد وأخذ عنه عمرو بن دينار والزُّهْرى وابنه عبد الله بن طاووس ، وتولَّى ابنه هذا القضاء بعد أبيه وكان أيضًا فقيهًا جليلًا قال عنه مَعْمَرَ : « كان من أَعْلَم الناس بالعربية وأحسنهم خلقًا ما رأيت ابن فقيه مثله » [٢] .

أما مَعْمَر بن راشد الأَزْدِى فأصله من أهل البصرة ، ثم انتقل إلى اليمن فى طَلَب الحديث ، فلقى بها همَّامًا بن منبِّه فسمع منه ومن الزُّهْرِىّ وهشام بن عُرْوَةَ ، وارتحل إليه الثَّوْرى وابن عُيَيْنة وابن المُبَارك وغُنْدُر وهشام بن يوسف قاضى صنعاء ، وأخذ عنه فقيه اليمن ومحدِّث صنعاء عبد الرزَّاق بن همَّام الصَّنعانى [٣] . وهو أول من صنَّف باليمن ، صنَّف كتاب « الجَامِع » فى السنن وهو أقدم من موطأ مالك [٤] ، وكانت وفاته فى سنة ١٥٤ / ٧٧٠ .

ويوجد كتاب معمر بتمامه أيضًا فى الأجزاء الأخيرة من « مصنّف عبد الرزَّاق » فكلُّها رواية عن مَعْمر [٥] ، كما أننا نجد فى صحيفة همَّام كل أحاديث كتابى عبد الرزاق ومعمر التى ذُكِر اسم همَّام فى أسانيدها [٦] . واستخدم مَعْمَر أيضًا « الصحيفة » المنسوبة للصحابى جابر بن عبد الله بن

---

[١] الرازى : تاريخ صنعاء ٢٩٧ . وانظر أخباره عند ابن سمرة : الطبقات ٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان (ط . بيروت) ٢ : ٥٠٩ - ٥١١ ، ابن سعد : الطبقات ٥ : ٥٣٧ - ٥٤٢ .

[٢] ابن سعد : الطبقات الكبرى ١ : ٢٧٦ .

[٣] انظر شيوخه وتلاميذه عند ابن حجر : تهذيب ١٠ : ٢٤٣ - ٢٤٤ وراجع أخباره عند ابن سعد : الطبقات ٥ : ٥٤٦ ، البخارى : التاريخ الكبير ج ٤ ق ١ ص ٣٧٨ - ٧٩ ، ابن النديم : الفهرست ١٣٨ ، ابن سمرة : الطبقات ٦٦ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ (الهند) ١ : ١٩٠ وميزان الاعتدال (القاهرة ١٩٦٣) ٤ : ١٥٤ ، Sezgin , *GAS* I, p. 290 - 91 .

[٤] اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان (الهند ١٣٣٧ هـ) ١ : ٣٢٣ . ومنه نسخة فى مكتبة صائب أفندى بأنقرة برقم ٢١٦٤ فى ٧٩ ورقة كتبت سنة ٣٦٤ هـ ، وأخرى بمكتبة فيظ الله برقم ٥٤١ (انظر Sezgin, *op. cit.* p. 291) .

[٥] دلّنى على ذلك شيخ العربية الأستاذ محمود محمد شاكر .

[٦] Sezgin, *op. cit.* p. 81 n. 4 .

عمرو الخَزْرَجىّ المتوفى سنة ٧٨ هـ (٦٩٧ م) وذكرها صراحة فى مصنفه « الجامع » [١] .

وكان علماءُ اليمن يعوِّلون فى معرفة الآثار ، إلى جانب جامع معمر ، على كتاب « الجامع فى السنن » [٢] لأبى قُرَّة موسى بن طارق الزَّبيدى اللَّحْجِى ، وجامع سفيان بن عيينة ومن المرويات عن مالك فى الموطأ وغيره ؛ ككتاب أبى مُصْعَب أحمد بن أبى بكر الزُّهْرى المالكى [٣] ، وكان عالمًا بمذاهب أهل المدينة ، وعمّا يُرْوَى عن فقهاء اليمن [٤] .

وأبو قُرَّة موسى بن طارق الزَّبيدى ، من علماء اليمن الكبار ، أَخَذَ العلم عن مالك وأبى حنيفة ومَعْمَر وابن جُرَيْج والسفيانين ، فقد لقيهم جميعًا وروى عنهم [٥] ، كما أدرْكَ نافعًا وأخذ عنه القرآن [٦] . وله غير كتاب « الجامع فى السنن » كتابٌ فى الفقه انتزعه من مذهب مالك وأبى حنيفة ومَعْمَر وابن جُرَيْج [٧] . وتوفى بزَبيد سنة ٢٠٣ / ٨١٨ [٨] .

---

(١) *Ibid*. p. 85 .

(٢) كذا عنوان الكتاب عند ابن سمرة ٦٩ . وذكره الجندى فى السلوك – خ ورقة ٣٧ وابن حجر فى التهذيب ١٠ :٣٥ وبامخرمة : تاريخ ثغر عدن (ليدن ١٩٣٦) ٢ : ٢٦٠ وحاجى خليفة : كشف الظنون (استامبول) ١٠٠٦ باسم كتاب « السنن » . وهو مرتب على الأبواب . رآه الجندى وتعجَّب من ضبطه وتحقيقه كما رآه ابن حجر وذكر أنه لا يقول فى حديثه حدّثنا وإنما يقول ذكر فلان . وسبب ذلك أن كتبه أصابتها عِلّة فتورَّع أن يصرح بها .

(٣) لأبى مصعب المذكور كتاب « المختصر فى الفقه » . وتوجد قطعة من مقابلته لموطأ مالك تحوى مائة حديث أكثر من مقابلة يحيى بن بكير (ابن حجر : تهذيب ١ : ٢٠) بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٦٣ / ١٥ مجاميع من ورقة ٨٢ أ – ١٧٩ ب خط القرن السابع . (Sezgin, F. *GAS* I, p. 472) .

(٤) ابن سمرة : الطبقات ٧٤ .

(٥) المصدر نفسه ٦٩ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٢٥٩ .

(٦) بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ٢٦٠ .

(٧) المصدر نفسه ٢ : ٢٥٩ .

(٨) انظر ترجمته عند ، ابن سمرة : الطبقات ٦٩ ، الجندى : السلوك (مخطوطة كوبرلى رقم =

ومن علماء اليمن فى هذه الفترة ، الذين ذاعت شهرتهم فى العالم الإسلامى أبو بكر عبد الرزَّاق بن همَّام بن نَافِع الحِمْيَرِىّ الصنعانى [١] . وهو محدِّثٌ ومفَسِّرٌ وُلِد فى صنعاء سنة ١٢٦ / ٧٤٣ . وطَلَب العلم وهو ابن عشرين سنة ، وكان من أبرز تلاميذ معْمَر بن راشد ، وكان لمدرسته أثرٌ كبير عليه . روى عنه ابن جُرَيج والأَوْزَاعى ومالك والسفيانان . ويرى من تحدّثوا عنه أنه كان ، بصفة عامة ، من الثِّقات غير أنه كُفَّ بصره فى أُخْريات أيامه ففُرِض عليه أن يُمْلِى من الذاكرة ، وقيل فى ذلك « من لم يكتب عنه من كتاب ففيه نظر ، ومن كتب عنه بآخرة حدَّث عنه بأحاديث مناكير » [٢] . ورحل كثيرٌ من العلماء إلى صنعاء ليأخذوا عليه [٣] ، حتى قيل « ما رُحِلَ إلى أحدٍ بعد رسول الله ﷺ ، مثل ما رُحل إليه » [٤] . فممن رَوَى عنه من أئمة الإسلام فى ذلك الوقت سفيان بن عُيَيْنَة — وهو من شيوخه — ويحيى بن مَعِين [٥] ، كما روى عنه الإمام أحمد بن حَنْبَل الذى ارتحل إليه ، تاريخه وصحيفته عن مَعْمَر عن الزُّهْرِى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة [٦] .

= ١٠٠٧) ٣٦ — ٣٧ ، ابن حجر : التهذيب ١٠ : ٣٤٩ — ٥٠ ، بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ٢٥٩ — ٦٠ .

[١] ترجمته عند ، ابن النديم : الفهرست (القاهرة ١٣٤٨) ٣١٨ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل (الهند) ٣ : ٢٣٨ ، ابن سمرة : الطبقات ٦٧ — ٦٨ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٢١٦ ، الذهبى : ميزان الاعتدال ٢ : ٦٠٩ — ٦١٤ والعبر فى خبر من غبر ١ : ٣٦٠ ، الصفدى : نكت الهميان ١٩١ ، الوافى بالوفيات (مخطوطة أحمد الثالث رقم ٢٩٢٠) مج ١٨ ورقة ١٥٣ و — ١٥٤ و . ابن حجر : التهذيب ١ : ٣١٠ — ٣١٥ ، ابن أبى يعلى : طبقات الحنابلة ١ : ٢٠٩ ، الجندى : السلوك ٣٢ ، ابن العماد : شذارت الذهب ٢ : ٢٧ ، Sezgin, *GAS* I, p. 99 .

[٢] الصفدى : الوافى ١٨ : ١٥٤ و .

[٣] ابن سمرة : الطبقات ٦٧ .

[٤] السمعانى : الأنساب (نشره مرجوليوث *G.M.S.* ١٩١٢) ورقة ٣٥٥ و ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٢١٦ .

[٥] ابن خلكان : وفيات ٣ : ٢١٦ ، الصفدى : الوافى ١٨ : ١٥٣ ظ .

[٦] يمكن معرفة مضمون هذه الصحيفة عن طريق ما اقتبس منها فى مسند ابن حنبل =

وذكر ابن حجر أنه رَوَى بعض الأحاديث التى ليست فى كتبه [١] . واشتُهر بكتابه « المُصنَّف فى الحديث »[٢] . ووصفه بعض المؤرخين بأنه من معتدلى الشيعة ، وأنه أَخذَ التشيُّع عن جعفر بن سليمان الضُّبَعِى[٣] . وكانت وفاته باليمن سنة اثنتى عشرة ومائتين / ٨٢٧ [٤] . وقيل سنة أحدى عشرة ومائتين (٨٢٦ م) [٥] .

ويمكننا بعد هذا العرض أن نورد الرواية اليمنية فى الحديث كما جاءَت عند البخارى [٦] ، قال : « حدَّثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدَّثنا عبد الرزَّاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر عن همَّام عن أبى هريرة » . ولم يصل إلينا أىّ كتاب لعبد الله بن محمد المسندى هذا المتوفى سنة ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) الذى استخدم البخارى كتبه فى ١١٧ موضعًا [٧] . وترْجِع كل الأحاديث التى وَرَدَت بهذا الإسناد إلى مصنف عبد الرزَّاق وصحيفة همَّام ، ويوجد معظمها فى كتاب « الجامع » لمعمر [٨] . وذكر السخاوى أنه عُدِم بعد هؤلاء الإسناد فى اليمن [٩] .

= (٢ : ٢٣٣ - ٢٣٦ و ٢٣٨ - ٢٤٠) وتوجد الصحيفة فى مكتبة شهيد على باستامبول تحت رقم ٥٣٩ (ورقة ١١٩ ظ - ١٢٢ و) . Sezgin, *op.cit.* I, 89 - 90 .

(١) ابن حجر : التهذيب ٦ : ٣١٢ ، الذهبى : ميزان الاعتدال ٢ : ٦١٠ .

(٢) نشره فى بيروت حبيب الرحمن الأعظمى فى ١٢ جزءا ، وانظر Sezgin, *op.cit.* I, 99 .

(٣) الذهبى : ميزان الاعتدال ٢ : ٦١١ ، يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية - ح ٣ ظ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ١٨ : ١٥٣ ظ .

(٤) ابن سمرة : الطبقات ٦٨ ، وعند الصفدى : الوافى بالوفيات ١٨ : ١٣٥ وأن وفاته سنة إحدى وعشرين ومائتين .

(٥) ابن خلكان : وفيات ٣ : ٢١٧ ، ابن أبى يعلى : طبقات الحنابلة ١ : ٢٠٩ .

(٦) البخارى : الجامع الصحيح (بولاق ١٣١١ - ١٣١٣ هـ) ١ : ١٤٥ .

(٧) Sezgin, *op.cit.* I, p. 81 .

(٨) *Ibid.* I, p. 81 .

(٩) السخاوى : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ (بغداد ١٩٦٣) ٦٦٤ .

ويجب أن نذكر بين العلماء اليمن الذين ساهموا بدَوْرٍ كبير فى علم الحديث خاصة ، الإمام أبا عبد الله محمد بن يحيى بن أبى عمر العَدَنى الدَّراوَرْدِى [١] . الذى تولَّى القضاء فى عَدَن ثم عاش بعد ذلك فى مكة وبها توفى . رَوَى عن أبيه وعن الفُضَيْل بن عِيَاض وسُفْيَان بن عُيَيْنة ووكيع بن الجرَّاح وعبد الرزَّاق بن همَّام وغيرهم ، وسمع منه مُسْلِم بن الحجَّاج وروى عنه فى « الجامع الصحيح » وأبو عيسى الترمذى وابن مَاجَة وغيرهم . واشتهر بكتابه « المُسْنَد » [٢] إلَّا أنه لم يصل إلينا وبقى فقط من مؤلفاته كتاب « الإيمان » [٣] . واختُلِف فى تاريخ وفاته فجَعَلها اليافعى ومن نقلوا عنه حول سنة ٣٢٠ / ٩٣٢ ولكن البخارى حَدَّد تاريخ وفاته بما لا يَدَعُ مجالًا للشك لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة ٢٤٣ / ٨٥٨ [٤] .

° ° °

وفى الفقه كان أكثر أهل اليمن حتى المائة الثالثة ، قبل أن تلحقهم فتنتا القَرَامِطَة (الإسماعيلية) والهَادَوِيَّة (الزيدية) — على حد تعبير ابن

---

[١] ترجمته عند ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ج ٤ ق ١ ص ١٢٤ ، البخارى : التاريخ الكبير ق ١ ج ١ ص ٢٦٥ ، ابن سمرة : الطبقات ٧٢ ، الجندى : السلوك ٣٥ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢ : ٢٨٠ ، الفاسى : العقد الثمين ٢ : ٣٨٧ — ٣٨٨ ، ابن حجر : التهذيب ٩ : ٥١٨ — ٥٢٠ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٢٣٠ ، Sezgin, *GAS*. I, p. 110 - 111 .

[٢] بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ٢٣٠ .

[٣] منه نسخة فى الظاهرية ، مجمع برقم ١٠٤ (من ورقة ٢٣٣ و — ٢٥٠ ب) .

[٤] البخارى : التاريخ الكبير ق ١ ج ١ ص ٢٦٥ ، الفاسى : العقد الثمين ٢ : ٣٨٨ .

سَمُرَة [١] - « إما مالكية وإما حنفية وهو الغالب » [٢] . وكان علما الحديث والفقه حتى ظهور مذهب الشافعى هناك يؤخذان عن جُلَّة من العلماء منهم من أهل صنعاء : محمد بن يوسف الحُذَاق الذى رُوِى عنه فقه أبى حنيفة [٣] ، وأبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدَبَرى [٤] ، الذى أخذ عن عبد الرزَّاق جامع معمر [٥] ، وأبو محمد عبيد بن محمد بن إبراهيم الكِشْوَرِى [٦] ، وأبو القاسم جعفر بن محمد بن الأعجم ، وأبو القاسم الحسن بن عبد الأَعْلَى البَوْسِى ، والحسن بن أحمد البَوْسى [٧] ، وأبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكَنِّى الذى كان يتردَّد ما بين صَنْعَاء ومَكَّة وزَبِيد ، وسمع عليه شيوخٌ كثيرون ، ودخل حديثه . فى كتاب « الشريعة » [٨] لأبى بكر محمد بن الحسين الآجُرِّى البغدادى [٩] .

---

[١] ابن سمرة : الطبقات ٧٥ - ٧٧ ، وانظر أعلاه ص ٣ .

[٢] المصدر نفسه ٧٩ و ٧٤ . وذكر السخاوى : المصدر السابق ٦٦٤ ، أنه كان بحضرموت بعض العثمانية ، وهم أنصار عثمان بن عفان .

[٣] الرازى : تاريخ صنعاء ٣٠٩ ، ابن ماكولا : الإكمال (ط . الهند) ٢ : ٤٠٨ ، ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الأنساب (القاهرة ١٩٣٨) ١ : ٢٨٦ .

[٤] كان موجودا سنة ١٧٢ هـ . والدَبَرى نسبة إلى قرية تعرف بدَبَرَة على نصف مرحلة من صنعاء . (الجندى : السلوك - خ ٣٨) .

[٥] المصدر نفسه ٣٨ .

[٦] الكَشْوَرى . بفتح الكاف - وقيل بكسرها - نسبة إلى كِشْور وهى من قرى صنعاء (ابن الأثير : اللباب ٣ : ٤٣) . وللكشورى كتاب فى التاريخ اعتمد عليه كثيرا الرازى صاحب كتاب « تاريخ صنعاء » أنظر فهرس الكتاب ص ٥١٠ .

[٧] ابن سمرة : الطبقات ٦٤ ، ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس (مجريط ١٨٩٠) ١ : ٣٨٤ - ٨٥ . والبَوْسِى - بفتح الباء الموحدة والواو الساكنة ثم السين المهملة فى آخرها نسبة إلى بَوْس قرية بصنعاء اليمن يقال لها بيت بوس (ابن الأثير : اللباب ١ : ١٥٢ ، ياقوت : معجم البلدان (ط . وستنفلد) ١ : ٧٥٨) .

[٨] منه نسخة فى المكتبة الآصفية بالهند برقم ٣٧٧ . ونشره عن نسخة أخرى فى القاهرة سنة ١٩٥٠ الشيخ محمد حامد الفقى .

[٩] ابن سمرة : الطبقات ٦٥ .

الحالة السياسية فى بلاد اليمن فى أوائل القرن الثالث

كانت بلاد اليمن تتمتع فى القرنين الأول والثانى للهجرة باستقرارٍ سياسى نسبى ، فلم تَشْهد إلَّا قلاقل بسيطة لم يُقدَّر لها النجاح [١] . وفى الوقت نفسه كان لليمنيين اعتقادٌ حسنٌ فى حبِّ آل البيت ناتج عن دخول الإمام على إلى اليمن ، وخاصة فى وَسَط قبائل هَمْدَان [٢] . وقد شجَّع ذلك بالإضافة إلى بُعْدها وتطرُّفها عن مركز الخلافة ، ووعورة مسالكها وطبيعتها الجبلية ، شجّع العلويين أن يتطلعوا إليها يتَّخذوا منها مركزًا لنشاطهم ضد أبناء عمومتهم العباسيين ، الذين اعتقدوا أنهم اغتصبوا منهم الحكم .

فبعد موقعة فَخّ سنة ١٦٩ / ٧٨٦ التى اعتبرها الشيعة كَرْبَلاء أخرى ، لم ينج من أهل بيت الحسن إلَّا إدريس ويحيى ابنا عبد الله بن الحسن . أما إدريس فلحق بأرض المغرب [٣] . وخرج يحيى إلى اليمن وأقام بصنعاء أيامًا واشتدَّ عليه الطلب فسار [٤] إلى الدَّيْلَم وانتصر له أهل اليمن .

وشهدت اليمن فى أواخر القرن الثانى ثورة إبراهيم بن موسى بن جعفر الذى جاء إلى اليمن داعيةً لإمام الكوفة العلوى محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن

---

[١] انظر أعلاه ص ٤١ - ٤٢ .
[٢] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار (م . م . هـ .) .
[٣] انظر فيما يلى ص ٦٨ - ٦٩ .
[٤] يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ١٣٩ .

طَبَاطَبَا [١] الذى توفى فى سنة ١٩٩ / ٨١٥ قبل أن يصل ابن موسى إلى اليمن فى صفر سنة مائتين / ٨١٥ م [٢] ، وناصرته بنو فُطَيْمة إحدى قبائل صَعْدَة [٣] . وقضى إبراهيم بن موسى أَيَّامه فى اليمن يُسْرِف فى العُنْف والقتل حتى لُقِّب بالجزَّار [٤] ، فاضطر الخليفة المأمون أن يبعث إلى اليمن من يَمْسِك أزِمَّة الأمور بها ليستقيم له أمرُها [٥] ، فبعث إليها محمد بن على بن عيسى بن مَاهَان فكانت بينه وبين إبراهيم بن موسى وقائع عظيمة [٦] . ثم أرسل إليها محمد بن إبراهيم بن زياد [٧] فى سنة ٢٠٣ / ٨١٨ ، الذى يُفْهم مما ذكره عمارة اليمنى أن إرساله كان بسبب ثورة الأَشَاعِر وعَكّ فى تهامة [٨] ، ولكن من الممكن أن تكون حركة إبراهيم الجزّار قد أثَّرت فى هذه الثورة وأن العلويين

---

[١] الأصفهانى : مقاتل الطالبيين (نشرة السيد صقر ، القاهرة ١٩٤٨) ٥١٨ - ٥٣٢ ، الطبرى : التاريخ (ط . أبو الفضل إبراهيم) ٨ : ٥٢٨ - ٥٣٠ ، المسعودى : مروج الذهب (بيروت) ٤ : ٣٢٣ ، الأشعرى : مقالات الإسلاميين (بيروت ١٩٦٣) ٨١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٦ : ٣٠٢ - ٣٠٥ ، ابن خلدون : العبر ٤ : ٨ ، ابن الديبع : قرّة العيون (تحقيق الأكوع) ١٤٤ ، Amoretti, *EI²*.,art. « *Ibn Tabataba*,, III, pp. 973-75 . وطباطبا لقب إبراهيم بن إسماعيل وإنما قيل له ذلك لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاء (ابن خلكان : وفيات ١ : ١٣٠) .

[٢] مؤلف مجهول : العيون والحدائق فى أجبار الحقائق (ليدن ١٨٦٩) ٣ : ٣٤٧ - ٣٤٩ . الأشعرى : مقالات الإسلاميين ٨١ ، يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية - خ ورقة ٧ و .

[٣] يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ١٤٨ - ١٤٩ .

[٤] يحيى بن الحسين : أبناء الزمن - خ ٥٨ ، وراجع : الطبرى : التاريخ ٨ : ٥٣٥ و ٣٦ ، المسعودى : مروج الذهب ٤ : ٣٢٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦ : ٣٠٥ (وفيه أن أبا السَّرايا بن منصور هو الذى ولّاه اليمن) ٣١٠ و ٣١٣ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن (تحقيق مصطفى حجازى ، القاهرة ١٩٦٥) ٢٤ - ٢٥ ، ابن خلدون : العبر ٤ : ٩ .

[٥] ابن عبد المجيد : المصدر السابق ٢٤ ، ابن خلدون : العبر ٤ : ٩ ، القلقشندى : مآثر الإنافة فى معالم الخلافة (الكويت) ١ : ٢١٦ .

[٦] ابن عبد المجيد : المصدر السابق ٢٤ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ١ : ١٤٩ ، ابن الديبع : قرة العيون ١٤٦ .

[٧] انظر مراجع ترجمته عند ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ٣٨٠ .

[٨] عمار اليمنى : تاريخ اليمن (تحقيق حسن سليمان محمود ، القاهرة ١٩٥٧) ٤٠ - ٤١ .

قاموا بدورٍ فى هذه الاضطرابات ، فابن خلدون يذكر أن إرسال ابن زياد كان بسبب العلويين [١] . وأيًّا كان الأمر فقد نجح ابن زياد فى القضاء على ثورة الأشاعر وعكّ وأعاد الأمور إلى هدوئها وفتح تهامة واختط مدينة زَبيد [٢] واتَّخَذَها عاصمةً له [٣] . فكان أوَّل مؤسس للدول المستقلة فى اليمن – تحت سيادة العباسيين – واستمرت دولته بعده إلى سنة ٤٠٧ / ١٠١٦ [٤] .

أدّى استقلال الزياديين بمنطقة تهامة إلى تشجيع العباسيين لليُعْافرة [٥] ليؤسِّسُوا دولةً مناوئةً لهم فى صنعاء ولكنهم لم يظهروا كقوة سياسية إلَّا فى عهد المعتمد على الله العباسى ، الذى أخذ له البيعة فى اليمن الأمير محمد بن يُعْفر بن عبد الرحيم ، ووَصَلت إليه كتب المعتمد فى سنة ٢٥٧ / ٨٧٠ فوجّه

---

[١] ابن خلدون : العبر ٤ : ٨ .

[٢] راجع ، طاهر مظفر العميد : « بناء مدينة زبيد فى اليمن » ، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد ١٣ (١٩٧٠) ٣٤٠ – ٣٦٠ .

[٣] عمارة : تاريخ اليمن ٤٠ – ٤١ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن (ليدن ١٩٥١) ٦٥ ، يحيى ابن الحسين : غاية الأمانى ١٥٠ .

[٤] عمارة : تاريخ اليمن ٣٩ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ٧١ .

[٥] اليُعَافرة : نسبة إلى أول ملك منهم وهو يُعْفِر بن عبد الرحمن بن كريب (الهمدانى : الإكليل ١ : ٢٤١ ، ٢ : ٦٦ و ٥٥ و ١٧٨ و ١٨١ ، ١٠ : ٥١) . ويُعْفِر بضم الياء وكسر الفاء ، وهى ليست إلَّا فى قحطان والعماليق ، ومن كان من العرب العاربة . أما فى سائر العرب فيعفر مثل يشكر ويذكر (الهمدانى : الإكليل ٢ : ٧١ – ٧٢) . ويرى الدكتور محمود الغول أن هذا الضبط غير سليم ، إذ لو كان كذلك لورد الاسم فى النقوش يهعفر كما ورد يهرعش ويهنعم ، ومثل هذا يُضم أوله ، ولكن الاسم ورد فى النقوش دون هاء ، فحقه فتح أوله . (انظر القاضى النعمان : رسالة افتتاح الدعوة (تحقيق وداد القاضى ، بيروت ١٩٧٠) ٤٣ هـ ٤) .

وكان بدء ملك اليعافرة لليمن فى شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائتين (الهمدانى : الإكليل ٢ : ٧١ – ٧٢) وإن كان يِشك فى صحة هذا التاريخ ، وسقطت دولتهم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

(المزيد من التفصيلات انظر مقال راضى داغفوس : Daghfous , R., « Une dynastie yemenite autonome : Les yu‘furides (213 - 393 / 828 - 1002) », *Les cahiers de Tunisie* t. XXX . 119 - 120 (1982), pp. 43 - 125 .

عُمَّاله على المخاليف وغلب على صنعاء والجَنَد وحضرموت . ومع ذلك ظَلَّ اليُعَافِرة يوالون الزياديين أصحاب زبيد ويحملون إليهم الخراج وكانوا كنواب لهم فى صنعاء ومخاليفها لعجزهم عن مقاومتهم[١] ، وفى الوقت نفسه واصل ابن زياد الخطبة للعباسيين وحمل إليهم الأموال والهدايا هو وأولاده من بعده[٢] .

هكذا كان حكم اليمن فى القرنين الثالث والرابع متنازعًا بين القوى السياسية المختلفة [٣] فكان فى تِهَامة : ابن طَرْف صاحب عثَّر والمخلاف السليمانى ، ويتلوه الحرّانى صاحب حَلْى ، وأجلّهم ابن زياد صاحب زبيد الذى يَخْطُب له ملوك الجبال على منابرهم وكلهم فى طاعته ، كما له على صاحب جزائر دَهْلَك هدايا كثيرة [٤] . وصنعاء فى أيدى بنى يُعْفر وهم أيضًا يخطبون لآل زياد ويضربون السِّكة باسمهم [٥] . أما صَعْدة فقد تغلَّب عليها الأشراف الزيديين [٦] .

وفى عهد أبى الجيش إسحاق بن إبراهيم [٧] تضعضَعَت أطرافُ دولة الزياديين ، وتغلَّب ولاةُ الحصون والجبال على ما تحت أيديهم ، فقد طالت مدَّته فى الولاية حتى بلغت ثمانين عامًا ، ثم قام بأمرهم عبدٌ حبشىٌ هو الحسين

---

(١) الأشرف الرسولى :فاكهة الزمن ٧٣ و ٧٦ ، ابن عبد المجيد : المصدر السابق ٣٤ .

(٢) ابن المجاور : صفحة ٦٧ .

(٣) لمزيد من التفصيل راجع رسالة محمد صابر دياب : تطور الحالة السياسية باليمن خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة (رسالة ماجستير – جامعة القاهرة ١٩٦٩) .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨) ٢٣ – ٢٤ ، المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ليدن ١٩٠٦) ١٠٤ .

(٥) المصدر نفسه ، عمارة : تاريخ ٣٨ ، ابن المجاور : صفة ٦٨ ، ابن خلدون : العبر ٤ : ٢١٣ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن (ط . ماضى ، ليستبح ١٩٣٦) ٣٧ .

(٦) انظر فيما يلى الباب الثالث .

(٧) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ٢٨ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٦ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ١٨٩ .

ابن سلامة ، فحارب أهل الجبال حتى دانوا له إلَّا أنه لم يستطع أن يرجئ سقوط الدولة فاضطرب ملكهم وولى الأمر عبيدُهم ثم عبيد عبيدهم النجاحيون [١] .

المذهبُ الشافعي في اليمن

المذاهب الفقهية

عندما امتدت حدود مملكة الإسلام بعد حركة الفتوح الإسلامية عَرَضَت للمسلمين مسائل جديدة لم يجدوا لها فى القرآن والسنَّة حلا صريحًا ، فكان لابد من إعمال « الرأى » لاستخراج الأحكام عن طريق « القياس » ، أو الأخذ « بإجماع » آراء فقهاء المسلمين . فنشأ عن ذلك « علم الفقه » وهو العلم الباحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من أدِلَّتها الشرعية [٢] . وانقسم علماءُ المسلمين الأوائل فى ذلك مدرستين : مدرسة الحجازيين التى عُرِف أصحابها « بأهل الحديث » ، ومدرسة العراقيين التى عرف أصحابها « بأهل الرأى » [٣] .

ويمثِّل مدرسة العراقيين « أهل الرأى » الإمام أبو حنيفة النعمان الذى اعتمد على القرآن فى استخراج الأحكام عن طريق الاستنتاج العقلى القائم على المنطق الدقيق وهو « القياس » . وعندما كان فقهاءُ الحنفية يجدون أن القياس المنطقى الخالص قد يؤدى إلى نتائج لا تتفق مع العُرْف المعمول به فى بَلَدٍ من البلاد كانوا يبحثون عن حل « يستحسنونه » لهذه الحالة [٤] .

أما مدرسة أهل الحديث فيمثلها الإمام الأَوْزَاعى الذى لم يَرْضَ عما

---

[١] بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ٥٩ .

[٢] طاشكبرى زادة : مفتاح السعادة ٢ : ٦٢ ، و Schacht, J., *EI* art. « *Fiḳh* », II, p. 906 .

[٣] أحمد أمين : ضحى الإسلام (القاهرة ٩٣٥) ٢ : ١٥١ – ١٦٢ .

[٤] آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى (القاهرة ١٩٥٥) ٤١٣ .

استحدثه الأحنافُ من أقْيِسَة ذات طابعٍ فلسفى [١] ، ويرى المقدسى أن عدم انتشار مذهب الأوزاعى راجع إلى أنه كان متطرفًا فلم يَنْقِل عنه كثيرُ أحد [٢] .

وجَمَع مذهب الإمام مالك بين سَلَفية الأوزاعى ، وحرية المذهب الحنفى فى الأخْذ بالقياس . وأعطى مالك إلى جانب اعتماده على القرآن والسنة « إجماع أهل المدينة » أهميةً خاصة فى بعض المسائل ، و لم يلجأ إلى الرأى إلَّا فى حالات الضرورة القصوى [٣] .

هذان هما المذهبان اللذان سادا فى بلاد اليمن حتى الربع الأخير من القرن الثالث للهجرة ، وأوجز المَقْدِسِى (المتوفى نحو سنة ٣٨٠ هـ) مذاهب أهل اليمن فى وقته قال : « ومذاهبهم بمكة وتِهَامة وصنعاء وقُرْح سُنّة ، وسوادُ صنعاء ونواحيها مع سواد عُمَان شراة غالية ، وبقية الحجاز وأهل الرأى بعُمَان وهَجَر وصَعْدة شيعة . وشيعةُ عُمَان وصَعْدَة وأهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة إلَّا عُمَان . [والغالب على صنعاء وصَعْدة أصحاب أبى حنيفة والجوامع بأيديهم] ، وبالمَعَافِر مذهب ابن المنذر [٤] ، وفى نواحى نَجْد اليمن مذهب سفيان [٥] ، ثم أضاف أن القراءة الشائعة باليمن قراءة عاصم ، وإن كانت قراءة أبى عمرو بن العلاء مستعملةً فى جميع الإقليم [٦] . وذكر ابن سَمُرَة

---

(١) المرجع نفسه ٤١٣ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ١٤٤ .

(٣) بالنثيا : المرجع السابق ٤١٤ .

(٤) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى . مجتهد « لم يكن يتقيد بمذهب بل يدور مع ظهور الدليل » . توفى سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) . له كتاب « السنن والاجتماع والاختلاف » (اليافعى : مرآة الجنان ٢ : ٢٦١ ، الصفدى : الوافى ١ : ٣٣٦ ، السبكى : طبقات الشافعية ٢ : ١٢٦ — ١٢٩ Sezgin, *GAS* I, pp. 245 - 96) .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ٩٦ .

(٦) المصدر نفسه ٩٧ ، وقارن ، بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ٤٦ .

أن أهل السنة فى اليمن فى المائة الثالثة كانوا « إما مالكية وإما حَنَفِيَّة وهو الغالب » [١] .

ولم يُقَدَّر لمذهب أبى حنيفة أن ينتشر ويستمر فى اليمن بعد المائة الثالثة ، فقد حلَّ مكانه مذهبُ الشافعى وظلَّ سائدًا هناك وخاصة فيما يُعْرف باليمن الأسفل إلى وقتنا هذا . وسببُ ذلك أنه جاء وسَطا بين المذاهب ، فنسَّق أصولَ الفقه التى أُخذت بها المذاهب المختلفة ، فأخذ بالقرآن والسنة ، وأخذ بالإجماع فى المسائل التى جرى العمل بها فى كافة بلاد الإسلام ، وذهب الشافعى كذلك إلى تعميم استعمال القياس وإعمال الرأى [٢] .

الشافعى فى اليمن

كان شخوصُ الإمام الشافعى [٣] إلى اليمن سببًا مباشرًا فى انتشار مذهبه هناك ، مثلما كانت إقامته ووفاته بمصر سببًا فى ذيوع مذهبه وانتشاره فيها .

---

(١) ابن سمرة : الطبقات ٧٩ و ٧٤ .

(٢) بالنثيا : المرجع السابق ٤١٤ ، محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الإسلامى (القاهرة ١٩٥٨) ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) الإمام محمد بن إدريس الشَّافِعى . أحدُ الأئمة الأربعة عند أهل السنة . وإليه نسبة الشافعية كافة . قدم إلى اليمن مع جَدِّه لأمه عبيد الله بن الحسن سنة ١٨٤ هـ طلبًا للعلم فأخذ بها عن قاضى صنعاء يومئذ هشام بن يوسف الأَبْنَاوِى ، ومُطَرِّف بن مَازن - أحد أصحاب ابن جُرَيْج - ومحمد ابن يوسف الجندى ، ولم يلبث أن غادر اليمن . ثم عاد إليها مرة أخرى مع مُصْعَب بن عبد الله بن الزبير لما ولَّاه الرشيد قضاء اليمن ، فاستنابه ابن الزبير على قضاء نَجْران فحكم بها أحكاما محرَّرة ، فحَسَده على ذلك مُطَرِّف بن مازن فكتب إلى الرشيد « إن أَرَدْتَ اليمن لا يَفْسِد عليك ولا يَخْرِج من يديك فأخرج عنه محمد بن إدريس » (ابن سمرة : الطبقات ١٣٩) فطلَبه الرشيد وعفَى عنه فسار إلى مصر وبها توفى سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) . (راجع ، ابن أبى حاتم : آداب الشافعى ومناقبه (القاهرة ١٩٥٣) ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٢ : ٥٦ - ٧٣ ولمصطفى عبد الرزاق : الإمام الشافعى (القاهرة ١٩٤٥) ، ومحمد أبو زهرة : الشافعى ، حياته وعصره - آراؤه وفقهه (القاهرة ١٩٤٥) ، وانظر قائمة مطولة بمصادر ترجمته ومؤلفاته وأماكن وجودها عند Sezgin, *GAS* I, PP. 484 - 490 .

بينما نرى أن مذهب الإمام ابن حنبل لم يقدر له الانتشار نهائيا فى اليمن رغم دخول الإمام ابن حنبل نفسه إليها حيث أخذ على عبد الرزاق بن هَمَّام الصَّنْعَانِى وأقام عنده مدة [١] وإن صَارَ كثيرٌ من شافعية اليمن فيما بعد شافعية فى المذهب وحنابلة فى العقيدة [٢] .

° ° °

شَهِدَ اليمَنُ مع ظهور مذهب الشافعى به فى المائة الثالثة علمَاءَ كثيرين حملوا المذهب وتولّوا نشره وإذاعته . ومن المتعذر علينا أن نذكر جميع اليمنيين الذين ساعدوا على نشر المذهب أو الذين ألفوا فى فقهه . فقد أُلِّفَت كتبٌ فى طبقات رجال المذهب أحْصَتهم ومؤلفاتهم ، ولكننى سأكتفى بذكر أكابر رجال المذهب الذين أُخِذَ عنهم فقه المذهب وتتلْمَذ عليهم أنصاره .

فمن أوائل رجال المذهب الذين ساعدوا على نشره فى اليمن الإمام القاسم ابن محمد بن عبد الله الجُمَحِى السَّهَفَنى [٣] المتوفى بسَهْفَنَة [٤] سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥ م) أخذ فقهه وعلمه على علماء المائة الرابعة حيث كان المذهب قد بدأ فى الاستقرار وجَذَب إليه كثيرًا من الأنصار ، فأخذ فى بدايته عن أبى

---

[١] الجندى : السلوك ٣٣ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٤ .

[٢] انظر مثلا ، ابن أبى الرجال : مَطْلَع البدور ومَجْمَع البحور (مخ . دار الكتب رقم ٤٣٢٢ تاريخ) ١ : ٣٨٠ ، يحيى بن الحسين : أبناء الزمن ٢٢٣ .

[٣] ابن سمرة : الطبقات ٨٧ ، الجندى : السلوك ٧٥ .

[٤] سهْفنة . بفتح السين المهملة وسكون الهاء وفتح الفاء والنون ثم هاء ساكنة . وتسمى أحيانا سفنه بحذف الهاء الأولى . إحدى قرى الجبال المقصودة لطلب العلم من عصر القاسم إلى عصر الجندى ، وتقع قبلى الجند على ثلث مرحلة منها (الجندى : السلوك ٧٤) .

محمد عبد الله بن على الزُرْقَانى – أحد كبار فقهاء اليمن [١] – ثم انتقل إلى زبيد – وكان مذهب الشافعى بها معروفًا – فتلقَّى عن شيوخها [٢] ، كما رَحَل إلى مكة سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) ولقى بها بعض أئمة الشافعية فى هذا العصر [٣] . وعن هذا الفقيه انتشر مذهب الشافعى فى مخلاف الجند وصنعاء وعدن ومنه استفاد فقهاء هذا المذهب فى هذه البلاد ، وقَصَده طلبة العلم من جميع أنحاء اليمن فى مدرسته بسَهْفَنة ، ومنهم شافعية المَعَافِر ولَحْج وأُبْيَن وأهل الجَنَد والسَّحُول وأُحَاظَة وَعنَّة وظَبَا . وذكر الجندى أنه لم يكن لأحدٍ من المتقدمين من أهل اليمن أصحاب كأصحابه كثرة وفضلا [٤] . ويخبرنا ابن سمرة أن « الشفعوية وكتبها قبل القاسم القرشى وأصحابه كانت غير مشهورة فى اليمن » خصوصًا فى صَعْدَة ومخاليف صنعاء [٥] ، التى انتشرت بهما الدعوتان الزيدية والإسماعيلية [٦] . وفى الوقت نفسه عُرِفَ مذهب الشافعى فى تِهَامَة بفضل جهود الفقهاء بنى أبى عُقَامَة « الذين نَصَر الله بهم المذهب هناك » [٧] .

---

(١) كان كثيرَ الرحلة فى طَلَب العلم ، وصل مكة سنة ٣٥٣ هـ فسمع بها عن الأسيوطى عن الطحاوى عن المزنى عن الشافعى . فلما عاد إلى اليمن أخذ عنه جماعة منهم القاسم بن محمد هذا ، الدى اعتبره الجندى من الأئمة المعدودين فى اليمن (ابن سمرة : الطبقات ٨١ – ٨٢ ، الجندى : السلوك ٧٠) .

(٢) ابن سمرة : الطبقات ٨٨ .

(٣) ابن سمرة : الطبقات ٨٩ .

(٤) الجندى : السلوك ٧٤ ، وانظر قائمة ببعض من أخذوا عنه العلم عند ابن سمرة فى الطبقات ٩١ .

(٥) ابن سمرة : الطبقات ٨٠ و ٨٧ .

(٦) المصدر نفسه ٧٩ .

(٧) ابن سمرة : الطبقات ٢٤٠ ، السبكى : طبقات الشافعية ٧ : ١٣٠ ، وانظر بامخرمة : تاريخ

كتب الشافعية في اليمن

استتبع انتشار مذهب الشافعى فى اليمن دراسة أصوله وفقهه عن كتب شيوخ المذهب المشهورين . فمن أهم كتب الشافعية التى كانت تدرَّس فى اليمن فى هذا الوقت « سُنَن المُزَنِى »[١] و « سُنَن الرَّبيع »[٢] ومؤلفات القاضى مسلم بن أبى بكر بن أحمد المَرَاغى فى علم الكلام[٣] ، و « مختصر المُزَنى »[٤] وشروحه وأشهرها فى اليمن شرح الإمام أبى الفتوح يحيى بن عيسى بن مُلَامِس الذى وصفه الجندى بأنه شرحٌ مفيد[٥] . ويعد ابن ملامس أحد من انتشر عنهم فقه المذهب فى بلاد اليمن وكانت وفاته بمخلاف جعفر نحو سنة ٤٢٠ هـ[٦] (١٠٢٩ م) ، وذَكَر فى أول شرحه أنه شرَحَه بمكة المشرفة فى أربع سنين مقابلا للكعبة الشريفة[٧] .

* * *

---

(١) « السُّنَنُ المأثورة عن الشَّافِعِى » للمزنى وهى فى الحديث . منها عدة نسخ فى استامبول والقاهرة (انظر تفصيلها عند Sezgin, *GAS* I, P. 488, 93) ونشرت فى القاهرة سنة ١٣١٥ هـ .

والمزنى . هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق . قال عنه الشافعى : « المُزَنى ناصِرُ مذهبى » توفى سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٧ م) (السُّبْكِى : طبقات الشافعية ٢ : ٩٣ - ١١٢) .

(٢) لم أقف على هذا الكتاب . وهو الربيع بن سُلَيْمان المُرادى توفى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) قال له الشافعى : « أنت راوية كتبى » . (السبكى : طبقات الشافعية ٢ : ١٣٤) .

(٣) ابن سمرة : الطبقات ٩٠ و ١٢٤ .

(٤) مختصر المُزَنى فى فروع الشافعية . أحد كتب خمسة مشهورة عندهم (حاجى خليفة : كشف الظنون ١٦٣٥) ، وحثَّ الغزالى على تعلُّم هذا المختصر (إحياء علوم الدين ١ : ٣٥) . وطُبع فى القاهرة على هامش كتاب الأم للشافعى سنة ١٣٢١ / ١٣٢٦ هـ (وأعيد بطريقة الأوفست فى سنة ١٩٦٣) .

(٥) الجندى : السلوك ٧٥ .

(٦) ابن سمرة : الطبقات ٩٣ ، الجندى : السلوك ٧٥ ، الفاسى : العقد الثمين ٧ : ٤٤٤ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣ : ٣٦ . والمُلَامِسِى بضم الميم نسبة إلى المُلَامِس بن خُزَيْمَة الحضرمى (ابن =

وفى المائة الخامسة انتقل الفقه إلى طبقة أخرى أكثرها أصحاب القاسم بن محمد القُرَشى . من أشهرهم الإمام جعفر بن عبد الرحيم المَحَابِى [١] الذى دَرَس على القاسم بن محمد وكان « فقيهًا ورعًا زاهدًا مبرهنًا للنصوص نقالًا لها محققًا مدقِّقا [٢] سكن قرية الظُّرَافَة [٣] وانتقل منها إلى الجَنَد للفتوى والتدريس [٤] . صَنَّف كتابًا فى الخلاف سمَّاه « الجامع » . وممن سمع عنهم أيضًا الإمام أبى الفتح بن مُلَامس . وكان الإمام المَحَابِى موجودًا فى أيام الداعى على بن محمد الصُّلَيْحِى ، الذى كان يعمل على نشر الدعوة الفاطمية فى اليمن استكمالًا لما بدأه منصور اليمن ابن حوشب [٥] ، فكان المَحَابِى وبقية أهل السنَّة فى اليمن يتَّقُون من الصليحى . وتوفى المَحَابِى فى سنة ستين وأربعمائة (١٠٦٧ م) [٦] .

ومن أشهر رجال هذه الطبقة أيضا الشيخ المحَدِّث الحافظ عبد الملك بن محمد بن أبى مَيْسَرَةَ اليافعى المتوفى سنة ٤٩٣ / ١٠٩٩ [٧] ، وهو فقيه عالم نَقَّال للمذهب عارف بطُرُق الحديث وروايته ، كثيرُ الرحلة فى طَلَب العلم [٨] ، وأخذ « الرسالة الجديدة » للشافعى عن أبى بكر بن محمد اليَزْدِى

= الأثير : اللُّبَاب ٣ : ١٩٦) .

(١) ابن سمرة : الطبقات ٩٤ ، الجندى : السلوك ٧٦ ، الشرجى : طبقات الخواص (القاهرة ١٣٢١) ٤٦ .

(٢) الجندى : السلوك ٧٦ .

(٣) قرية تقع شرقى سَهْفَنَة (انظر ص ٦٠) بضم الطاء المعجمة وفتح الراء ثم ألف وفتح الفاء ثم هاء (الجندى : السلوك ٧٦) .

(٤) ابن سمرة : الطبقات ٩٤ .

(٥) انظر تفصيل ذلك فى الباب الثانى .

(٦) ابن سمرة : الطبقات ٩٥ .

(٧) ترجمته عند ، ابن سمرة : الطبقات ٩٩ ، الجندى : السلوك ٧٩ ، الفاسى : العقد الثمين ٥ : ٥١٤ ؛ الشرجى : طبقات الخواص ٧٧ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٢٦ .

(٨) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٢٦ .

سنة ٤٣٨ / ١٠٤٥ بعدن [١] .

° ° °

صار مَذْهَبُ الإمام الشافعى هو مذهب الدول السنية التى حَكمت اليمن ، وكان ملوكُ وسلاطينُ هذه الدول – التى استقرَّت فيما يُعْرَف باليمن الأسفل – حريصين على تنشئة أولادهم على اعتناق هذا المذهب ودراسة أصوله . فجاء فى الرسالة التى كتب بها الملك جَيَّاش بن نَجَاح إلى مُعَلِّم ولده ما نصّه : « ...... وعلّمه كتاب الله .... وعَلِّمه قراءة أبى عمرو ، فإنَّها أَشْهَرُ القراءات فى البدو والحضر ، واختر له مذهب الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ... » [٢] .

وكان تفقّه العلماء فى هذا الوقت بكتاب « المختصر » للمُزَنِى ، وفى الأصول بكتاب « الرسالة » [٣] للشافعى ، وبمصنفات القاضى أبى الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عثمان الطَّبَرى [٤] المتوفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م)

---

[١] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٢٧ .

[٢] المصدر نفسه ٢ : ٤٦ .

[٣] الرِّسَالَة . فى أصول الفقه ، صَنَّفَها الشافعى وهو شاب لعبد الرحمن بن مهدى لما سأله أن يصَنِّف كتابًا « فيه معانى القرآن ويجمع فيه فنون الأخبار وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة » (الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٢ : ٦٤ – ٦٥) . وطُبِعَت الرسالة أكثر من مرة فى القاهرة فى السنوات ١٣١٢ و ١٣٢١ و ١٣٢٧ هـ ، وفى الهند سنة ١٨٨٩ . وأحسن نشراتها نشرة الشيخ أحمد محمد شاكر فى القاهرة سنة ١٩٤٠ . وانظر Sezgin, *GAS* I, P. 488 وتُجْمِع المصادر على أن الشافعى هو أول من صَنَّف فى أصول الفقه بكتابه هذا .

[٤] انظر الخطيب البغدادى : المصدر السابق ٩ : ٣٥٨ – ٦٠ ، ابن خلكان : وفيات ٢ : ٥١٢ – ٥١٥ ، السبكى : طبقات الشافعية ٥ : ١٢ ، الإسنوى : طبقات الشافعية ٢ :٥٧ . =

والشيخ أبى حامد أحمد الأسْفرايينى [1] المتوفى سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) ، وكتب أبى على الحسن بن محمد بن العباس الطبرى الزُجَاجِى المتوفى قبل المائة الرابعة ترجيحًا [2] . وأحمد بن محمد القَطَّان الطبرى [3] المتوفى سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م) و « المجموع » لأبى الحسن أحمد بن محمد الضَّبى المَحَامِلِى [4] المتوفى سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م) ، وشروح المُزَنِى المشهورة ، وبكتب الفروع لأبى الفتح سُلَيْم بن أَيُّوب بن سليم الرازى [5] المتوفى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) .

دخول كتاب "المهذب" للشيرازى إلى اليمن

ظَلَّت هذه الكتب هى المتداولة بين شافعية اليمن إلى أن دَخَل إليها « المُهَذَّب » [6] ، فى الفروع للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف

= له « شرح مختصر المزنى » ، انظر Sezgin, *op. cit*, I, p. 493 .

[1] انظر الخطيب البغدادى : المصدر السابق ٤ : ٣٦٨ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٧٢ ــ ٧٤ ، السبكى : المصدر السابق ٤ : ٦١ ــ ٧٤ .

[2] انظر السبكى : المصدر السابق ٣ : ٢٦٥ و ٤ : ٣٣١ ، الإسنوى : طبقات الشافعية ١ : ٥٧ ــ ٥٩ .

[3] انظر الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد : ٤ : ٣٦٥ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٧٠ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ٧ : ٣٢١ ، الإسنوى : الطبقات ٢ : ٢٩٨ .

[4] ترجمته عند ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٤ : ٣٧٢ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٧٤ ، السبكى : طبقات الشافعية ٤ : ٤٨ ، الإسنوى : الطبقات ٢ : ٣٨١ ــ ٨٢ ، والمَحَامِلِى ــ بفتح الميم والحاء المهملة نسبة إلى المحامل التى يحمل عليها الناس فى السفر (ابن خلكان : وفيات ١ : ٧٥) . وكتاب « المجموع فى فروع الشافعية ويشتمل على نصوص كثيرة للشافعى . ولم يَذْكُر سزكين هذا الكتاب ضمن مؤلفات المحاملى وذكر له كتابى « اللباب » و « المقنع » فى الفقه وعَدَّد نسخهما ، (Sezgin, *GAS* I, pp. 499 - 500) .

[5] ترجمته عند ، القفطى : إنباه الرواه (القاهرة) ٢ : ٢٦٩ ، ابن خلكان : وفيات ٢ : ٣٩٧ ، السبكى : الطبقات ٤ : ٣٨٨ ، الإسنوى : الطبقات ١ : ٥٦٢ .

[6] انظر ، حاجى خليفه : كشف الظنون ١٩١٢ ــ ١٩١٣ ، وطبع كتاب المهذب فى مصر فى =

الفيرُوزابَادى الشِّيَرازى [١] المتوفى ببغداد سنة ٤٤٦ / ١٠٨٣ فى آخر المائة الخامسة ، أُدْخَلَه معه الفقيه محمد عَبْدَويه – أحد تلامذة الشيخ أبى إسحاق ببغداد [٢] – . وكتاب « المُهَذَّب » من أَجَلّ كتُب الشافعية ، وهو عندهم ككتاب « القاضى » لمحمد بن عوف الزَّبيدى عند الحنفية فى اليمن والعراقين والشام [٣] ويَبْحَث فى مسائل الخلاف بين الشافعى وأبى حنيفة ، وأكد الجندى أهمية هذا الكتاب بالنسبة لشافعية اليمن بأن قال إنه قد « دَخَل اليمن عِدَّة مصنفات موجزة ومبسوطة لم يَكَد يَحْصُل لها من القبول طائل ولا انتفع الناس بها كما انتفعوا بمصنفات الإمام أبى إسحاق ... وكان نَقْل أهل اليمن وفتواهم ومناظرتهم إنَّما عن كتب الشيخ أبى إسحاق ، ومتى نَقَل نَاقِلٌ عن غيرها قَلَّ أن يُسْتَجَاد نقله أو يُسْتَكمل عقله [٤] » وقد قام كثيرٌ من فقهاء اليمن بالشرح والتعليق على هذا الكتاب [٥] .

* * *

= جزأين سنة ١٣٢٢ هـ .

[١] إمام الشافعية فى عصره ، وأحد رجالات مذهب الأشاعرة . وهو صاحب المصنفات المعتبرة عند الشافعية ولد سنة ٣٩٣ هـ . ومن أجله شَيَّد الوزير نِظَام الملك مدرسته على شاطئ دجلة (السبكى : الطبقات ٤ : ٢١٨) وراجع ثبتا بمؤلفاته عند Brock., *GAL* I, p. 387; *S* I, p. 669 .

[٢] أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عَبْدَويه المَهْرُوبَانى ولد سنة ٤٣٩ . تَفَقَّه ببغداد على الشيخ أبى إسحاق ، وفَرَغ من قراءة المهذب عليه ثانى عشر ذى الحجة سنة ٤٧١ . قدم اليمن فى آخر المائة الخامسة فدَخَل عدن ثم سار إلى زَبيد ، فلمَّا دخل إليها مفضل بن أبى البركات انتُهِبَت له جُمْلة مستكثرة من كتبه ، فانتقل إلى جزيرة كَمَرانَ سنة ٥٠٥ هـ وبها توفى لعشرٍ خَلَوْن من ربيع الآخر سنة ٥٠٢ هـ . (ابن سمرة : الطبقات ١٤٤ – ١٤٨ ، الجندى : السلوك ١٠١ – ١٠٢ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٢٠٧ – ٢٠٩ ، العيدروس : النور السافر (بغداد ١٩٣١) ٢٠٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٤ : ٧٦) .

[٣] ابن سمرة : الطبقات ١٠٣ و ٢٤٩ .

[٤] الجندى : السلوك ٩٥ .

[٥] انظر فيما يلى ص ٦٨ .

وفى النصف الثانى للمائة الخامسة وخلال المائة السادسة حمل لواء المذهب أيضًا علماء مشهورون أخذوا فِقْهَهُم وعلمهم على مشايخ مشهورين منهم : القاضى الحسين بن على الطبرى مصنِّف كتاب « العُدَّة » ، والشيخ أبو نصر محمد بن هبة الله البَنْدَنيجى ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبدويه المهروبانى .

ومن أشهر هؤلاء العلماء الفقيه زَيْد بن عبد الله اليَفَاعى [١] الذى استقر فى الجَنَد قادمًا من مكة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة / ١١١٨ « فاجتمع عنده ما يزيد على مائتى رجل من جُلَّة الفقهاء من تِهَامَة وأَبْيَن وحضرموت والسَّحُول والشام وغير ذلك » [٢] . وكانت عودته إلى اليمن بعد وفاة الأمير مفضل بن أبى البركات الحميرى [٣] . وتوفى اليَفَاعِى فى الجَنَد فى شهر ربيع سنة أربع عشرة وخمسمائة/١١٢٠ ، وقيل سنة خمس عشرة وخمسمائة[٤].

وممن قرأ على هذا الفقيه وأَخَذ عليه أحد أئمة اليمن الكبار ، وعالم الشافعية فى المائة السادسة الذى نَشَر المذهب فى بلاد اليمن ، هو الإمام يحيى بن أبى الخير بن سالم بن بن أسعد بن عبد الله العِمْرانى [٥] المتوفى فى ذى السُّفَال [٦] سنة ١١٦٢/٥٥٨ . تفقَّه بجماعة من أعيان معاصريه قرأ عليهم كُتُب الفقه

---

[١] ترْجَم له ، ابن سمرة : الطبقات ١١٩ – ١٢٢ ، الجندى : السلوك ٩٠ ، الشرجى : طبقات الخواص ٥٢ ، السبكى : طبقات الشافعية ٧ : ٨٦ – ٨٧ ، الفاسى : العقد الثمين ٤ : ٤٨٠ ، الإسنوى : طبقات الشافعية ٢ : ٥٦٢ – ٥٦٣ .

[٢] ابن سمرة : الطبقات ١٥٢ .

[٣] راجع عمارة : تاريخ اليمن ٧٠ و ٨١ . وانظر عنه فيما يلى ص ١٥٨ – ١٥٩ .

[٤] ابن سمرة : الطبقات ١٢٠ و ١٥٣ .

[٥] ترجمته عند ، ابن سمرة : الطبقات ١٧٤ ، الجندى : السلوك ١٠٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٢١٤ (مادة سير) ، السبكى : طبقات الشافعية ٧ : ٣٣٦ – ٣٣٨ ، الإسنوى : طبقات الشافعية ١ : ٢١٢ ، الشرجى : طبقات الخواص ١٦٥ ، الجندارى : تراجم الرجال ٤١ ,.Brock *GAL S* I, pp. 675, 748 .

[٦] ذى السُّفَال . بذال معجمة مخفوضة ثم ياء ساكنة ثم سين مشددة مهملة مضمومة قبلها ألف ولام ثم فتح الفاء ثم لام . قرية على مرحلة قبلى الجند وعلى نصف مرحلة قبلى سهفنة فى سفح جبل =

واللغة والنحو والفرائض ونحوها [١] . مثل كتاب « المهذب » للشيرازى ، « وكافى الفرائض فى المواريث للصُّرْدُفِى [٢] ، و « غريب الحديث » لأبى عُبَيْد القاسم بن سَلَّام ، « ومختصر العين » للخَوَافِى ، و « كافى النحو » لأبى جعفر الصَّفَّار ، و « الجُمَل » للزَجَّاجِى . فلما وصل الإمام زيد من مكة إلى الجند ارتحل إليه العمرانى وسمع « النكت فى المسائل المختلف عليها بين الإمامين الشافعى وأبى حنيفة » [٣] وتَتَلْمَذ عليه وكان يُكْثِر من المناظرة بين يديه [٤] .

وفى سنة ٥١٧ / ١١٢٣ انتقل العِمْرانى إلى ذى أُشْرَق [٥] وسمع بها « سُنَنَ التِرْمذى » ، وبدأ فى مطالعة شروح المُزَنِى وكتب أخرى كالمجموع للمَحَامِلِى ، و « الشامل » لابن الصبَّاغ [٦] ، وكُتُب الفروع لسُلَيْم بن أيوب ، و « شرح المولدات » للقاضى أبى الطيب الطبرى و « العدة » للقاضى

= التعكر (الجندى : السلوك ٧٧) .

[١] ابن سمرة : الطبقات ١٧٥ .

[٢] الصُّرْدُفِى ، إسحاق بن يوسف بن يعقوب نسبة إلى الصُّردُف قرية شرق الجند . قال بامخرمة « لم يتفقَّه أحدٌ من أهل اليمن فى الفرائض بعد تصنيفه (الكافى) إلَّا منه » (قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ، مخ . يكنى جامع باستامبول رقم ٨٨٣ ، مصورة فى دار الكتب برقم ١٦٧ تاريخ ج ٢ ق ٢ ص ٦٤٤) . ومنه نسخة فى الجامع الكبير بصنعاء برقم ٣٨ فرائض .

[٣] ابن سمرة : الطبقات ١٥٢ و ١٥٧ . ومن الكتاب نسخة كُتِبت فى عصر المؤلف فى مكتبة أحمد الثالث باستامبول تحت رقم ١١٥٤ .

[٤] ابن سمرة : الطبقات ١٧٥ .

[٥] ذى أُشْرَق . قرية بالوادى المعروف بنَخْلَان على نصف مرحلة من الجَنَد تقريبًا . (الجندى : السلوك ٨٠) .

[٦] أبو نصر عبد السيِّد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر ، فقيه شافعى . كان فقيه العراقين فى وقته ، وكان يُضَاهِى الشيخ أبا إسحاق الشِّيرازى وتقدم عليه فى معرفة المذهب . وتوفى سنة ٤٧٧ هـ . وكتابه « الشامل » فى الفقه من أجود مصنفات الشافعية وأثبتها أدلة . (ابن خلكان : وفيات ٣ : ٢١٧ - ١٨ ، السبكى : طبقات ٥ : ١٢٢ - ١٣٤) . ومن الكتاب أجزاء متفرقة فى دار الكتب المصرية برقم ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ فقه شافعى ، ٤٥٦ فقه تيمور ، وأخرى فى مكتبة أحمد الثالث برقم ٧٨٧ (مصورة فى معهد المخطوطات برقم ١٨٥ - ١٩٤ فقه شافعى) .

الحسين بن على الطبرى [١] ، و « الإبانة » و « شروح التلخيص » لأبى الحسين السِّنْجى [٢] . وذَكَر الجَنَدِى أنه وَجَد فى المَلْحَمَة.- بَلْدَة فى السَّحُول من أعمال إبّ - تعليقه على كتب بعض فقهائها تُفِيد أن الإمام العِمْرَانى تعلَّم القرآن وأكْمَل حِفْظَه غيبًا وقرأ المُهَذَّب والتنبيه والفرائض ولم يَبْلغ من العمر غير ثلاث عشرة سنة [٣] .

وقد سمع العِمْرانى بهذه الكتب جميعًا ما يزيد على كتاب « المُهَذَّب » للشيرازى ، فأشَار عليه شيخه اليَفَاعِى أن يَجْمَع الشروح الموجودة ويطالعها وينتزع زوائدها على المهذب . فبدأ فى سنة ٥١٧/١١٢٣ بتعليق كتاب « الزوائد » لهذا الغرضَ ، وأتمَّه فى آخر سنة ٥٢٠/١١٢٦ ، ولم يتمكن من تعليقه إلَّا بعد أن حَفَظ المهذب وأعاده نحو أربعين مرة [٤] .

وكتب العمرانى كتاب « البَيَان » [٥] ، الذى يُعَدّ من أهم مصنفات الشافيعة وأوسَعَها ، وشُهِرَ به حتى قيل « العِمْرانى صاحب البيان » [٦] . بدأ بتصنيفه سنة ٥٢٨ / ١١٣٣ وفَرَغ منه سنة ٥٣٣ [٧] ١١٣٨ ويقع فى

---

[١] الفاسى : العقد الثمين ٤ : ٢٠١ .

[٢] « التلخيص » فى الفروع وهو لأبى العباس بن القاص الطبرى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ ، وراجع ابن خلكان : وفيات ٢ : ١٣٥ .

[٣] الجندى : السلوك ١٠٩ .

[٤] ابن سمرة : الطبقات ١٧٨ ، الجندى : السلوك ١٠٩ .

[٥] منه نسخة فى ثمانية مجلدات قوبلت على الأصل الذى نقلت عنه فى وقت المصنف فى دار الكتب المصرية برقم ٢٥ فقه شافعى (مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٤٧ - ٥٤ فقه شافعى) ، وأخرى فى أحمد الثالث برقم ٦٧١ (مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٥٥ - ٦٧ فقه شافعى) . ومن الكتاب عِدّة نسخ فى اليمن مثل الجامع الكبير بصنعاء برقم ٤٧٩ فقه مذاهب أخرى ، مكتبة الشيخ محمد بن يحيى الحدّاد بمدينة إبُّ (مصورة بمعهد المخطوطات) .

[٦] الإسنوى : طبقات الشافعية ١ : ٢١٢ .

[٧] ابن سمرة : الطبقات ١٧٧ .

عشرة مجلدات ورتَّبة على ترتيب كتاب المهذب [١] . ولما فَرغَ من تصنيفه سأله تلميذه الفقيه محمد بن مُفْلِح الحَضْرَمِى انتزاع مشكلات المهذب وحَلِّها ، فأجابه إلى ذلك بكتابه « السؤال عن ما فى المهذّب من الإشْكَال » وذلك فى آخر سنة ٥٤٩ /١١٥٥ [٢] .

وفى هذا الوقت جَرَت بعضُ الفِتَن فى اليمن ، بعد سقوط دولة النجاحيين فى زَبِيد ، وتدهور دولة الصُلَيْحيين الفاطميين ، وبداية نهاية دولة الزُّرَيعيين فى عَدَن . وقد سيطر على اليمن فى هذا الوقت ، ولفترة قصيرة ، على بن مَهْدِى الخارجى [٣] ، فنَفَر منه فقهاء تِهَامة وزبيد [٤] . وكان العمرانى قد أَقَام يُدَرِّس بمدينة سَيْر [٥] ، ولمَّا تَعَذَّر سكنها بعد الحروب والفتن التى جَرَت بين أهلها مما أدى إلى خرابها بعد نزوحهم عنها ، انتقل العمرانى إلى ذى السُّفَال ومنها إلى ذى أَشْرَق فأقام يُدَرِّس بها ويقرىء نحو سبع سنين . وخلال هذه السنوات السبع جَرَت بين الفقهاء فتن جعلت فقهاء ذى أَشْرَق يكَفِّرون فقهاء زبيد ، الذين خرجوا من تِهَامة فِرارًا من ابن مهدى وقت فتْحِه لها سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) . وبعد ذلك أَغَار ابنه مهدى بن على على الجَنَد وبواديها ، فاتخذ العمرانى خَوْفَه من ابن مهدى سبيلًا ليخرج من ذى أَشْرَق إلى ضِرَاس ثم إلى ذى السُّفَال وبها توفى فى ربيع الآخر سنة ٥٥٨ / ١١٦٢ [٦] .

وممَّن نَقَل عنهم العِمْرانى فى كتابه « البيان » الفقيه محمد بن عبدويه بن الحسن العدنى الذى قَدِم بغداد وتفقه بها على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ،

---

[١] الجندى : السلوك ١٠٩ .

[٢] المصدر نفسه ١١٠ ، ومن الكتاب نسخة فى مكتبة ليدن Leiden Or. 1783 .

[٣] انظر أخباره عند ، عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ١٢٠ – ١٢٧ .

[٤] ابن سمرة : الطبقات ٤ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٥٩ و ٢٢٢ و ٢٢٧ .

[٥] سَيْر . بلدة قرب الجَنَد على نصف مرحلة منها . (الجندى : السلوك ٢١٩) .

[٦] ابن سمرة : الطبقات ١٧٩ ، السبكى : طبقات الشافعية ٧ : ٣٣٧ .

وسمع من شيوخها ، ثم حَدَّث باليمن بعد أن رَجَع إليها ، ونَقَل عنه العمرانى فى أول كتاب « الاحترازات » [١] .

ومن أشهر علماء المائة السادسة باليمن الفقيه أبو محمد الحسن بن أبى بكر ابن أبى اختيار الشَّيْبَانى [٢] . تفقَّه بالهَرَمِى وأَخَذَ عنه ابن عبدويه ، وكان عارفًا بالفقه والحديث ، ويدُلّ على ذلك كتابه « المشكل على المهذب » . واشتهر بغزارة العلم وله مصنفات جيدة ، وتوفى فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة / ١١٨٧ [٣] .

ومن المَحدِّثِين باليمن فى هذا الوقت أيضًا الفقيه أبو الحسن على بن أبى بكر بن حِمْيَر بن تُبَّع بن يوسف الفَضْلِى [٤] . إمام عالم غَلَب عليه علم الحديث وأكثر من الرحلة فى طَلَبه . قال بامخرمة : « ولم يَكُن فى وقته أحدٌ أَعْرَف بعلمِ الحديث مثله بحيث كان يُمَيِّز بين صحيحه ومعْلُوله ، ومسنده ومرسله ، ومقطوعه ومعضله »[٥] فقَصَده أهل الحديث من أنحاء اليمن ليستزيدوا من علمه ، وتردَّد هو فى أنحاء اليمن حتى صَارَ بكلِّ بلدةٍ أصحابٌ واشتهر بإقرائه للحديث فى جامع عَرَشَان [٦] .

وكان الإمام يحيى بن أبى الخير يُجلُّه ويبَجِّله ، ويقول : « ما رأيت أحدًا أحفظ منه ولا أعرف بالحديث ... »[٧] ورَوَى عنه « صحيح البخارى » و « سنن أبى داود » .

---

[١] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٢٥٦ .

[٢] بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ٥٠ .

[٣] ابن سمرة : الطبقات ٢٤٦ .

[٤] توفى فى ذى القعدة سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) . بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ١٣٦ .

[٥] ابن سمرة : الطبقات ١٧١ ، بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ١٣٦ .

[٦] بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ١٣٦ . وعَرَشان بلد بالظهابى بناحية ذى جبلة من أعمال إبٌّ . وهى تحت جبل التعكر وقريبة من الجند (فؤاد سيد : معجم الأماكن بذيل طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة ٣٢١) .

[٧] ابن سمرة : الطبقات ١٧٢ .

وخَلَف الإمام يحيى العِمْرانى فى المكانة والعلم ولَدُه أبو الطيب طاهر بن يحيى العمرانى [١] . وأخذ عن أبيه وعن كبار المحدِّثين بمكة ، وخَلَف والده فى حَلَقته ومجلسه كما أجاب على المشكلات فى حياته [٢] . وتَولَّى أبو الطيب قضاء ذى جِبْلَة وأعمالها من قِبَل عبد النبى بن مهدى (٥٥٨ - ٥٦٩ / ١١٦٣ - ١١٧٤) . ومما يدل على علم أبى الطيب ما قَالَه عنه أبوه ، قال : « والله لو يقدر لولدى طاهر الخروج إلى البلاد التى بها العلم ، ليعْلُوَن درجة الإمامة » وقال أيضا : « طاهرٌ فقيه سامى الذكر وإنما أمات ذكره بلد السوء [٣] » . ولا ندرى سبب تحامل يحيى بن أبى الخير على بلده اليمن رغم شُهْرته ومكانته بين أهلها وأخذه على علمائها . وقد اشتهر أبو الطيب بكتاب فى التاريخ لم يَصِل إلينا وإن ذكر لى أحدُ علماء اليمن أنه رأى نسخةً منه فى مدينة زبيد [٤] ، وهو مرتَّب على السنوات من أول الإسلام حتى عصره . وكانت وفاته فى سنة ٥٨٧ / ١١٩١ .

° ° °

وكان بين الكتب المتداولة فى اليمن فى هذا الوقت ، بالإضافة إلى الكتب المشهورة السابق ذكرها كتاب « المُستَصْفَى فى سُنَنِ المُصْطَفَى » [٥] لمحمد

---

(١) ترجمته عند ، ابن سمرة : الطبقات ١٨٦ - ١٨٧ ، الجندى : السلوك ١٣٦ ، السبكى : طبقات الشافعية ٧ : ١١٥ ، الإسنوى : طبقات الشافعية ٢ : ٢١٣ ، الفاسى : العقد الثمين ٥ : ٦٠ .

(٢) ابن سمرة : الطبقات ١٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ١٨٨ .

(٤) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١١٢ .

(٥) ابن سمرة : الطبقات ٢٢٥ .

ابن سعيد بن مَعْن القُرَيْظِى المتوفى سنة ٥٧٦ / ١١٨٠ [١] الذى غلب عليه علم الحديث ، فدَخل عدن وجمع منها كتب السنن وألَّف منها كتابه « المُسْتَصْفَى » [٢] فاعتمد عليه الفقهاء والمحدِّثون وتَبَارك به العلماء والأُميُّون » [٣] .

---

(١) ابن سمرة : الطبقات ٢٢٥ ، الجندى : السلوك ١٥٩ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣ : ٤٠٣ ، الشرجى : طبقات الخواص ١٤٥ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٢٢٠ .

(٢) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٢١٩ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٢١٩ .

الفصل الثانى
دخول المذهب الأشعرى إلى اليمن

فى سنة ٥٦٩ / ١١٧٣ فتح الأيوبيون السنيون اليمن بعد استقرارهم فى مصر فى سنة ٥٦٧ / ١١٧١ [١] ، فأخرجوا معهم إلى اليمن مذهب الأَشْعَرِى ، فمال إليه أَكْثَرُ شافعية اليمن ، ومنهم من تمسَّك بمذهب الحنابلة فى الأصول [٢] .

المذهب الأشعرى

المذهى الأَشْعَرى (ويُقَال لأتباعه الأَشْعرية والأَشاعرة) [٣] . نِسْبَة إلى الإمام أبى الحسن الأَشْعَرى مؤسس مدرسة الفقه السنى [٤] . ففى القرن الرابع الهجرى انتهت رئاسةُ أهل السنة والجماعة فى علم الكلام إلى رجلَيْن

---

(١) عن الفتح الأيوبى لليمن راجع ، محمد بن حاتم اليامى : السِّمْط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغُزّ باليمن ، (تحقيق ركس سميث GMS ، بيروت ١٩٧٤) ١٥ — ٢١ ، محمد عبد العال أحمد : « الفتح الأيوبى لليمن » (مجلة معهد المخطوطات العربية ١٠ (١٩٦٤) ١٣٧ — ١٦٦) ، « دراسة حول أقوال المؤرخين عن الفتح الأيوبى لليمن » (مجلة معهد المخطوطات العربية ١٣ (١٩٦٧) ٣١٩ — ٣٣٨ ، الأيوبيون فى اليمن مع مدخل فى تاريخ اليمن الإسلامى إلى عصرهم (الاسكندرية ١٩٨٠) ، Bates, M.L., *Yemen and its conquest by the Ayyubids of Egypt*, un published Ph. thesis - Univ. of Chicago 1975; Cahen, Cl. *EI²* art. *Ayyúbides I, p.823* .

(٢) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن – خ ٢٢٣ – ٢٢٤ وطبقات الزيدية – ح ٥٧ .

(٣) راجع *Montgomery Watt, W., EI²*., art. *Ash'ariyya* I, وما ذكر من مراجع ، وجلال محمد موسى : نشأةُ الأشْعَرِية ، وتطوُّرِها (بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٥) .

(٤) راجع Montgomery Watt, W., *EI²*., art. *al-Ash'arī* I, p. 715 - 16 وما ذكر من مراجع .

أحدهما حَنَفِىٌّ هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود المَاتُرِيدِى المتوفى بسَمَرْقَنْد سنة ٣٢٣ /٩٤٤ ، والآخر شافِعِىٌّ هو أبو الحسن الأَشْعَرِى المتوفى فى بَغْدَاد سنة ٣٢٤/ ٩٣٥ [١] .

كان الأشعرى فى أول أمره معتزليًّا من أبرز تلاميذ الإمام أبى هاشم الجُبَّائِى [٢] شيخ المعتزلة البصريين ، وكان باستطاعته أن يَخْلُفَه فى مكانته لو لم يترك الاعتزال ويتَّجه إلى أهل السنة ، وذلك نحو سنة ٣٠٠ هـ (٩١٣ م) بعد أن ظَلَّ على مذهب الاعتزال نحو أربعين عامًا [٣] . وقد اتخذ الأَشْعَرى موفقًا وسطًا بين موقف المعتزلة العقلى المتطرف وموقف أهل السلف من المُحَدِّثين المتطرفين [٤] ورأى الأخذ بقول أصحاب الحديث وأهل السنة [٥] . وصَرَّح فى مقدمة كتابه « الإبانة عن أصول السنة والديَانة » [٦] بِسُنِّيَتِهِ وأنه يقول بما كان يقول به الإمام أحمد بن حنبل وأنه مجانبٌ لمن خَالَف قوله .

وقد نجح مذهب الأشعرى فى الانتشار فى القرنين الخامس والسادس للهجرة ، وحلَّ محل آراء المعتزلة التى أَخَذَت فى الانزواء ، وتمكَّن من أن يَجِد مكَانَه فى المدارس المشهورة فى هذا الوقت يسانده السَّلَاجِقَة السنيُّون الذين

---

(١) طاشْكُبْرِى زَادَة : مفتاح السعادة ٢ : ٢١ – ٢٢ .

(٢) القاضى عبد الجبار : فَضْلُ الاعتزال وطبقات المعتزلة (تحقيق فؤاد سيد ، تونس ١٩٧٤) ٣٠٤ – ٣٠٨ ، على فهمى خشيم : الجُبَّائيَّان ، أبو على وأبو هاشم (طرابلس ١٩٦٨) ، Gardet, L., *EI²*. art. *al - Djubbā'ī* II, pp. 584 - 84; Sezgin, *op. cit.;* I, p. 623

(٣) انفصل الأشعرى فى قصة طويلة مذكورة فى كتب المقالات انظر تلخيصًا لها عند Montgomery Watt, W., *EI²*., art. *al-Ash'arī* I, p. 716 .

(٤) *Ibid.*, p. 716

(٥) الأشعرى : مقالات الإسلاميين (تحقيق هـ . ريتر ، ١٩٦٣) ٢٩٧ .

(٦) الأشعرى : الإبانة عن أصول السنة والديانة (القاهرة ١٣٤٨ هـ) ٨ – ٩ .

أرادوا ضرب مذاهب الفاطميين الشيعة فى مصر والشام [١] وإن لم ينتشر بها كما كان يُرْجَى له . وقد نَهَض بالمذهب علماء مشهورون مثل : أبو إسحاق الشّيرازى وأبو بكر البَاقِلَّانى ، وإمام الحرمين الجُوينى وحُجَّة الإسلام الغَزَالى .

* * *

لما دَخَل مذهب الأشعرى إلى اليمن اختلف الشافعية فيما بينهم ، فمنهم من قال بمقالة الإمام أحمد بن حنبل فى العقائد (بأن المتشابهات تمر من غير تأويل ، مع اعتقاد بأن الله ليس كمثله شىء . واحتجّ هذا الفريق بقراءة الوقف على قوله تعالى ﴿ وما يَعْلَم تأوِيلَه إلَّا آللهُ ﴾[٢])[٣] ، أى أن القراءة هى المقروء [٤] . ومنهم من اختار مذهب الأشعرى وتأَوَّل ذلك كما يقوله الأشعرى [٥] .

ويدل على ذلك مناظرة وقعت بين قاضى الزيدية جعفر بن أحمد بن عبد السلام المعتزلى [٦] ، والعمرانى صاحب « البيان » . ولم يتم الاجتماع بينهما ، وإنما اجتمع القاضى جعفر بتلميذ العمرانى على بن عبد الله بن يحيى بن عيسى اليَرْمِى [٧] ، وهو وشيخه من الشافعية فى الفروع وكان فى العقيدة

---

[١] انظر فيما يلى ص ٩٦ - ٩٩ .
[٢] الآية ٧ سورة آل عمران .
[٣] يحيى بن الحسين : أبناء الزمن ٢٢٣ وطبقات الزيدية ٥٧ ، الجندارى : تراجم الرجال ٤١ .
[٤] يحيى بن الحسين : الطبقات ٥٧ ، ابن سمرة : الطبقات ١٧٧ .
[٥] يحيى بن الحسين : الطبقات ٥٧ .
[٦] سيرد عنه كلام مفصل فى الباب الثالث فانظره هناك .
[٧] نسبة إلى اليَرْمَة قرية فى وادى زبيد (ابن أبى الرجال : مطلع البدور - خ ١ : ٣٨٠) .

(الأصول) على مذهب الحنابلة [١] ويكفِّران الأشاعرة . ووَقَعت المناظرة فى حصن شَوَاحِط بمدينة إبٍّ باليمن الأسفل سنة ٥٥٤ / ١١٥٩ [٢] فأفْحَش اليَرْمِى على القاضى جعفر وتسفَّه عليه [٣] . فلما عاد القاضى جعفر أملى رسالة سمَّاها « الدَّامِغ للبَاطِل من مَذَاهب الحَنَابِل » [٤] وتُعْرَف أيضًا « بالدامِغَة للحَنَابِلَة » وأجاب عليه العمرانى بكتاب اشتمل على الرد على الأشعرية والمعتزلة بكتاب « الانْتِصَار فى الرد على القَدَرِيَّة الأشْرار » [٥] ، ففَرِحَ الفقهاء الشافعية بكتاب « الانْتِصَار » وانتسخوه . ومع ذلك فإن مذهب الأشعرى انتشر فى بعض أنحاء اليمن ولقى قبولا لدى الناس فيما عدا الحنابلة [٦] . فصنَّف بعضُ الفقهاء اليمنيون على مذهب الأشعرى مثل : أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى الحَرازى ، وهو فقيه عارفٌ بالأصول والفروع وغَلَبَ عليه علم الكلام ، وصنَّف فيه على مذهب الأشعرى ، وأخذ عنه جماعة من أهل زبيد وتَعِز وتوفى فى سنة ٦٩٨ / ١٢٩٨ [٧] .

ووَقَعت بين الأشاعرة والمعتزلة فى اليمن مناظرات كثيرة « فالمعتزلة يُلْزِمُون

---

(١) ابن أبى الرجال : مطلع البدور – خ ١ : ٣٨٠ ، يحيى بن الحسين : أبناء الزمن ٢٢٣ .
والأصُول . علم استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدِلَّتِهَا اليقينية ، وهو موضوع علم الكلام ويعرف أيضا بمعرفة البارى والتوحيد . أما الفروع فهى موضوع علم الفقه ، وهو علم باحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية (القرآن والسنة) وهو يُعْنَى بالعبادات والمعاملات (راجع ، الشهرستانى : الملل والنحل (لندن) ٢٨ ، طاشكبرى زادة : مفتاح السعادة : ٢ : ٥٣ و ٦٢ ، حاجى خليفة : كشف الظنون ١١٠ و ١٢٨٠) .

(٢) ابن سمرة : الطبقات ١٨٠ ، وانظر يحيى بن الحسين : أبناء الزمن ٢٢٤ .

(٣) ابن أبى الرجال : مطلع البدور ١ : ٣٨٠ .

(٤) منه نسخة فى مكتبة برلين Berlin 10283, Glaz. 58

(٥) منه نسختان فى دار الكتب المصرية الأولى كتبت سنة ٧١٧ برقم ٨١٨ علم كلام ، والثانية برقم ٨٣٥ علم كلام ، ونسخة فى مكتبة بانكيبور بالهند (انظر : Cat. Bank. t. XIII. p. 841 ، ونسخة فى مكتبة الشيخ محمد بن يحيى الحدَّاد بإبٍّ .

(٦) ابن أبى الرجال : مطلع ١ : ٣٨٠ ، يحيى بن الحسين : أبناء ٢٢٣ و ٢٢٤ .

(٧) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٤ – ١٥ .

الأشاعرة بالجَبْر ولا يلتزمونه » (١) .

فاختلف العمرانى الأب مع ابنه طاهر المعروف بأبى الطيب . فكان يُكفِّر وَلَده طاهرًا لأنه أشْعَرى ، وطاهر يكَفِّر والده يحيى لأنه حنبلى . ثم تاب طاهر عن مذهب الأشاعرة ، ثم رَجَع إليه بعد موت أبيه (٢) .

° ° °

وكان نَقْلُ أهل السنة فى اليمن وفتواهم ومناظراتهم فى ذلك الوقت عن كتب أبى إسحاق الشيرازى – أحد أتباع الأشعرى – وكتاب « البيان » للعِمْرانى ، ثم شاركها فى ذلك كتب الإمام أبى حامد الغَزَالى ، التى لم ترد إلى اليمن إلّا بعد دخول هذه المصنفات (٣) . ويُعَد الغزالى أحد العمد التى قام عليها مذهب الأشاعرة ، ويُمثِّل اتجاهًا لم يكُن موجودًا من قبل منذ ظهور المذهب (٤) ، وبفَضل جهوده أصبحت الأشعرية كلامًا مقبولًا لدى أهل السنة (٥) . وصنَّف الغزالى عِدَّة مؤلفات فى فقه الشافعية . وتردَّد فى بعض المؤلفات اليمنية القول بأن الإمام الغزالى صرَّح بالتشيع فى كتابه « سرّ العالمين » الذى صرَّح فيه كذلك بميلٍ لكلام المعتزلة فى الأفْعَال (٦) . والواقع أن هذا الرأى له خطره – إذا صحَّ – فى تقييم شخصية الإمام الغزالى . وكتاب « سر

---

(١) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ٥٧ .
(٢) ابى أبى الرجال : مطلع البدور ١ : ٣٨ .
(٣) الجندى : السلوك ٩٥ .
(٤) أحمد فؤاد الأهوانى : مقدمة « سيرة الغزالى » لعبد الكريم العثمان (القاهرة ١٩٦٥) ٩ .
(٥) زهدى جار الله : المعتزلة (القاهرة ١٩٤٧) ٢٥٥ .
(٦) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ٢١ و ، الجندارى : تراجم الرجال ٣٦ .

العالمين » طُبع أكثر من مرة ومنه عدة نسخ مخطوطة فى مكتبات العالم [١] . والأرجح أن هذا الكتاب منحول وليس للغزالى ، رغم أن مؤلفَه ذكر فيه عددًا كبيرًا من كتب الغزالى على أنها مؤلفاته [٢] . بل إننا نملك فتوى للإمام الغزالى [٣] تَدْحَض هذا الرأى تمامًا عندما سُئِل عن يزيد بن معاوية هل يصرَّح بلَعْنِه ؟ وهل كان مريدًا قتل الحسين رضى الله عنه ، أم كان قَصْده الدفع ؟ فأجاب بأنه لا يجوز لعن المسلم أصلًا ، وأن يزيد صَحَّ إسلامه ، وماصح قتله الحسين ، ولا أمره ولا رضاه بذلك ، وأشار إلى أنه لا يصح إساءة الظن بمسلم واستشهد بقوله تعالى ﴿ اجْتَنِبُوا كثيرًا من الظن إن بَعْضَ الظن إثم ﴾ [٤] . وعلى ذلك فلا يمكننا الوثوق بالرواية اليمنية عن تَشَيّع الغزالى وأنه كان من ابتداء أمره شافعيا وانتهى أمره زيديًّا وتوفى سنة ٥٠٥ / ١١١١ زيدى المذهب معتزلى العقيدة . وعلَّق على ذلك إدريس بن على الحمزى أنه لم يَقِف على هذه الرواية فى كتاب ولا سَمِعَها من لسان مع شِدَّة بحثه عنها [٥] .

° ° °

ويُمْكِنُنَا أن نوجز تطوّر مذهب أهل السنة فى بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس فى أن أهلَ اليمن حتى ظهور مذهب الشافعية كانوا يتفقَّهُون بفقهاء

---

[١] Boyges, M. *Essai de chronologie des oeuvres de al-Ghazali,* èditè par M. Allard (Beyrout 1959), P. 132n. 214 ، عبد الرحمن بدوى : مؤلفات الغزالى (القاهرة ١٩٦١) ٢٢٥ (رقم ٦٧) .

[٢] بدوى : المرجع نفسه ٢٧١ (رقم ١٩١) .

[٣] انظر نص الفتوى عند ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ :٢٨٨ – ٢٨٩ .

[٤] الآية ١٢ سورة الحجرات .

[٥] يحيى بن الحسين : الطبقات ٢١ و .

مكة والمدينة وكانت لديهم كتب مشهورة يقرؤنها ويتدارسونها فيما بينهم . ثم لما ظَهَر مذهب الشافعى لقى رواَجًا بينهم وانتشر مع المائة الرابعة وظلَّ هو المذهب السائد فى اليمن الأسفل . أما اليمن الأعلى ومركزه مدينة صَعْدَة فقد غَلَب عليه المذهب الزيدى الهادى مع ملاحظة أن الزيدية يأخذون فى الفروع بمذهب أبى حنيفة . فكان ارتباط اليمن الأسفل أكثر بأهل الحجاز بينما ارتبط اليمن الأعلى بأهل العراق . وهذا هو السبب الذى دفع القاضى جعفر بن عبد السلام إلى الارتحال إلى العراق فى أواسط القرن السادس لمعرفة المذاهب السائدة به ليناظر بها الفرقة المطرفية الزيدية [١] .

ويلاحظ أيضا أنه انتشر فى اليمن نقيضان من المذاهب فى وقتٍ واحد تقريبًا ، ففى اليمن الأسفل مال الشافعية فى الأصول إلى مذهب الأشعرى بينما أُخَذَ بعضهم بمذاهب الحنابلة . أما فى اليمن الأعلى فقد انتشر مذهب المعتزلة ولقى قبولًا فى أوساط الزيدية فكانوا زيدية حنفية فى الفروع ومعتزلة فى العقيدة [٢] .

فأراد الأشاعرة أن يرجعوا إلى الخطوة الأولى التى خطاها المعتزلة ، الذين استخدموا العقل فى الدفاع عما جاء به النقل ، ثم شطُّوا واعتقدوا بأسبقية العقل وأفضليته على النقل . أما الأشعرية فقد أعادوا تنظيم علم الكلام على قاعدة أن النقل هو الأساس وأن العقل خادم للنقل ووسيلة لإثباته والبرهان على صحته [٣] . ولم يجد الأشاعرة سبيلًا إلى التخلص من أُثَر المعتزلة عليهم لأنهم اضطروا إلى معالجة نفس المسائل التى عَالَجَها المعتزلة من قبل ، وأن يُصْدِرُوا فيها أحكامًا توافق السنة ولا تَبْعد كثيرًا عن قول المعتزلة » [٤] .

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى الباب الثالث .
(٢) انظر تفصيل ذلك فى الباب الثالث .
(٣) زهدى جار الله : المعتزلة ٢٥٦ .
(٤) المرجع نفسه ٢٥٨ .

الفصل الثالث

الحالة السياسية في اليمن

فى القرنين الخامس والسادس للهجرة

كانت الحالةُ السياسية فى اليمن أوائل القرن الخامس الهجرى فى غير استقرار ، وكان حُكْمها مشتركًا بين أمرائها . فالتَهائمُ و جميعُ أعمال زبيد إلى النجاحيين مَوالى بنى زياد الأحْبَاش . وتَغَلَّب على عَدَن ولَحْج وأبْيَن وحَضْرَمْوت والشِّحْر بنو مَعْن بن زائدة ، وتغَلَّب على السَمَدَان وعلى حِصْن السَّوَاء والدملوه وصَبَر وحَبّ والتعكر ومِخْلَاف الجَنَد ومخلاف المَعَافِر قومٌ من حِمْيَر يُقَال لهم بنو الكِرَنْدِى . وتغَلَّب على حصْن حبّ وعزان وبيت عز وحصن الشِّعْرين والسَّحُول وحصن خَدَد والشَّوَافى السلطان أبو عبد الله الحسين التُبَّعِى . وتغلَّب على حصن أشْيَح وعلى حصن مَقْرى وحصون وُصَاب ومخاليفها قوم من بَكِيل من هَمْدان ، وتغلَّب على حصن مَسَار وجبل تَيْس قومٌ من حَرَاز ودُعاة الإسماعيلية [1] . وانقسم اليمن الأعلى بين آل الضحَّاك وأولاد إمام الزيدية القاسم بن على العِيَانى [2] .

سُقوط دَولة بنى زياد وَقيام دَولة بنى نَجَاح

ففى زَبيد ونواحيها اضطرب ملك آل زياد الشافعية بعد وفاة الحسين بن

---

(1) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ٧٢ - ٧٣ ، عمارة اليمنى : تاريخ ٨٢ .
(2) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٤١ - ٢٤٢ .

سَلَامة – وهو عَبدٌ حبشى – سنة ٤٠٢ / ١٠١٢ [١] وانقرض مُلْكُهُم . فقد انتقل الأمرُ ، بعد وفاة الحسين بن سلامة ، إلى طفلٍ من آل زياد ، قال عُمَارة : « أظُنّ اسمه عبد الله أو إبراهيم » [٢] كَفَلَتْه عمَّة له وعبدٌ أستاذٌ اسمه مرجان استقرت له الوزارة . وكان له عَبْدان نفيس ونجاح وَقَعَ بينهما تنافس على تولى أمر الحضرة ، وكان مَرْجان يميل مع نفيس على نجاح . وبَلَغ نفيس أن عمَّة ابن زياد تُكَاتِب نجاحًا وتميل إليه فَقَبَض عليها وعلى ابن أخيها مرجَانٌ سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٧ م) فزالت بذلك دولة بنى زياد [٣] .

وكان بنو زياد لما اتصل بهم اختلال الدولة العباسية بعد قتل المتوكل وخَلْع المستعين تغلّبوا على ارتفاع اليمن ورَكَبوا بالمِظَلَّة وتملَّكوا الناس بإبقاء الخطبة للعباسيين [٤] . فلما قَتَل نفيس ابن زياد وعمته ، تَمَلَّك ورَكَب بالمظلة وضَرَب السكة باسمه . فلما بَلَغ ذلك نجاحًا قام لمُحَاربة نفيس وجَرَت بينهما عدة وقائع انتهت بقتل نفيس على باب زبيد . فَفَتَح نجاج زبيد فى ذى القعدة سنة ٤١٢ هـ (١٠٢٢ م) وقتل مرجان وركب بالمظلة وضَرَب سكة باسمه وكاتب خُلَفاء بغداد العباسيين وبَذَل لهم الطاعة فبُعِث له ولُقِّب « المؤيد نصير الدين » [٥]وفُوِّض له تقليد القضاء لمن يراه أهلًا له [٦] ، فقامت بذلك دولةُ بنى نَجَاح فى تِهَامة [٧] .

---

(١) عمارة : التاريخ ٧٨ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٦١ . وعن بنى زياد راجع ، نصَّارى فهمى محمد غزالى : « الدولة الزيادية فى اليمن » رسالة ماجستير بكلية دار العلوم .

(٢) عمارة : التاريخ ٧٨ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٦١ .

(٣) عمارة : التاريخ ٧٨ – ٨٢ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٦١ – ٦٢ .

(٤) عمارة : التاريخ ٨٢ ، بامخرمة : المصدر السابق ٢ : ٦١ .

(٥) فى تاريخ ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ٧٣ « المؤيد بنصر الدين » .

(٦) عمارة : تاريخ اليمن ٤٤ – ٤٥ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٦١ .

(٧) راجع عنها ، زاهر رياض : « دولة حبشية فى اليمن – دولة بنى نجاح » ، المجلة التاريخية المصرية ٨ (١٩٥٩) ١٠١ – ١٣٠ ومحمد أمين صالح : « بنو نجاح فى زبيد » ، مجلة الغد اليمنية =

حملت دولة بنى نجاح لواء السنة فى اليمن بعد انقضاء دولة بنى زِيَاد . وبفَضْل جهود فقهاء السنة التفَّ الناسُ حول بنى نجاح الذين أصبحوا فى نَظَرِهم حُمَاة المذهب السنى باليمن ، وذلك فى الوقت الذى بدأت فيه الدعوة الفاطمية تستردّ مكانتها حيث نجح على بن محمد الصليحى فى إقامة الدولة الصليحية فى حِصْن مَسَار ودعى للخليفة الفاطمى فى سنة ٤٤٥ / ١٠٥٥ [١] كذلك قام الأشراف الزيدية بالدعوة فى اليمن الأعلى ، ولم تتوفر لهم شروط الإمامة فكانوا دعاة ومحتسبين ومقتصدين [٢] .

وتمسَّك بنو نجاح بمذهب الشافعى وعلَّموه لأولادهم ، كما فعل جيَّاش بن نجاح [٣] .

وعندما أقام على الصليحى دَوْلَته كان يَخْشَى نجاحًا صاحَب تِهَامَة ويرى فيه خطرًا كبيرًا على دعوته ، فعَمَد إلى ملاطفته وكَسْب ودّه ، ولكنه كان يُبيِّت للتخلص منه فأهْدَاه جاريةً حسناء استطاعت أن تدسّ له السم وتقتله سنة ١٠٦٠/٤٥٢ [٤] . ولم يلْبَث على الصليحى أن أزال خلفاء نجاح سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) الذين تفرقوا فى جزيرة دَهْلَك ، ودخلوا فى صراع مع الصليحيين انتهى بمقتل سعيد بن نجاح الأحول لعلى الصليحى سنة ١٠٦٧/٤٥٩ [٥] وأسْره لزوجته أسماء بنت شهاب ، ولم تلْبث أن خلَّصَها ولَدُها المكرم أحمد من الأسْر واستولى على مُلْك بنى نجاح الذين فرُّوا مرة

= ٣ / ١ (مارس ١٩٧٧) ١٠٠ - ١١٥ ، ٢/٣ (يونية ١٩٧٧) ١٢٣ - ١٣٣ ، وتعد السيدة هدى فهد الزويد رسالة ماجستير بجامعة الملك سعود بالرياض عنوانها : « دولة بنى نجاح فى اليمن ٤١٢ - ٥٤٤ » .

[١] انظر فيما يلى ص ٨١ و ١٠٠ .

[٢] راجع فيما يلى ص ٢٦١ .

[٣] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٤٦ - ٤٧ .

[٤] عمارة : تاريخ اليمن ٩٢ .

[٥] راجع تفصيل ذلك فيما يلى ص ١٢٤ - ١٢٧ .

أخرى إلى جزيرة دَهْلَك [١] ، وأخذوا يتحينون الفرص لاسترداد دولتهم وتمكَّنوا من ذلك سنة ١٠٨٦/٤٧٩ [٢] ، غير أن الصراع بين الصليحيين والنجاحيين كان مازال محتدما فتمكنت الملكة السيدة الحرة بنت أحمد من القضاء على سعيد بن نجاح – قاتل الصليحى – سنة ١٠٨٩/٤٨١ [٣] فخَلَفَه جياشُ بن نجاح الذى أخَذَ فى تنظيم صفوف النجاحيين متمتعًا بتأييد أهل زبيد الشافعية وظلَّ قائمًا بالمُلْك مشتغلا بالتأليف والتأريخ ولم تُفْلح محاولات الصليحيين للقضاء عليه حتى توفى فى سنة ١١٠٤/٤٩٨ [٤] .

كان خلفاءُ جَيَّاش من الملوك الضعاف فقد دَبَّ خلاف على الحكم بين فاتك بن جياش وأخويه إبراهيم وعبد الواحد ، فلما توفى فاتك سنة ١١٠٩/٥٠٣ [٥] خَلَفه ابنُه المنصور – وكان صغيرًا – وزاد الطمع فيه ، فاستولى عمّه عبد الواحد على مدينة زَبِيد ، ولم يَجد المنصور بن فاتك بُدًا من الاستعانة بالسيدة الحرة الصليحية ضد عمه عبد الواحد وتعَهَّد لها بُرُبْع خراج بلاده ، فاستجابت له الحرة وأمدَّته بجيشٍ بقيادة نائبها على حصن التعكر المُفَضَّل بن أبى البركات ، استطاع دخول زبيد واستردادها سنة ١١١٠/٥٠٤ [٦] .

استقر المنصور بن فاتك بعاصمة دولته زبيد إلى أن مات مسمومًا سنة

---

[١] كانت جزيرة دهلك هى الملجأ الذى لجأ إليه النجاحون هربًا من الصليحيين . وفى أوائل القرن السادس كان بقية النجاحيين يغيرون على مراكب الكارمية المنتشرة فى البحر الأحمر ويتهددونها انطلاقا من جزيرة دهلك . وعن أهمية هذه الجزيرة بالنسبة لتاريخ اليمن الإسلامى راجع : Schneider, M., Stèles funéraires *musulmanes des îles de Dahlak* (le Caire, *IFAO* 1983)

[٢] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ٦٣ .

[٣] عمارة : تاريخ ٩٦ .

[٤] عمارة : تاريخ ١٠٠ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٤٣ – ٤٧ .

[٥] عمارة : تاريخ ١٤٣ .

[٦] عمارة : تاريخ ١٠٠ – ١٠١ .

٥٢١ / ١١٢٧ [١] ، فخَلَفه ابنُه فاتك بن منصور ، فلما توفى سنة ٥٣١ /١١٣٧ – ولم يكن له عَقِب – خَلَفَه ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش – وكان ضعيفًا – فتولى أمر الوزارة أحد مواليه ويُدْعى سرور الفاتكى ، وقُتِل فاتك سنة ٥٥٣ /١١٥٨ وبوفاته زالت دولة بنى نجاح وانتقلت إلى على بن مهدى الخارج باليمن سنة ١١٥٩/٥٥٤ [٢] .

دولة بني مهدي

قامت دولة بنى مَهْدِى على انقاض دولة بنى نَجَاح . ومؤسس هذه الدولة على بن مَهْدِى من أهل قرية العَنْبَرة بسواحل زبيد . وكان فى شبابه يميل إلى العُزْلة والتمسك بالعبادة ، وقد حَجّ مرارًا ولقى حاج العراق وعلمائه وتضلَّع من معارفهم وعَادَ إلى اليمن فاعتزل وأظهر الوعظ وحذَّر الناس من صُحْبَة الملوك ، وكان ابتداء أمره فى سنة ٥٣١ / ١١٣٧ يَعِظ الناس فى البوادى فاكتسب ثِقَة بنى نجاح « فأطْلَقَت الحرة أم فاتك بن منصور له ولإخوته ولأصهاره ، ثم لمن يلوذ به ، خراج أملاكهم » فأثْروا واتسعت بهم الحال ، وتزايد أتبَاعُه وحَالَفَه قومٌ من أهل الجبال على النُصْرة سنة ٥٣٨ /١١٤٣ فخَرَج إليهم وجَمَع جموعًا تبلغ أربعين ألفًا قَصَد بهم مدينة الكَدْرَاء فلم يستطع دخُولَها فعاد إلى الجبال وأقام بها إلى سنة ٥٤١ / ١١٤٦ [٣] .

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ٦٥ ، وفى تاريخ عمارة ١٠٣ أو وفاته سنة ٥١٧ .

(٢) عمارة : تاريخ ١٠١ – ١٠٢ .

ويقول عمارة : « لم يكن لأولاد فاتك بن جياش من الأمر سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم مع بنى العباس ، والسكة والركوب بالمظلة فى أيام المواسم ، وعقد الآراء فى مجالسهم . وأما الأمر والنهى والتدبير وإقامة الحدود واجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء » .

(٣) عمارة : تاريخ ١٢١ – ١٢٢ .

وفى سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) انتقل مع أتباعه إلى حصن الشَّرف ، وهو لبطْنٍ من خَوْلَان يقال لهم بنو حيْوان - بإسكان الياء - ، وسماهم « الأنصار » ، وسمى من جاء معه « المهاجرين » وجعل لكل منهما نقيبًا سمَّاه « شيخ الإسلام » [١] ، ولم يكن لغيرهما حق الاتصال به بعد أن ساء ظنه بكل صَحَابَته خوفًا منهم على نفسه [٢] .

كان ابن مهدى خَارِجيًا فى الأصول حَنَفِيًّا فى الفروع ، يرى أن مرتكب الكبيرة كافرٌ ويجب قَتْلُه . وكان يقتل من خَالَف اعتقاده من أهل القبلة ويستبيح وطء سباياهم واسترقاق ذراريهم وجعل دارهم دار حرب [٣] .

وكان اعتقادُ أصحَابِه فيه فَوْقَ ما يعتقده الناس فى الأنبياء [٤] ، وكان من طاعتهم له أن كلَّ واحدٍ منهم يحمل ما تغْزِله زوجته وبناته إلى بيت المال ، ويكون ابن مَهْدِى هو الذى يكسو الواحد منهم وأهل بيته . وكان جنودُه لا يملكون أفراسَهم ولا عُدَدَهم وسلَاحَهم بل الخيل فى اصطبلاته والأسلحة فى خزائنه [٥] .

وفى سنة ٥٥١ / ١١٥٦ تَمَكَّن أحدُ أتْبَاعه من اغتيال سُرورٍ الفَاتِكى - وزير الملك فاتك بن محمد - فشَغَل رجالَ البلاد بأمر الوزارة . فاغتنم على ابن مهدى تلك الفرصة وزَحَف بجموعه إلى زبيد فاستبسل أهلها فى الدفاع عنها حتى « نَالَهم الجوع وأكلوا الميتة من شِدَّة الجَهْد والبَلَاء » ثم استنجدوا بالإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان ، فاشترط عليهم لحمايتهم من خَطَر

---

[١] عمارة : تاريخ اليمن ١٢٢ .
[٢] المصدر نفسه ١٢٢ .
[٣] المصدر نفسه ١٢٦ .
[٤] المصدر نفسه ١٢٦ .
[٥] المصدر نفسه ١٢٧ .

ابن مهدى الخضوع لحكمه وقَتْل ملكهم فاتك بن محمد بن فاتك ، فقتلوه فى سنة ٥٥٣ / ١١٥٨ [١] ولكن الإمام المتوكل على الله عَجَز عن نُصْرَتهم وقَفَل عائدًا إلى صنعاء . فتمكن ابن مهدى من فتح مدينة زبيد وإزالة دولة بنى نجاح واستقر بها فى سنة ٥٥٤ / ١١٥٩ ولكن مدَّته لم تَطُل فكانت مدة ملكه شهرين وواحدًا وعشرين يومًا حيث توفى فى شوال من نفس هذه السنة [٢] .

خَلَف على بن مهدى والدُه المهدى ثم ولَدُه عبد النبى فخُلِع ، فخَلَفَه ولده عبد الله ثم عاد عبد النبى مرة ثانية . يقول عمارة : « والأمر اليوم فى اليمن بأسره إليه ما عدا عَدَن فإن أَهْلَهَا هَادَنُوه عليها بمال فى كل سنة » [٣] .

وكانت دولةُ بنى مهدى فى زبيد خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام أزَالها تورانشاه الأيوبى عندما قدم إلى اليمن فى سنة ٥٦٩ / ١١٧٤ [٤] .

* * *

وكما خَلَف بنو مهدى النجاحيين فى زبيد فإن بنى حَاتِم فى صنعاء والزُرَيعيين فى عدن هم الذين خلفوا مُلْكَ الصليحيين . ومؤسس هذه الدولة حاتم بن أحمد بن عمران اليامى كان جَدُّه عُمْرَان بن الفَضْل يتولى حكم

---

[١] عمارة : تاريخ اليمن ١٢٤ .

وتُشْبه نهاية دولة بنى نجاح نهاية دولة الفاطميين فى مصر حينما استبد الوزراء بالأمر ، وما حدث لدولة المماليك فى مصر أيضا (راجع ، زاهر رياض : المرجع السابق ١٢٩) .

[٢] عمارة : تاريخ اليمن ١٢٤ .

[٣] عمارة : تاريخ اليمن ١٢٤ ، وألف عمارة تاريخة فى سنة ٥٥٣ هـ .

[٤] ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ١٨٤ .

وراجع ، محمد أمين صالح : « دولة الخوارج فى اليمن – بنو مهدى فى زبيد » المجلة التاريخية المصرية ٢٥ (١٩٧٨ م) ١٢٧ – ١٤٧ ، Strothmann R., *EI.*, art. *Mahdides* 3, p. 126 - 127

صنعاء للمكرم الصليحى عندما نَقَل عاصمة دولته إلى ذى جِبْلَة . ولما توفى عمران فى سنة ٤٨٤ / ١٠٩١ خَلَفه سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحى ، فلما مات سنة ٤٩٢ / ١٠٩٩ تمكن حاتم بن على المُغَلِّس الهمدانى بمعاونة قبائل هَمْدان من الاستيلاء على صنعاء [١] ومؤسس الدولة الحقيقى هو حاتم بن أحمد بن عمران اليامى [٢] الذى دخل صنعاء مؤيدا من بنى حاتم سنة ٥٣٣ / ١١٣٨ ووافق قيام دولته نجاح الإمام المتوكل على الله أحمد بن سُلَيْمان فى القيام بأمر الدعوة الزيدية فى صَعْدَة وما والاها شمالًا ، وأصبحت دولة بنى حاتم تمثل خطرًا على دولة الأئمة الزيديين وقامت حروب بينهم [٣] .

وفى سنة ٥٦٩ / ١١٧٤ كان الفتحُ الأيوبى لليمن بقيادة تُورَانْشَاه ، وأدَّى إلى القضاء على جميع الدول التى كانت تحكم اليمن من صنعاء حتى عدن جنوبًا . وأسباب هذا الفتح كثيرة كما يرويها المؤرخون [٤] فهى سياسيةٌ تَرْمى إلى جَمْع الصف العربى فى مواجهة الصليبيين ، واقتصاديةٌ تهدف إلى استثمار النشاط التجارى الذى كان فى عهد الفاطميين والاستفادة من التجارة الكارمية .

---

(١) حسين الهمدانى : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ١٦١ .

(٢) العماد الأصفهانى : خريدة القصر (قسم الشام) ٣ : ٢٧٦ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ٦٢ .

(٣) يُعَدّ المؤرخ بدر الدين محمد بن حاتم اليَامى الهَمْدَانى المتوفى بعد سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) ، وهو من سلالة بنى حاتم الهمدانيين ، أو فى من أرخ لهذه الدولة وذلك فى كتابه « العقد الثمين فى أسماء ملوك اليمن المتأخرين » وقد ضاع عنَّا هذا الكتاب وَوَصل إلينا له كتاب آخر هو « السِّمْط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن » وهو يؤرخ للفتح الأيوبى لليمن وحالة اليمن قبل قدوم توانشاه لها فى سنة ٥٦٩ هـ . (راجع أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ١٣٦ – ١٣٨) .

(٤) راجع ، محمد عبد العال أحمد : « دراسة حول أقوال المؤرخين عن أسباب الفتح الأيوبى لليمن » ، مجلة معهد المخطوطات ١٣ (١٩٦٧ م) ٣١٩ – ٣٣٨ ، وللمؤلف نفسه : الأيوبيون فى اليمن مع مدخل فى تاريخ اليمن الإسلامى إلى عصرهم ، الاسكندرية ١٩٨٠ ، ودراسة مايكل باتز Bates, M. L. « Yemen and its conquest by the Ayyubid of Egypt (A.D. 1137 - 1202) » وهى رسالة دكتوراة بجامعة شيكاغو نوقشت سنة ١٩٧٥ م ، وكذلك كتاب محمد بن على عسيرى : « الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى اليمن فى العصر الأيوبى » جدة ١٩٨٥ .

الباب الثانى

الدعوة الفاطمية فى اليمن فى القرنين الخامس والسادس للهجرة

الفصل الأول
الدعوة الفاطمية فى اليمن
حتى نهاية عهد الصليحى

الدعوة الفاطمية فى اليمن قبل ظهور الصليحى

تَنْتَسِب الحركة الفاطمية فى اليمن إلى الفرقة الإسْمَاعِيلِيَّة [1] . واتَّسَمَت الدعوة الفاطمية الإسماعيلية بالسرية والكتمان ، فكان أئمتهم يسيرون فى البلاد سرًّا ، ويُظْهِرُون الدعاة جَهْرًا ، خوفًا من العباسيين السنيين وللوصول إلى هدفهم فى إقامة خلافة شيعية تَحْكُم العالم الإسلامى . فنحن لا نعرف الشىء الكثير عن تاريخ الإسماعيلية من نقطة انطلاقها بعد محمد بن إسماعيل حتى منتصف القرن الثالث الهجرى ، حينما بَدَت كتنظيم ثورى سرِّى يعْتَمِد على

---

[1] الإسماعيلية حركة اجتماعية فلسفية سياسية معًا ، يدَّعُون إيصال نَسَبِهم إلى السيدة فاطمة والإمام على . وزَعَمُوا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه إسماعيل نصًّا عليه ، واختلفوا فى وفاته فى حياة أبيه ، فمنهم من قال إنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس ، ومنهم من قال إن الموتَ صحيح ، ولكن النصَّ لا يرجع القَهْقَرى وأن الفائدة من النص بقاء الإمامة فى أولاد المنصوص عليه ، فالإمام بعد إسماعيل هو محمد بن إسماعيل . وذكروا أن الإمامة لا تَنْتَقِل من أخٍ إلى أخيه بعد انتقالها من الحسن إلى الحسين ، وخالفوا فى ذلك الموسوية الإثنى عشرية الذين رأوا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه موسى الكاظم . (راجع عنهم ، فى نَسَبِ الخلفاء الفاطميين – كما جاء فى كتاب بَعَثَ به المهدى إلى ناحية اليمن (نشرة حسين الهمدانى ، مط . الجامعة الأمريكية – القاهرة ١٩٥٨) ، Ivanow, *EI*, art. *Ismailiyya*, Suppl. pp. 105 - 109; Dodge, B. « al - Ismâiliyyah and the origin of the Fatimids », *M.W.* 49 (1959), pp. 296 - 305; Madelung, W., *EI.*, art. *Ismailiyya* IV, pp. 206 - 215; Lewis, B. *The Origins of Ismailism*, Cambridge 1940. (نقله إلى العربية خليل أحمد جلووجاسم محمد الرجب تحت عنوان « أصول الإسماعيلية » بغداد ١٩٤٧) ، محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية (القاهرة ١٩٥٩) . وما ذكروا من مصادر ومراجع .

الدعاة النشيطين الذين انتشروا فى أرجاء العالم الإسلامى [١] ، وقَصَدُوا بوَجْهٍ خاص الأطراف البعيدة التى غلب على أهلِها الغَفلَة والجَهْل [٢] . وكان اليمن ، كما وَصَفَه أبو العلاء المَعَرِّى ، « منذ كان ، مَعْدِنًا للمتكسِّبين بالتَدَيُّن ، والمُحْتَالِين على السُّحْت بالتزَيُّن » [٣] وأضاف أن بها فى عَهْدِه جماعة « كلُّهم يزْعُم أنه القائم المنتظر ، فلا يُعْدَم جباية من مال يَصِل بها إلى خسيس الآمال » [٤] . فكان اليَمَنُ أحد أهم الأطراف التى قَصَدها الدعاة .

قَسّم الفاطميون العالم الإسلامى إلى اثنتى عشرة جزيرة [٥] بكل منها داع مُطْلَق وكانت الجزيرة اليمنية من أَخَصّ الجزائر عند الفاطميين [٦] كما كان انتشار التشيُّع والمتشيعين فى بلاد اليمن سرًّا وعلانية من أهم الأسباب التى دعت الإمام الحسين بن أحمد – آخر الأئمة المستورين – [٧] إلى إرسال أبى القاسم

---

(١) Madelung, *El.*, art. *Ismā'iliyya* IV, p. 206 ، محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ١٩ و ٢١ .

(٢) القاضى عبد الجبار : تثبيت دلائل النبوة (تحقيق عبد الكريم العثمان ، بيروت ١٩٦٦) ٣٧٦ .

(٣) أبو العلاء المعرى : رسالة الغُفْرَان (تحقيق بنت الشاطئ ، القاهرة ١٩٦٩) ٤٤٢ .

(٤) Margoliouth, *JRAS* (1902) p. 828 .

(٥) كان فى كل جزيرة (قسم) داع مُطْلَق (حُجَّة أو رئيس مذهبى) وفى كل بلد داع يدعو إلى المذهب ليكون صلةً بين الناس وبين إمامهم الفاطمى . ولم يُمْكِننا معرفة شخصية الدعاة الإثنى عشر فى عصر واحد . (Stern, S., « Cairo as the Center of the Ismā'ili movements », *CIHC*, p. 446) .

(٦) يتضح ذلك من وصف الخليفة الآمر بأحكام الله لها فى أحد سجلَّاته يقول إنها « من الأصقاع التى يراعى أمير المؤمنين جميع أمورها ويؤثر إصلاح كبير أحوالها وصغيرها وذلك لأنها من مهاجر المسلمين من أوائل الزمان ، ومحل أهل الإيمان ، منذ اشتدت قاعدة الإسلام إلى الآن ، ولم تخل من أبناء الدعوة الفاطمية وأولياء الدولة العلوية » . (الحامدى : تحفة القلوب فى ترتيب الهداة والدعاة فى الجزيرة اليمنية (متضمن فى كتاب الأزهار للحسن بن نوح) ، راجع مقال شتيرن Stern, S., *Oriens* IV (1951), p. 233) .

(٧) الحامدى : تحفة القلوب (*Oriens* IV (1951), p. 234) ، القاضى عبد الجبار : المصدر السابق ٣٧٧ ، وفى نزهة الأفكار لعماد الدين إدريس ٨ و أن الذى أرسله هو المهدى عبد الله نفسه .

الحسن بن فَرَح بن حَوْشَب بن زَاذَان الكوفى[١] المعروف بمَنْصُور اليمن [٢] إلى هناك . وحَال بُعْد اليمن عن مركز الخلافة ووعُورَة طُرُقها ، بالإضافة إلى انشغال العباسيين فى هذا الوقت بثورة الزَّنْج [٣] ، بين الخلافة وتوجيه الجيوش إلى اليمن لإنقاذها من دعاة الفاطميين [٤] .

وعَدَّ القاضى النعمان بن حيُّون اليمن « أصْلُ الدعوة .. وإليها أُرْسِل الداعى ومنها نَفَذ إلى المغرب ، وعن صاحب دعوته أخذ وبآدابه تأدب » [٥] . فدعوة اليمن هى الطور الرئيسى فى أطوار تطوّر الدعوة الفاطمية ، وهى التى مهَّدت لظهورها علانية وقيام الخلافة المنتظرة فى المغرب .

نَجَحَ منصور اليمن فى إقامة الدعوة للإمام المستور فى اليمن ولما تأكَّد الإمام

---

[١] أهم مصدر يحدثنا عن منصور اليمن ولقائه بالإمام الإسماعيلى وإرساله إلى اليمن ومعه على بن الفضل هو القاضى النعمان بن حيون فى « رسالة افتتاح الدعوة » (تحقيق وداد القاضى ، بيروت ١٩٧٠) ٣٢ - ٥٤ و ٥٦ - ٦٢ و ١٤٩ - ١٥٠ وراجع ضبط اسمه Canard, M. « L'autobiographie d'un chambellan du Mahdi Obeidallah le Fatimide », *Hespéris* 39 (1952), pp. 299 n.1 ، القاضى النعمان : افتتاح ٣٢ هـ ، وانظر Sezgin, *GAS* I, p. 583 ، وذكر ايفانوف أن له سيرة نقل عنها صاحب « الرسالة الوحيدة » Ivanow, Ismaili *Literature* p.22 ، وذكر عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٨ و أنه من آل مسلم بن عقيل بن أبى طالب .

[٢] القاضى النعمان : افتتاح ٣٢ - ٣٣ ، محمد اليمانى : سيرة جعفر الحاجب (تحقيق و . ايفانوف ، مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية ٤ (١٩٣٦) ١١٥) ، نشوان الحميرى : الحور العين ١٩٧ .

[٣] شَغَلت هذه الثورة الخلافة العباسية أربع عشرة سنة (من رمضان ٢٥٥ إلى صفر ٢٧٠) راجع عنها ، الطبرى : التاريخ ٩ : ٤٣١ وحتى ٦٥٣ ، المسعودى : مروج الذهب ٥ : ١٠٣ - ١٠٤ ، فيصل السامر : ثورة الزنج (بغداد ١٩٥٤) ، Popovic, A., « Quelques renseignements inedits concernant le « Maitre de Zang » 'Ali B. Muhammad » *Arabica* 12 (1965), pp. 175 - 187; id., *La révolte des esclaves en Iraq au III / IX siécle,* Paris 1976 .

[٤] حسين الهمدانى : الصُّلَيْحِيُّون والحركة الفاطمية فى اليمن (القاهرة ١٩٥٥) ٢٥ ، ماجد : ظهور خلافة الفَاطميين وسقوطها فى مصر (الإسكندرية ١٩٦٨) ١٩٣ .

[٥] القاضى النعمان : افتتاح ٣٢ .

من ظُهُور دَعْوتِه وتمكُّنِها فى اليمن أرسل أبا عبد الله الشيعى [١] إلى داعى اليمن وكتب إليه أن يُبَصِّرَه ويُرْشِدَه ويُلَقِّنَه ، ووَصَّى أبا عبد الله أن يَمْتَثِل سيرته وينظر أفعاله ويَحْتَذِيها [٢] . ثم خَرَج أبو عبد الله مع أهل اليمن للحج حيث التقى بحاج كُتَامَة وسَارَ معهم إلى مِصر ثم توجَّه إلى المغرب [٣] الذى كان أرضا مهيأة لنُصْرَة المذهب وسَبَقَه إليه داعيا الإمام جعفر الصادق أبو سفيان والحلوانى [٤] . وكان بين دخولهما المغرب ودخول صاحب البذر – أبى عبد الله الشيعى – مائة وخمس وثلاثون سنة [٥] .

لقد فَكَّر الإمام المهدى عبد الله الفاطمى فى إقَامة دولته فى اليمن فَخَرج من سَلَمْيَة وهو يُظْهِر لأخصَّائه « أنه يُرِيد إلى اليمن » [٦] وعَلَّق جعفر الحاجب على ذلك يقول : « فسِرْنا مع المهدى ع م لا نَشُكّ أنَّ إلى اليمن سَيْرَنا » [٧] فلمَّا وَصَل رَكْبُ المهدى إلى مصر وَرَد كتابٌ من بغداد بصِفَة

---

(١) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا . أصْلُه من الكوفة وكان محْتَسِبًا بسوق الغزل بالبصرة – وقيل إنما المحتسب أخوه الأكبر أبو العباس محمد – وعُرِف أبو عبد الله بالمُعَلِّم لأنه كان يُعَلِّم الناس مذهب الإمامية الإثنى عشرية (القاضى النعمان : افتتاح ٥٩ – ٦٠ ، محمد اليمانى : سيرة جعفر الحاجب ١٢١، ابن عذارى : البيان المغرب ١٢٤ – ١٣٠ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٦ ، ابن حمَّاد : أخبار ملوك بنى عُبَيْد ٧ ، ابن الأثير : الكامل ٨ : ٣١ ، ابن خَلِّكَان : وفيات الأعيان ٢ : ١٩٢ – ١٩٤ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ١ : ٥١ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٢٥ ، Talbi, M., *L'Emirat Aghlabide* (Paris 1966) pp. 579 - 589; Sterm, S., *EI²*., art. *Abū ʿAbd'Allāh* I, p. 106

(٢) القاضى النعمان : افتتاح ٥٩ ، عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١٨ و .

(٣) انظر ، ابن الأثير : الكامل ٨ : ٣١ – ٣٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ١٢٤ – ١٣٠ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٢٥ – ٣٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ١ : ٥٥ – ٥٩ .

(٤) القاضى النعمان : افتتاح ٥٤ – ٥٨ ، المقريزى : اتعاظ ١ : ٥٠ و ٥٥ ، ابن الأثير : الكامل ٨ : ٣١ .

(٥) القاضى النعمان : افتتاح ٥٨ .

(٦) المصدر نفسه ١٤٩ ، محمد اليمانى : سيرة جعفر ١١٠ – ١١١ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٣٢ ، المقريزى : اتعاظ ١ : ٥٢ .

(٧) محمد اليمانى : سيرة جعفر ١١١ و ١١٤ .

المهدى وطَلَب القبض عليه ، فأخبر الرسول أن الذى أتى فى طَلَبه تَوَجَّه إلى اليمن قَبْل مدة قصيرة [١] .

كان رُفَقَاء المهدى يعتقدون أنهم سيَتَّجِهُون إلى اليمن ، إلّا أن الكتاب الوارد من بغداد بصفة المهدى وطلب القبض عليه جَعَله يُفْصِحُ عن نيته فى الخروج إلى المغرب . وأكَّد المهدى ذلك بأن رَدَّ صاحبه جعفر إلى سلمية ليُحْضِرَ نساءه وكنوزه على أن يلحق به فى طرابلس [٢] ، كما أرسل أبا العباس إلى القيروان ليَلْحَق بأخيه أبى عبد الله ويُعَرِّفه بقُرْبِ قدوم المهدى [٣] . ونَجَح المهدى فى إقامة دولته فى إفريقية حيث دُعِى له فى الخطبة من فوق منابر رقادة والقيروان ومُدن أخرى فى سنة ٢٩٧ هـ [٤] .

أدَّى اتجاه المهدى إلى المغرب وعَدَم قَصْدِه اليمن إلى انشقاق داعيته الرئيسى فيروز الذى وصفه جعفر بأنه « داعى الدعاة وأَجَلّ الناس عند الإمام وأعظمهم منزلة ، وأن الدعاة كلهم أولاده ومن تحت يده ، وأنه بابُ الأبواب إلى الأئمة » [٥] فَقَد خاب أمله فى قَصْد اليمن وانْشَقّ على المهدى وامتنع عن الخروج معه ومَضَى قاصدًا اليمن [٦] مظهرًا لمنصور اليمن أن المهدى بَعَثه مشرفًا عليه إلى أن يَقْدُم بعساكر المغرب إلى مصر وَيكْتُب إليه ليستقبله بعساكر أهل اليمن وبذلك يتمكنون من محاصرة مصر ودخولها [٧] .

---

[١] المصدر نفسه ١١٣ وانظر المقريزى : المقفى الكبير ٢١٨ ظ ، ٢١٩ و .

[٢] محمد اليمانى : سيرة جعفر ١١٤ .

[٣] القاضى النعمان : افتتاح ١٥١ – ١٥٤ ، محمد اليمانى : سيرة جعفر ١١٦ .

[٤] القاضى النعمان : افتتاح ٢٤٥ – ٢٤٩ ، محمد اليمانى : سيرة جعفر ١١٦ و ١١٨ – ١١٩ .

[٥] محمد اليمانى : سيرة جعفر ١١٠ وانظر ، Hamdani, A., « Some aspects of the history of Lybya during the Fatimid period » in *Lybya in history* (Beirut S.D.) p. 324 .

[٦] القاضى النعمان : افتتاح ١٤٩ ، محمد اليمانى : سيرة جعفر ١١٤ .

[٧] Gateau, « La sirat Ja'far al - Hàjib », *Hespéris* 34 (1947)., p. 389 . والواقع أن هذه فكرة جريئة ولكن الأحداث وسياسة الفاطميين أنفسهم دَلَّت على غير ذلك .

أَخَذَ فيروز فى دعوة ابن فَضْل وأصحابه إلى نفسه وجَرَت بينهما وبين ابن حَوْشَب – الذى ظَلَّ على طاعته للمهدى – عِدَّة حروب تمكَّن فيها ابن حوشب من القضاء عليهما [1] .

لقد أراد المهدى أن يقيم دولته فى المغرب ، ليكون بعيدًا عن العباسيين ويَحْتَفظ فقط بعداء بعيدٍ معهم ، بحيثُ لم يُرِد أن يَدْخُلَ فى صِدَام معهم فى هذا الوقت المبكِّر [2] ، فيلاحظ أن الفاطميين لم يحاولوا أبدًا الاصطدام بالعباسيين إلَّا فى الوقت الذى تَحَرَّش فيه العباسيون أنفسُهُم بهم فى عهد القائم بأمر الله العباسى وعن طريق السلاجقة [3] .

من ذلك نرى أن الدعاة الذين تَبَيَّن لهم تردُّد المهدى فى الحضور إلى اليمن ثَارُوا عليه وارتبطوا بفكرة القرامطة [4] .

---

(١) القاضى النعمان : افتتاح ١٥٠ ، محمد اليمانى : سيرة جعفر ١١٥ .

(٢) Hamdani, A., « Some Considerations on the Fatimid Caliphate as a Miditerranean Power, Including an Interpretation of the Fatimid Split with the Qarmatians » in *Atti del Terzo Congresso di Studi Arabi e Islamici* (Ravello, Napoli 1967), p. 390 .

(٣) انظر فيما يلى ص ١٠٣ – ١٠٤ و ١١٢ .

(٤) نستطيع أن نوجز حقيقة موقف هؤلاء المنشَقِّين من دِرَاسة فكرة الشيعة الفاطميين . فقد بُنِيَت الحركة الشيعية الفاطمية ضد العقيدة السنية والتطلعات العباسية السياسية ، وَنَمت على فكرة تدميرها . فكَّونَت التنظيم السياسى الدينى المعروف « بالدعوة » وانتشر الدعاة فى طول الأراضى العباسية وعَرْضها يقُومُون بنشاط سياسى وأيديولوجى ليتمكنوا من القضاء على خلافة العباسيين . فهل أراد الفاطميون بعد تأسيس خلافتهم فى شمال أفريقيا أن يتَّجِهُوا بنشاطهم شرقًا فى محاولة لتدمير الخلافة العباسية ؟ هذا هو الاعتقاد السائد . ولكن ، فى الواقع لمَّا تبين لبعض الدعاة – الذين كانوا فى الحقيقة صانعى الحركة – أن الأئمة يقومون بنشاط مستقل ويبْعُدُون عن فكرة مواجهة الخلافة العباسية السنية بدأوا فى الانفصال عنهم مكونين طائفة مستقلة هى القرامطة . وكان على رأس هذه الطائفة داعيتا المهدى حَمْدَان قَرْمَط وعَبَدَان اللذان عارَضَا فكرة اتجاه المهدى بعيدًا عن أراضى الخلافة العباسية ، وأرادوا أن يُدَمِّر الخلافة السنية ليقيم على أنقاضها « المدينة الفاضلة » التى كانوا يحْلُمُون بها . ووجَدُوا أيضا أن حَمَاس الدعوة الأصلية كان حتمًا سيُفْقد وهم بعيدون عن أراضى العباسيين وتابعهم فى هذه الفكرة أيضا أبو طاهر الجنابى داعى البحرين . (Hamdani, A., *op. cit.*, pp. 388 - 389) .

الدعاة الفاطميون في اليمن بعد ابن حوشب

أدَّت وفاة منصور اليمن سنة ٣٠٣/٩١٥[(١)] إلى نشوء صراع حول من يخلفه فى ولاية أمور الدعوة اليمنية . وتركّز هذا الصراع بين ولده أبى الحسن المنصور وبين أبى محمد عبد الله بن العباس الشاوِرى – أحد رجال ابن حوشب المقربين – والذى استخلفه لينوب عنه فى الدعوة بعد وفاته[(٢)] . وقد ظن أبو الحسن المنصور أن أمر الدعوة سينتقل إليه وراثيًّا بعد وفاة والده ، وتوجه بنفسه إلى المهدى يسأله الولاية لنفسه ، فأخبره بأنه عهد بأمر الدعوة إلى الشاورى وأمره بطاعته والامتثال له[(٣)] .

لم يرض أبو الحسن بما آل إليه أمر الدعوة اليمنية وأضمر العداوة والشر للشاورى ، فقبَّحه على ذلك أخوه جعفر[(٤)] ، فلم يستجب إليه ومازال يتربص بالشاورى حتى قتله غدرًا وولى الأمر من بعده[(٥)] ، ورجع إلى مذهب أهل السنة وتتبَّع أصحاب الدعوة ولم يبق منهم إلَّا من تكتم أمره . ولم يلبث أبو الحسن أن لقى حتفه على يد بعض السنيين الذين شكُّوا فى إخلاصه للمذهب السنى[(٦)] .

وقد أدّت تنحية أبناء منصور اليمن عن رئاسة الدعوة الإسماعيلية فى اليمن إلى تركهم المذهب واعتناقهم المذهب السنى فيما عدا جعفر بن منصور اليمن الذى جاء إلى إفريقية فى خلافة القائم بأمر الله وشارك فى حرب أبى يزيد

---

(١) ذَكَرت بعضُ المصادر ، الجندى : أخبار القرامطة ١٧٥ أن وفاة ابن حوشب كانت قبل وفاة ابن فضل .

(٢) القاضى النعمان : افتتاح ٥٣ .

(٣) ابن أبى القبائل : كشف أسرار الباطنية ٢١٧ .

(٤) المصدر نفسه ٢١٧ .

(٥) المصدر نفسه ٢١٧ .

(٦) المصدر نفسه ٢١٨ .

مخلد بن كيداد الذى خرج على الخلافة الفاطمية فى أيام المنصور إسماعيل . وقد يَسَّرت له جهود والده فى نُصْرة المذهب الإسماعيلى الحصول على المعاونة المالية للمعز عندما تعرَّض لرهن داره فى مدينة صَبْرة المنصورية لصالح الدائن [١] .

استخلف أبو الحسن فى مِسْور رجلًا من أهل دعوته يُقَال له إبراهيم بن عبد الحميد السَّبَّاعى لم يَلْبَث أن ادَّعى الأمر لنفسه وارتد أيضا عن مذهب الإسماعيلية ، وخَطَب للعباسيين ، وكاتب ابن زياد صاحب زَبيد ودَخَل فى طاعته [٢] .

لكن أهل الدعوة أقاموا عليهم رجلًا منهم يُقَال له يوسف بن موسى بن أبى الطُّفَيْل ، فلما وَصَل خبره إلى إبراهيم السَّبَّاعى خَرَج إليه وقتله ، فتفرَّق من بَقِىَ من أتباع الدعوة وقَصَدَت جماعةٌ منهم نواحى عُمَان [٣] . ثم أقامت الإسماعيلية ، بعد ذلك ، رجلًا يقال له عبد الله بن بِشْر القَطَانى ، داعيا إلى الإمام العزيز بالله ابن المعز [٤] الذى استخلف بعده الداعى محمد بن أحمد بن العباس .

وفى عهد الحاكم بأمر الله وَلِىَ أمر الدعوة الداعى هارون بن محمد

---

[١] سيرة الأستاذ جوذر ١٢٦ ، ابن أبى القبائل : كشف ١١٧ ، Ivanow, W., *Ismaili Literature* p. 21; Krauss, *REI* VI (1932), P. 486; Sezgin, F., *GAS* I, 538; Halm, H., *EI.*, art. *Dja'far b. Manṣur al - Yaman,* Suppl., p. 236 - 37

[٢] المصدر نفسه ٢١٨ ، الجندى : أخبار القرامطة ١٧٦ .

[٣] ابن أبى القبائل : كشف ٢١٨ ، عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ١ .

[٤] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١٨ ظ . وفى المصادر المصرية نقلًا عن المؤرخ الفاطمى المُسَبِّحى أن الدعوة أقيمت للعزيز بالله فى اليمن فى المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة (٩٩٢ م) . (ابن مُيَسَّر : أخبار مصر ١٧١ ، المقريزى : اتعاظ ١ : ٢٧٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١١٦ – ١١٧ و ١٢١ – ١٢٢ وقارن ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ٣٧٤) .

ابن رحيم [١] ، الذى ذَكَر ابن أبى القبائل أنه كان فى وقت المعز ، وأنه كاتبه بعد استقراره بمصر وكان كثير التخفى خوفا من أهل السنة [٢] وخَلَف ابن رحيم فى الدعوة الداعى يوسف بن أحمد بن الأشج (الأسد) فدعا للحاكم بأمر الله وَبايَع له سرًّا حتى وَقْت وفاته ، فاستخلف رجلًا يُقَال له سُلَيْمَان ابن عبد الله الزَّواحِى [٣] .

° ° °

نستطيع أن نَلْحَظَ أن الغموضَ قد غلب على الدعوة اليمنية فى الفترة بين وفاة ابن حوْشَب ووفاة سُلَيْمان الزَّوَّاحِى وهى نحو مائة وعشرين عاما ، ويبدو أن التستر والغموض يظل طابعًا غالبًا على هذه الدعوة طالما كانت غير قادرة على الظهور [٤] .

ويُلاحَظ أيضا أن فترات التستر هذه تكون عادة زاخرة بالإنتاج العقلى لأصحاب الدعوة . فَقَدَّمت اليمن فى هذه الفترة قليلا من الأدب الإسماعيلى الذى يُعْزَى إلى جَعْفَر بن منصور اليمن [٥] .

---

(١) عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ١ ونزهة الأفكار ١٨ و .

(٢) ابن أبى القبائل : كشف ٢١٨ .

(٣) الجندى : المصدر السابق ١٧٧ ، عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٢ و (وهو فيه سليمان ابن عامر) ونزهة الأفكار ١٨ ظ . وانظر فيما يلى ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٤) قَارِن بين ذلك والغموض الذى غلب على الفترة الواقعة بين وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق ونجاح ابن حوشب فى إقامة أول دولة فاطمية فى التاريخ فى اليمن سنة ٢٦٨ هـ . وما طرأ على الدعوة بعد سقوط الخلافة الفاطمية فى مصر ، وضعف الدعوة فى اليمن بعد الملكة السيدة الحرة .

(٥) راجع عن مؤلفات جعفر بن منصور اليمن Ivanow, *Ismaili Literature* p. 7; Kraus, p., « La Bibliographie Ismailienne de W. Ivanow », *R.E.I.* 6 (1932), p. 486; Sezgin, *GASI*, p. 578 Poonawala, I.K. *Bibliography of Ismāili Literature (California 1977), PP. 70 - 75* . محمد كامل حسين : مقدمة ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعة (القاهرة ١٩٤٩) ٦ — ٧ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية (القاهر ١٩٥٨) ٤٨٣ — ٤٨٧ ، مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية (بيروت ١٩٦٦) ١٨٥ — ١٨٦ .

الدعوة الفاطمية فى اليمن
فى عهد الصليحى

مَرَّت الدعوة الفاطمية فى اليمن منذ وفاة منصور اليمن بحالةٍ من الضَّعْف والتستّر . فَرَجَع بعض رجالها مثل أبى الحسن المنصور إلى مذهب أهل السنة ، وفرَّ بعض أتباعها بعقيدتهم خوفًا من رجال السنة إلى عُمَان . إلَّا أن طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة ساعدت على استمرار بعض الأفراد والجماعات على تمسكها بالدعوة رغم الصعوبات التى حاقت بهم ، واتَّخَذُوا من الحصون العالية وسيلة للتستر [١] .

ظهور الصليحى :

انتهى أمر الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن فى عَهْدَى الظاهر والمستنصر إلى رجلٍ من شِبَام يقال له عامر بن عبد الله الزوَّاحِى [٢] . كان ذا مال يُدارى به ويَدْفع عن أهل مَذْهَبه . وكان فى حَرَاز فى هذا الوقت ، قاضى سنى المذهب له طاعة فى رجالها هو محمد بن على الصُّلَيْحِى [٣] – والد الداعى

---

[١] حسين الهمدانى : الصليحيون ٦١ .

[٢] انظر أعلاه ص ٧٨ . وأجمعت كل المصادر على أن اسمه الزواحى بالراء المعجمة . أما ابن أسير صاحب كتاب « الجوهر الفريد » – ورقة ٢٦٥ فقد ضبط اسمه الرواحى بالراء والحاء المهملتين ، وكذلك فعل بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٥٩ وضَبَط يحيى بن الحسين : أبناء الزمن (دار) ٣٥ اسمه الزراحى وذكر أنها نسبة إلى قرية من أعمال حراز .

[٣] الصُّلَيْحى . بضم الصاد المهملة وفتح اللام والياء الساكنة وبعدها حاء مهملة . (السمعانى : الأنساب ورقة ٣٥٤ ظ) قال ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٥ « لا أعرف هذه النسبة إلى أى شىء =

على بن محمد الصليحى - فأخذ الزواحى يُلاطِفه ويركب إليه لما له « من رياسةٍ وسؤدد وصَلَاح وعِلْم » [(١)] حتى نَجَح فى استمالة قَلْبِ ولده على ، وهو يومئذ دون البلوغ ، لِمَا توسَّمَه فيه من مخايل الذكاء والنَّجَابة . فأخذ يُعَلِّمُه فِقْه الأئمة وأصول المذهب ، ولم يَلْبَثْ الزواحى أن توفى بعد أن أَوْصَى بكتبه وعُلُومِه إلى على بن محمد هذا ، فأخذ فى دَرْسها ومذاكرتها ، ولم يَبْلُغ الحُلُم حتى كان قد عَرفها ، وأصْبَح ، كما قال عمارة اليمنى « عالمًا فقيهًا فى مذهب الدولة متبصرًا فى علم التأويل » [(٢)] .

ولمَّا بَلَغ على الصليحى أَشُدَّه قام يحج دليلًا بالناس على طريق السراة والطائف خمس عشرة سنة ، لا يحج بالناس غيره ، والناس يقولون له « قد بلغَنا أن ستَمْلِك اليمن بأسره ، ويكون لك شأنٌ ودولة ، فَيُكره ذلك ويُنكِره على قائليه » [(٣)] .

وفى موسم سنة ٤٣٨ / ١٠٤٦ حَالَف الصُّلَيْحى فى مكة ستين رجلًا من حَرَاز على الموت والقيام بالدعوة . فلما كان فى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) [(٤)] ثار الصليحى مع حلفائه فى رأس جبال مَسَار - أعلى

= هى ، والظاهر أنها إلى رجل ، فقد جاء فى الأسماء والأعلام صُلَيْح ، ونسبوا إليه أيضا » . وذَكَر الجندى : أخبار القرامطة ١٧٧ أن أصله من الأخروج شيع مع أشياع حراز . وذكر الهمدانى الإكليل ١٠ : ٩٩ (وهو قبل ظهور الصليحى بقرن تقريبا) أن آل الصُّلَيْحى ببيت الأخروج ، وفى صفة جزيرة العرب ١٠٨ و ١٢٣ أنه جبل قريب من حراز . ونَسَبَهُ حسين الهمدانى فى « الصليحيون » ٦٤ إلى قبيلة الأصلوح من بلاد حراز . وأنا أميل إلى هذا الاستنتاج .

(١) عمارة : تاريخ اليمن ٤٨ ، الخزرجى : الكفاية والإعلام ٣٥ ، الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٢٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٠ ظ - ٢١ و .

(٢) عمارة : تاريخ ٤٨ ، عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١٩ و .

(٣) عمارة : تاريخ ٥٠ .

(٤) اختلفت المصادر فى السنة التى ثار فيها الصليحى فجعلها بعض المؤرخين وهم ينقلون عن عمارة مثل ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٢ ، ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ٦ : ٤١٥ ، الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٣٩ ، الخزرجى : الكفاية ٤٥ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٢ و ،=

ذروة فى جبال حراز - ولكنه لم يلْبَث أن حَاصَرَه نحو عشرين ألف ضارب سيف وشتموه وحَمَّقُوه وهدَّدوه بالقتل هو ومن معه ، فقال لهم إنه لم يفعل ذلك إلَّا خوفًا عليهم أن يَمْلك الجبل غيرهم . وطَلَب إليهم أن يتركوه ليحرسه لهم ، فانصرفوا عنه [1] . وظَلَّ الصليحى يقيم الدعوة الفاطمية فى اليمن سرًّا خوفا من النجاحيين السنيين أصحاب زبيد . وكان يُلاطف رئيسَهم نجاحًا ويستكين لأمره ، وهو مع ذلك يعمل الحيلة ويتحيَّن الفُرَص للخلاص منه ، حتى تمكَّن من قتله على يد جارية حسناء أهداها إليه وهو بالكَدْرَاء ، سنة ٤٥٢ / ١٠٦٠ [2] . ولم تكن هذه الحادثة إلَّا بداية نزاع طويل بين الصليحيين والنجاحيين .

وكانت الفترة التى مرَّت بين موت الزواحى وقيام الصليحى بثورته وهى تقرب من خمسة عشر عاما ، كانت كافية لصَقْل الصليحى ، ولتكوين جماعة قليلة تَدِين بالإخلاص له والولاء [3] ، يستطيع عن طريقِها أن يطمئن فى إظهار الدعوة وإعلانها .

= عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ١ ظ ، نزهة الأفكار ١٩و ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١٨٧ ، الذهب المسبوك ٦٥ ، بامخرمة : قلادة النحر ٢ : ٦٠٠ . فى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) .

وجَعَلَها بعضهم الآخر مثل ابن أبى القبائل : كشف ٢١٩ - ٢٢٠ ، عمارة تاريخ ٥٠ - ٥١ (بتصحيح المحقق) ، ابن سمرة : الطبقات ٨٧ - ٨٨ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ٤٠ و ٤٩ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٦٠ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن (دار) ٣٩ وغاية الأمانى ٢٤٧ و ٢٥٠ فى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) . وشطَّ بعضهم مثل ابن الأثير : الكامل ٩ : ٦١٤ - ٦١٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٥٨ فجعلاها فى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) .

والأرجح أن سنة ٤٣٩ هـ هى التاريخ الصحيح لثورة الصليحى كما يدل على ذلك تسلسل الأحداث ، وكما ذكر ابن أبى القبائل وهو معاصر للصليحى .

[1] عمارة : تاريخ اليمن ٥٠ - ٥١ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٢ ، ابن أيبك الدوادارى : كنز الدرر ٦ : ٤١٥ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٦٠ .

[2] عمارة : تاريخ ٥١ و ٩٢ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٦١ ، قلادة النحر ٢ : ٦٠٠ ، الخزرجى : كفاية ٤٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢١ ظ ، يحيى بن الحسين غاية الأمانى ٢٥٣ .

[3] حسين الهمدانى : الصليحيون ٦٩ .

المواجهة العباسية الفاطمية وأثرها على تأييد الفاطميين للصليحيين في اليمن

لا يستطيع المؤرخ أن يَفْصِل الأحداث فى منطقة واحدة وفى فترة زمنية محدَّدَة بعضها عن بعض ، فهى نتائج مباشرة لسياسات الحكومات المعاصرة وصراعاتها .

لذلك لا يمكننا أن ندرس الأسباب التى ساعدت على نجاح الدعوة الفاطمية فى اليمن وظهورها فى زمن الصليحى منفصلة عن بقية الأحداث الجارية فى العالم الإسلامى المعاصر . فالصراع بين العباسيين والفاطميين مازال قائما رغم عدم قيام مواجهة مباشرة بينهما ، وظَهَرت على مسرح الأحداث قوى فتية جديدة مُمَثَّلة فى الأتراك السَّلاجِقَة لها طموحات وأطماع فى المنطقة ، واستعان بهم العباسيون السنيُّون فى مواجهة الفاطميين الشيعة والبيزنطيين المسيحيين . فحرص البيزنطيون على قيام روابط من الود بينهم وبين الفاطميين ليواجهوا معا الخطر الناشىء من ظهور السلاجقة .

* * *

ففى عَهْد الخليفة القادر بالله العباسى (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) وخَلَفِه الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ) طرأ تغيير واضح على سياسة العباسيين تجاه الفاطميين ، وبدأ الصِّدام بين القوَّتين اللتين تتجاذبان السيادة على الشرق

الإسلامى . وكان بداية التحرش بينهما « المَحْضَر » الذى صَدَر ببغداد سنة ٤٠٢ / ١٠١١ متضمنا القَدْح فى نسب الفاطميين ووَقَّع عليه كبار العلماء والفقهاء والقضاة فى بغداد وعلى رأسهم نقيب الطالبيين الشريف المرتضى وأخوه الشريف الرضى (١) ، وكان هذا المَحْضَر بداية حرب دعائية بينهما استمرت فترةً طويلة ، ففى سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢ كُتِبَ ببغداد محضرٌ شبيه بالمحضر السابق تضمَّن أيضا القدح فى نسب الخلفاء الفاطميين (٢) .

وفى الوقت نفسه حاول الخليفة القائم بأمر الله العباسى أن يستغل طاقات الأتراك السلاجقة فى خدمة العباسيين ضد الفاطميين والبيزنطيين معًا . فكان رد الفعل الطبيعى لمثل هذه السياسة هو تقوية الود القائم بين الفاطميين والبيزنطيين (٣) .

كانت سيادة الفاطميين فى هذا الوقت تمتد شمالًا فى بلاد الشام وغربًا فى إفريقية ، وشرقًا فى الأراضى المقدسة ، وأقيمت الدعوة للحاكم بأمر الله – لفترة قصيرة – فى الموصل شمال العراق (٤) ، وكانوا فى الوقت نفسه يأمنون جانب البويهيين حكام العراق الفعليين الذين كانوا على مذهب الشيعة الزيدية (٥) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٩ : ٢٣٦ ، الذهبى : العبر فى خبر من غبر ٣ : ٧٦ – ٧٧ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر (مصر ١٣٢٥ هـ) ٢ : ١٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ١ : ٣١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٩ .

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ١٣ ، الذهب : العبر ٣ : ٢٠٤ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٢٣ ، الخطط ١ : ٣٥٦ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٥٣ . ووصلت إلينا صيغة المحضر الأول بينما لم تصل إلينا صيغة المحضر الثانى .

(٣) Hamdani. A, « Byzantine-Fatimid Relations before the Battle of Manzikert », *Byzantine studies* I, 2 (1974), p. 170 .

(٤) أقيمت الدعوة أيضا للعزيز بالله فى الموصل سنة ٣٨٢ هـ (ابن ميسر : أخبار مصر ٤٩ ، المقريزى : اتعاظ ١ : ٢٧٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٤) .

(٥) راجع ، حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ٢٢٦ – ٢٢٨ .

ففى الشام بدأت السيادة الفاطمية فى الضعف نتيجة لخروج الأمراء المحليين وتحَالُفهم معا ضد سلطان الفاطميين منذ عَهْد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ - ٤٢٧ هـ) وحاولوا الاستعانة بالإمبراطور البيزنطى ليُسَاعِدَهم على الاستقلال عن الفاطميين . فتحَالَف حسَّان بن جرَّاح وسنَان بن البَنا وصالح ابن مِرْدَاس واتفقوا على تقسيم بلاد الشام فيما بينهم [١] . وجَرَت بينهم وبين جيوش الفاطميين بقيادة القائد أنُوشْتَكِين الدِّزْبَرى حروبٌ كثيرة [٢] .

أما الشمال الإفريقى فقد تَرَك فيه الفاطميون عند انتقالهم إلى مصر أسرة بربرية محلية هى أسرة الزيريِّين الذين اعترفوا بسيادة الفاطميين [٣] .

عمل العباسيون على الاستعانة بالسلاجقة فى محاولة لفَرْض حِصَارٍ على الفاطميين وتضييق الخناق عليهم تمهيدا للقضاء على خلافتهم . فحاولوا الاتصال بحاكم إفريقية الزيرى المُعزّ بن بَادِيس (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ) ليَقْطَع الخُطْبَة الفاطمية ويدعو للعباسيين ، فأرسلوا رسولًا حَمَل إليه خِلَعًا وتشاريف عن طريق القسطنطينية وذلك لإفساد أواصر الود التى بَدَت بين الفاطميين والبيزنطيين [٤] .

تنبَّه الفاطميون لهذه السياسية وعملوا على كسر الحصار المفروض عليهم

---

(١) راجع ، المُسَبِّحِى : أخبار مصر (تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى - المعهد العلمى الفرنسى ، القاهرة ١٩٧٨) الفهرس ص ١٢٥ و ١٢٧ ، Canard, M., *EI²*., art. *Djarrāhides* II, pp. 495 - 497 وما ذكر من مصادر .

(٢) راجع ، Wiet, G., « Un Proconsul Fatimide de Syrie Anushtàkin Dizbirī (m. en 433 / 1042), *MUSJ* 46 (1970), pp. 385 - 407 وما ذكر من مصادر .

(٣) انظر ، ابن عذارى : البيان المغرب ١ : ٢٢٨ ، ٢٧٧ ، ٢٩٦ ، Marcais, G., *EI*, art. *Zirides* IV, 299 - 1300 ، حسن أحمد محمود بنو زيرى وسياستهم الداخلية (رسالة ماجستير بمكتبة جامعة القاهرة) Idris, H.R., *La Berbérie Orientale sous les Zirides X-XII siécle* . (Puble. de l'*IEO*, Faculté des lettres d'Alger - XXII, Paris 1962) .

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢ :٢١٤ و ٢٢٤ .

ومُوَاجهة الخلافة العباسية ، لأول مرة ، مواجهة مباشرة . فحاولوا ذلك عن طريقين . الأول : التجارة ، والثانى : المواجهة الحربية المباشرة .

التجـارة

كانت تجارة الفاطميين حتى هذا الوقت تقوم مع أوربا وحوض البحر المتوسط وخاصة مع صِقِلِّيَّة التى مدَّ الفاطميون نفوذهم عليها وحرصوا على الاحتفاظ به ، حتى بعد استقرارهم فى مصر لأسبابٍ سياسيـة واقتصادية [١] ، وذلك امتدادًا لسياسية الفاطميين الأوائل فى شمال أفريقيا ، وساعدهم على ذلك حسن العلاقة بينهم وبين البيزنطيين فى أعقاب ظهور السلاجقة ، والمعاهدات التى وقَّعَها الطَّرَفَان [٢] .

وبرغم وجود دعاة للفاطميين فى اليمن والسند فإن الفاطميين لم يهتموا كثيرًا بقيام تجارة لهم مع المَشْرِق حتى لا يدْخُلوا فى منافَسةٍ جادة مع التجارة العبَّاسية [٣] ، وذلك مع وجود تجارة لمصر مع الهند والصين كان يقوم بها التجار اليهود الرَّازَانِيَّة منذ القرن الثالث الهجرى [٤] ، إلَّا أن الفاطميين لم يحاولوا التركيز عليها فى أول خلافتهم . وظل احتكار التجارة الشرقية فى أيدى

---

[١] حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ٩٩ - ١٠٠ ، وذكر ناصر خسرو : سفرنامة ٤٨ ، أن لسلطان مصر بطرابلس سفنا تسافر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة . وأضاف (سفرنامة ٨٥) أن صقلية تبلغها السفينة من مصر فى عشرين يوما وتغادرها كل سنة سفينة تحمل المال إلى مصر ويجلبون منها كتانا رقيقا وثيابا منقوشة يساوى الثوب منها فى مصر عشرة دنانير مغربية .

[٢] انظر ، أبا الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢ : ١٧٠ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١٨٧ ، Canard, *EI²*., art. *Fatimides* II, p. 875

[٣] الهمدانى : الصليحيون ٢٢٩ ، Hamdani, A., « The Fatimid Abbasid conflict in India », *IC* 41 (1967), p. 188

[٤] ابن خرداذبة : المسالك والممالك (ليدن ١٨٨٩) ١٥٣ - ١٥٤ . وعن حقيقة دور الرازانية =

الخلافة العباسية عن طريق الخليج العربى انطلاقًا من مينائى البَصْرة وسيرَاف [١] ، ساعد على ذلك أن قاعدة عَدَن البحرية الهامة لم تكن قد نَمَت بعد ، فبقيت التجارة العباسية مع الشرق عن طريق الخليج العربى آمنة غير متَنَازَعٍ عليها [٢] .

وفى أعقاب المواجهة العباسية الفاطمية استَنَّ الفاطميون استراتيجية شرقية ، وراوا ضرورة قيام منافسة بين طريقى التجارة المؤديين إلى الشرق الأقصى (طريق مصر – البحر الأحمر ، وطريق العراق وإيران – الخليج الفارسى) . وهَدَفَ الفاطميون من ذلك إلى السيطرة على الشاطئين الأفريقى والعربى ، وكذلك على المنفذ الجنوبى المؤدى إلى الهند [٣] .

فعلى أثر خروج إفريقية والشام من أيدى الفاطميين ، ركَّزوا جهودهم فى نشر الدعوة على طرق التجارة البحرية والبرية المؤدية إلى الهند ، وفى الهند نفسها [٤] .

فمن الناحية الأَفريقية طوَّر الفاطميون ميناء عَيْذَاب [٥] ليصبح مركزًا

= ووجودهم الفعلى راجع : Cahen , Ce ., « Y'a-t-il eu des Rahdanites ? *REJ*III (Janv - Juin 1964), pp. 499 - 505; id. « Quelques questions sur les Radanites », *Der Islàm* 48 (1971) pp. 333 - 334; Gil, M., « The Radhànite merchants and the land of Ràdhàn » , *JESHO* XVII (1974), pp. 299 - 328; Jacobi, J., « Die Radaniya », *Der Islàm* 48 (1971), p. 252 - 264 .

[١] عن تجارة العراق البحرية مع الشرق راجع ، عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى (بيروت ١٩٧٤) ١٤٥ – ١٥٠ .

[٢] Hamdani, A., *op. cit*., p. 189 .

[٣] Lewis, B. « An Interpretation of Fatimid History *Cihc,* p. 291 .

[٤] Lewis, B. « The Fatimid and the route to India », *Revue de la Faculté des Sciences économiques Un. d'Istanbul* XI (1949 - 50), pp. 52, 54 .

[٥] عَيذَاب . ميناء على الساحل المصرى للبحر الأحمر . بدأ ذكرها منذ القرن الثالث الهجرى ، ولكن لم يظهر نشاطها إلَّا فى أثناء خلافة الفاطميين وظلَّت كذلك حتى القرن التاسع للهجرة ثم فقدت =

للتجارة الشرقية وحل محل ميناء القصير القديم [١] ، وأصبح منافسًا للبَصْرَة والأُبُلَّة [٢] . و من الناحية العربية وطَّدوا علاقاتهم بشرفاء مكة ، ووجَّهُوا أنظارهم إلى اليمن القاعدة الفاطمية الأولى ، فساعدوا الصليحيين على إقامة دعوة سياسية لهم هناك ، واستعانوا بهم كذلك على نشر الدعوة فى مناطق عُمَان وغرب الهند ، خاصة إقليم كُجَرات [٣] .

وفى الوقت نفسه ساعدت الظروف الفاطميين على ذلك ، فقد جَعَلَت الفوضى والحروب التى كانت فى العراق وإيران فى هذا الوقت من الخليج الفارسى طريقًا غير آمن ، وسَهَّلَت خطة الفاطميين فى نقل التجارة من الخليج الفارسى إلى البحر الأحمر ، وإعادة الحركة التجارية القديمة بين مصر والشرق . وقَصَد الفاطميون بخطتهم هذه هدفًا مزْدَوَجًا هو تقوية الخلافة الفاطمية عن طريق الدعم الاقتصادى ثم إضعاف الخلافة العباسية [٤] .

استفاد اليمن كثيرًا من اهتمام الفاطميين بالتجارة الشرقية ، وخاصة قُرب

= مركزها . يقول ابن جبير « هى من أحفل مراسى الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحطّ فيها وتُقْلع منها زائدًا إلى مراكب الحجاج » (ابن جبير : الرحلة (بيروت ١٩٦٤) ٤٥) وقال ناصر خسرو الذى دخلها فى سنة ٤٤٢ « فيها تُحَصَّل المكوس على ما فى السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن » (سفرنامة ١١٨) ، وراجع المقريزى : الخطط ١ : ٢٠٢ – ٢٠٣ ، Paul, A., « Aidhab a Madieval Read Sea Port » *SNR*, 36 (1955), pp. 64 - 70; Gibb, H.A.R., *EI²*., art ʿ*Aydhab* I, pp. 805 - 806 ; وعن تدهور الميناء راجع ، Garcin, J. Cl., « Jean - Lean - l'Africain et ʿAydhab », *An Isl*. 11 (1972), pp. 189 - 209 .

[١] يقول القلقشندى : هو من جهة الشمال من عيذاب ، كانت تصل إليه بعض المراكب لقربه من قوص وبعد عيذاب منها وتُحْمَل البضائع منه إلى قوص ثم من قوص إلى فندق الكارم بالفسطاط .. وإن لم يبلغ فى كثرة الواصل حد عيذاب (صبح الأعشى ٣ : ٤٦٩) .

[٢] Lewis, B., *op. cit.*, pp. 52 - 53; An Interpretation p. 292

[٣] Hamdani, A., *op. cit.*, p. 189; Some Cousiderations, p. 393 - 94 وانظر فيا يلى ص ١٥١ – ١٥٢ .

[٤] Lewis, B., « The route to India » p. 53 .

نهاية خلافتهم فى القرن السادس . فأصبحت زَبِيد والشِّحْر وعَدَن مراكز لتجارة العبور القادمة من الشرق الأقصى والهند إلى مصر والبحر المتوسط ، وغَدَت عَدَن [١] أعظم مستودع لبضائع الشرق الأقصى ، وتوفَّرت بها حركة نقدية هائلة [٢] .

وإلى جانب تدعيم الفاطميين لطريقِهم التجارى عبر البحر الأحمر ، وجنوب الجزيرة ، وحتى ساحل الهند الغربى ، فإنهم وَجَّهُوا عناية كبيرة لخلق نواة لنشر النفوذ الفاطمى على طول الطرق البرية التى بدأ حكام العراق فى استخدامها [٣] . وهذا لا يعنى أن الدولة الفاطمية ارتبطت مباشرة بالتجارة أو أن الدعوة نفسها كانت تنظيمًا تجاريًّا ، إلَّا أن العلاقة بين الدعوة والتجارة وبين الإيديولوجية والنفوذ التجارى نادرًا ما بَدَت واضحة مثلما كانت فى هذه الدعوة [٤] . حتى أن كلمة إسماعيلى فى الاصطلاح المحلى الكُجَرَاتى (بُهُرَة) تعنى التجارة ، وهذا شيء ذو دلالة [٥] .

كان كل ذلك فى ضوء ما هو معروف عن كفاءة الإسماعيليين فى خِطَطِهم ، بمثابة سياسة مُحْكَمة مدروسة تَهْدف إلى القضاء على الخلافة العباسية ليَحِلَّ محلهم الفاطميون كحكَّام وحيدين للعالم الإسلامى [٦] .

وتُوضِّح لنا بعض مواد الجنيزة Geniza [٧] التى تتعلَّق بالتجارة مع الهند

---

[١] عن عدن وموقعها التجارى راجع ، Lofgren, O., *EI²*., art. *ʿAdan* I, pp. 185 - 187 .

[٢] Dimeglio, R.R., « Il Commercio arabo con la Cina dal X secolo all aviento dei Mongoli » dans *Annali dell Istituto Universitario Orientali di Napoli,* Nuovo Serie, 15 (1965), p. 93 .

[٣] Lewis, B., *op. cit.*, p. 53 .

[٤] Lewis, B., *An Interpretation* ... p. 292 .

[٥] Lewis, B., *The route to India* p. 53; Fyzee, A.A.A., *EI²*., art. *Bohoras,* I, p. 1292

[٦] Lewis, B., *op. cit.*, p, 54 .

[٧] الجنيزة . كلمة عبرية مأخوذة عن نفس الأصل الفارسى والعربى « جنازة » وهى تعنى مكانا =

مدى سيطرة تُجَّار شمال أفريقيا على تجارة الهند حتى أن مدن شرق أفريقيا وجنوب الجزيرة والهند لم تكن مليئة فقط بقوم يأتون من المدن الكبرى للعالم الإسلامى الغربى مثل : طَرَابُلُس والقَيْرَوانَ والمَهْدِيَّة وسِجِلْمَاسَة بل أيضًا من أماكن صغيرة ومعزولة مثل جبل نَفُوسة فى طرابلس وإربس فى تونس .

وقد ساعد هذا النشاط لتجَّار الشمال الأفريقى الفاطميين كقوة نَبَعت أصلا من شمال أفريقيا فى تحقيق استراتيجيتهم الشرقية ، واستفادوا من ثراء الشمال الإفريقى ابتداء من القرن الرابع وتوسُّعه فى تجارة الهند والشرق الأقصى . وهكذا استغل الفاطميون فى اتجاههم شرقًا الدعائم الاجتماعية والاقتصادية لموطنهم الأصلى فى شمال أفريقيا ، ويرى جويتين أن السياسة الدينية لم تكن وحْدَها هى التى قَوَّت التجارة الدولية للفاطميين بل ساعدها ضغط اقتصاد دولتهم النامى الذى مكَّن للدعاية الفاطمية أن تنتشر شرقًا [١] .

وفى أواخر القرن الخامس الهجرى بدأت التجارة الكَارِمِيَّة [٢] فى الظهور

= دُفِنَت فيه أوراق حتى لا يُدَنَّس اسم الله الذى يمكن أن يكون فيها (راجع Goitein, S.D., *EI²* *art. Geniza* II, p. 10 وأرى أنها ربما حُرِّفت عن كلمة « كنز » العربية خاصة وأن المقصود بها حفظ أوراق أيًّا كانت قيمتها .

ووُجِدَت هذه الأوراق المهملة فى نهاية القرن الماضى فى معبدى اليهود بالفسطاط والبساتين بمصر ، ووَجْدَت طريقها بعد ذلك إلى مكتبات أوربا وأمريكا وخاصة فى كامبردج وفيينا . وطلبًا لمقدمة شاملة عن هذه الأوراق راجع Goitein, S.D., *Mediterranean Society* I (California 1967), pp. 1 - 28 . ، وعن ما نشر منها انظر Shakad, *A tentative bibliography of Geniza documents* (Paris 1964) ،

(١) Goitein, S.D., « The Cairo Geniza as a source for the history of Muslim Civilzation », *SI.* 3 (1955) pp. 75 - 91 (80 - 81); « Letters and Documents on the India Trade in Medieva times », *IC.* 37 (1963), pp. 188 - 205 (p. 200).

(٢) لم يتوصَّل الباحثون بعد إلى تحديد معنى لفظ « الكَارِم » أو « الكارمية » الوارد فى المصادر العربية وأوراق الجنيزة (راجع ، صبحى لبيب : « التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى » ، المجلة التاريخية المصرية ، ٤ (مايو ١٩٥٢) ٥ - ٦٣ ، وخاصة ٦ - ٧ ، و Labib, S.Y., *EI²*., art. *Kārimi*, 4 pp. 666 - 670 وما ذكر من مراجع) . وأورد الأستاذ الشاطر بصيلى تفسيرا مقبولا لهذا =

وكانت عدن وعيذاب وقوص والقاهرة من أكبر مراكزها ، وتُمدُّنا وثائق الجنيزة التى وَصَلت إلينا من العصر الفاطمى ببعض التفصيلات عن طبيعة ونشاط التجارة الكارمية فى هذه الفترة المبَكِّرة ، بحيث أصبحت كلمة « كَارِم » شائعة فى بيوت القاهرة فى القرن السادس حتى أن أى امرأة كان يتوجَّه زوجُها إلى الهند كانت تنتظر منه الهدايا « فى الكارم » [١] .

ويذكر القلقشندى أن الفاطميين كان لهم أسطولٌ بعَيْذَاب يُتَلَقَّى به الكارم – فيما بين عَيْذَاب وسَوَاكِن – وما حولها خوفًا على مراكب الكارم من قومٍ كانوا بجزائر البحر الأحمر يعْتَرِضون المراكب ، فيحميهم الأسطول منهم ، وكان والى قوص يتولى أمر هذا الأسطول [٢] .

ونجد فى أوراق الجنيزة أن حكام جزيرة دَهْلَك كانوا يقومون بدور القَرْصَنَة البحرية هذه – وهم كما نعرف سُنَّة تابعون لحكام زبيد النجاحيين – فتذْكُر

= اللفظ بأنه يتكون من مقطعين « كار » و « يم » « كار » بمعنى الحرفة أو التجارة و « يم » بمعنى المحيط أو البحر البعيد الشواطئ وسقطت الياء فصار « كارم » أى « حرفة التجارة فى البحار » (الشاطر بصيلى : « الكارمية » ، المجلة التاريخية المصرية ١٣ (١٩٦٧) ٢٢٠) . ووردت الكلمة فى خطابات الجنيزة التى ترجع إلى عصر الفاطميين بمعنى السلع أو البضائع التى اتجر فيها أولئك التجار ونسبوا إليها مثل : « ينفذها فى الكارم » و « أما الكارم فقد وَصَلَنى منه كتاب » و « وقد خرج فى الكارم من أصحابنا اليهود » انظر ، Goitein, S.D., « New Light on the beginnings of the Karimi merchants », *JESHO* I (1958) pp. 176 - 177, 180 وتوصَّل جويتين من دراسة أوراق الجنيزة إلى أن التجار اليهود شاركوا فى تجارة الكارم جنبًا إلى جنب مع التجار المسلمين حيث كان سائدًا قبل ذلك أن هذه التجارة اقتصرت فقط على التجار المسلمين وإن من أراد المشاركة فيها كان عليه اعتناق الإسلام (*Ibid.*, p. 183)

ووَرَدَ نص عند ابن أيبك الدوادارى (كنز الدرر ٦ : ٣٨) يفيد أن « الكارم » كان موجودًا قبل ذلك التاريخ وأنه انقطع فى سنة ٤٥٦ هـ . وهذا النص ينقصه التوثيق وما يؤيده من مصادر أخرى .

[١] Goitein, S.D., *op. cit.*, p. 180

[٢] القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (القاهرة ١٩٣٨) ٣ : ٥٢ .

إحدى رسائل الجنيزة أن حماية الأسطول الفاطمى لم تكن دائمًا فعَّالَة حتى بالنسبة لتجارة الكارم [١] .

ونظرًا لأن اهتمام الفاطميين باليمن كانت له أهدافٌ اقتصادية إلى جانب نَشْر الدعوة . فإن خلفاءهم السنيين (الأيوبيون والمماليك) حرصوا على الاهتمام باليمن ، حتى إن فتح الأيوبيين لليمن كان من بين دواعيه تطوير العلاقات الاقتصادية بين البلدين [٢] ولكن علينا أن نلاحظ أن حَجْم التجارة ونوعها – وخاصة الكارم – فى عصر المماليك فيما بعد كان أكبر وأهم بكثير منه فى عصر الفاطميين [٣] .

المواجهة الحربية

وفى الناحية الحربية استغلَّ الفاطميون الفوضى التى اجتاحت العراق ، فساعدوا أبا الحَارِث أُرْسَلان البَسَاسِيرِى ، عن طريق داعى الدعاة المؤيد فى الدين هِبَة الله الشِّيرازى فى الاستيلاء على بغداد فى سنة ٤٥٠ / ١٠٥٨ وإقامة الدعوة لهم فى عاصمة العباسيين . وكَادَت المحاولة أن تَنْجَح لولا استعانة الخليفة القائم بأمر الله ، بُطغْرُل بك السلجوقى [٤] .

كادَت أول مواجهة مباشرة بين الفاطميين والسلاجقة أن تُسْقِط الخلافة الفاطمية أمام قوة السلاجقة الفتية ، إلَّا أن انشغال السلاجقة بالبيزنطيين فى عهد طغْرُل بك وألب أرْسَلان أجَّل سقوط دولتهم . وبَلَغ موقف الفاطميين

---

[١] Goitein, S.D. *op. cit.*, p. 184

[٢] Cahen, Cl. *EI.*, art *Ayyubides* I, p. 823

[٣] Ashtor, E. « The Karimi merchants », *JRAS* (1956) p. 53

[٤] انظر تفصيل ذلك فى : سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة (تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩) ، وراجع ، Hamdani. A. Some Considerations ... p. 394 ، سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ١٧٩ – ٢١٣ .

من السلاجقة عند ظهور خطر الصليبيين أنهم ظنُّوا أن الصليبيين يساعدونهم ضد السلاجقة ! [١] . وبدأت مظاهر العنف تظهر بوضوح على الدولة الفاطمية فى أواخر عهد المستنصر فى أعقاب الشدة المستنصرية ومع ازدياد نفوذ الوزراء ابتداء من أمير الجيوش بدر الجمالى . وعَبَّر عن ذلك المؤيد فى الدين فى سيرته فوَصَفَ المستنصر بأنه أُلْعُوبَة فى أيدى غيره وأن الوزراء ورجال الدولة استغَلُّوا ضَعْف الإمام فتلاعبوا به وبالبلاد لمصلحتهم الشخصية [٢] .
أما السجلات المستنصرية فإنها تُلْقى لنا بعض الأضواء الهامة على هذه الفترة . فأغلب السجلات المكتوبة بعد سنة ٤٦٧ / ١٠٧٤ ، نجدها تذكر بَدْرًا الجمالى بأعلى الألقاب مما يدُلّ على بدء ضعف نفوذ الخلفاء وازدياد نفوذ الوزراء [٣] .

---

[١] Hamdani, A., *op. cit.*, p. 394 ، سعيد عبد الفتاح عاشور : « شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية » ، المجلة التاريخية المصرية ١٦ (١٩٦٩) ١٩ - ٢٠ .

[٢] سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ٨٤ ، المقدمة ١٥ .

[٣] انظر ، السجلات المستنصرية (تقديم وتحقيق عبد المنعم ماجد ، القاهرة (١٩٥٤) الفهرس (مادة بدر) . وانظر فيما يلى ص ١٤٦ - ١٤٧ .

تحول الفاطميين إلى اليمن بعد انفصال شمال أفريقيا عنهم

كانت السياسة العباسية السلجوقية تريد أن يتخلى الأمير الزيرى المعز بن باديس عن ولائه للفاطميين ، إلى جانب تشجيعهم لحُكّام الشام المحليين على الخروج على الفاطميين فى محاولة لحصار الدولة الفاطمية [١] . وكانت إفريقية كلها والقَيْرَوان ، عندما وَلِيَها المعز بن باديس سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) ، على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنة والجماعة . ورُبِّىَ المعز فى حِجْر وزيره أبى الحسن بن أبى الرجَال فعَلَّمه مذهب مَالك [٢] فلم يزل المعز يُعْمِل فكْرَه لقطع دعوة الفاطميين إلى أن واتته الفرصة بمعاونة العباسيين عندما تسلَّم منهم خِلَعًا شريفة معها تقليد من القائم بأمر الله بتوليته جميع المغرب ، وَصَلت إليه سنة ٤٣٣ / ١٠٤١ عن طريق القسطنطينية [٣] . وفى شعبان سنة ٤٤١ هـ - (١٠٥٠ م) أمر المعز بن باديس بضرب عُمْلَة جديدة خاصة

---

[١] Hamdani, A., « The Fatimid - Abbasid conflict in India », *IC* 41 (1967), p. 189; id., « Byzanitine - Fatimid relations », *Byz. St.* I (1974), p. 171 .

[٢] ابن عذارى : البيان المغرب ١ : ٢٦٧ و ٢٧٣ - ٢٧٤ . وعن نشأة المعز بن باديس وموقفه من الشيعة راجع ، حسن أحمد محمود : « محنة الشيعة بأفريقية فى القرن الخامس الهجرى » ، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٢ (ديسمبر ١٩٥٠) ٩٣ - ٩٩ ، Idris, H.R., *La berberie Orientale sous les Zirides X-XII siecle,* Paris 1962, pp. 127 - 142 وعن العلاقة بين الفاطميين وأسرة الزيريين راجع ، Hamdani, A., « Some aspects of the history of Lybya during the Fatimid period » in *Lybya in history* (Beirut S.D.) pp. 332 - 342

[٣] ابن عذارى : البيان المغرب ١ : ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ابن الأثير الكامل ٩ : ٥٢١ - ٢٢ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١٩٠ وفيهما أن ذلك كان فى سنة ٤٣٥ هـ ، Hamdani, H., *op. cit.*, p. 338 .

به ، وأمر أيضًا بسبك ما عنده من الدنانير التى عليها أسماء الفاطميين بعد أن ظَلَّت تضرب هناك مائة وخمسًا وأربعين سنة [١] . وفى سنة ٤٤٣ / ١٠٥١ قَطَع المعز كُلَّ صلة له بالفاطميين عندما قطع الخطبة لهم ولبس السواد وأقام الدعوة بالمغرب للقائم بأمر الله العباسى ، وسَيَّر رسولًا إلى بغداد يطلب منهم الخِلَع والأعلام فأجيب إلى ذلك [٢] . وأرسلت بغداد رسولًا بصحبته عهد بالولاية ولواء أسود عن طريق القسطنطينية لإفساد الوِفَاق البيزنطى الفاطمى ، إلَّا أن الإمبراطور البيزنطى قَبَض على الرسول ، ورَفَض الاستجابة إلى طَلَب طغرل بك فى السماح له بالعبور بالهدية « رعاية لحق المستنصر » [٣] ولأن بينهما « عهودًا وهُدْنَة قد بقى منها سنتان ولا يمكن فسخها » [٤] وأُرْسِل إلى القاهرة فشُهِّر بها على جمل وأُحْرِق العهد واللواء والهدية .

لم يرض السلاجقة بهذا التصرف من الإمبراطور البيزنطى وظلُّوا يُحَرِّضُونَه على خليفة مصر . وانتهت المفاوضات بينهم بأن عَقَد طغرل بك اتفاقًا سريًّا مع الإمبراطور البيزنطى أنْهَى بموجبه تموين القمح الذى كانوا يرسلونه إلى مصر [٥] . فحَدَث بذلك تطويقٌ عباسى سلجوقى للفاطميين بعد أن فقدوا ممتلكاتهم فى الغرب .

---

[١] ابن عذارى : البيان المغرب ١ : ٢٧٨ - ٢٧٩ ، انظر ، Idris, H. R. « Sur le retour des Zirides a l'obedience Fatimide », *AIEO* 11 (1953), p. 29 .

[٢] المصدر نفسه ١ : ٢٨٠ ، ابن ميسر : أخبار مصر ١١ - ١٢ ، ابن خلكان الوفيات ٥ : ٢٣٠ ، النويرى : نهاية الأرب - خ ٢٦ : ٦٥ المقريزى : اتعاظ ٢ : ٢١٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٢ و ٥٠ ، الذهبى : العبر ٣ : ١٩١ (وفيه أن ذلك كان سنة ٤٤٠ هـ) ، وانظر السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٥) ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٣٣١ .

[٣] المقريزى : اتعاظ ٢ : ٤١٤ .

[٤] المصدر نفسه ٢ : ٢٢٤ .

[٥] سيرة المؤيد فى الدين ٩٤ - ٩٥ وهامش (١ ص ٩٥ ، ابن ميسر أخبار مصر ١٣ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٢٧ ، Hamdani, A. *IC*. 41 (1967) p. 189 ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ١٥٣ - ١٥٤ و ٣٦٥ .

كان ردّ الفعل المباشر لهذا العدوان العباسي هو مواجهة العباسيين والبحث عن منفذ آخر لإقامة الدعوة . فحَرَّض الفاطميون قبائل زُغْبَةَ ورِيَاح – وهما قبيلتان من العرب الهِلَالِيَّة – لغزو إفريقية فهزموا عساكر المُعِزّ وظلُّوا يحاصرونه منذ سنة ٤٤٣ / ١٠٥١ إلى سنة ٤٤٩ / ١٠٥٧ [١] . وحرَّض الوزير أبو محمد الحسن بن على اليَازُورِى (٤٤٢ – ٤٥٠ هـ) أهل صقلية أيضًا ضد ابن باديس [٢] ، وذلك انتقامًا منه لمخاطبته له « بصَنِيعَته » وتقصيره فى مكاتبته « عما كان يُكَاتِب به من تقَدَّمه من الوزراء » وذلك لأن اليازُورِى لم يكُن من أهل الوِّزارَة [٣] . وفى الوقت نفسه كان اليازورى سيىء التدبير ، « أوجب سوء تدبيره خروج إفريقية وحَلَب عن المستنصر » كما ذكر النويرى [٤] .

كذلك بدأ الفاطميون حملة ضد طغرل بك وبغداد عن طريق تأييد أبى الحارث أرسلان البساسيرى بواسطة المؤيد فى الدين الشِّيرازى انتهت بانفصال إبراهيم يَنَال عن طغرل بك سنة ٤٤٩ / ١٠٥٧ واحتلال بغداد الذى لم يستمر طويلًا [٥] .

ويذكر ابن حجر أن الوزير اليازورى كرد فعلٍ لضياع المغرب ، عندما علم بثورة على بن محمد الصُّلَيْحى باليمن بدأ يراسله لإعلان الدعوة الفاطمية وإظهارها هناك من جديد ، وذلك ضمن الاستراتيجية الشرقية الجديدة

---

(١) ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة (تحقيق عبد الله مخلص (1924) *BIFAO* 25) ٤٢ ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٢ و ١٧ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٦٩ – ٧١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ١ : ٢٨٩ – ٢٩٤ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢ : ١٧٩ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢١٥ – ٢١٨ . Idris, H. R., *La Berbérie Orientale*, p. 206

(٢) ابن حجر العسقلانى : رفع الإصر عن قضاة مصر (القاهرة ١٩٥٧) ١٩٤ .

(٣) ابن الصيرفى : المصدر السابق ٤١ ، ابن حجر : المصدر السابق ١٩٤ .

(٤) النويرى : نهاية الأرب – ح ٢٦ : ٦٦ .

(٥) سيرة المؤيد فى الدين ١٧٤ ، وانظر أعلاه ص ١١٢ – ١١٣ .

للفاطميين [١] . وهكذا بدأ الفاطميون يتَّجِهُون شرقًا مرة أخرى حيث وجدوا مريدين أكثر حرصًا على المذهب ودفاعًا عن الدعوة فى اليمن والهند . وكانت الدعوة اليمنية هى السبيل الوحيد لاستمرار المذهب الإسماعيلى ، حيث بدأ إيمان الفاطميين فى مصر يضعف وبدأت مظاهر التحلل والضعف تَظْهَر على دولتهم ، فى حين كان الأتراك السلاجقة القوى الجديدة فى الإسلام الآخذة فى النماء والقوة ، يتولَّون حركة الإحياء التى تزعَّمها الأشاعِرة ، أصحاب الحركة الفكرية الجديدة التى بدأت تسود فى هذا الوقت ، وتحل محل مذهب المُعْتَزِلة العقلى [٢] .

كان فَشَلُ الفاطميين فى مواجهة السلاجقة بمثابة الكارثة ، فبالإضافة إلى فشل الدعوة فى العراق وهزيمة البساسيرى ، دخلت مصرُ فى الفترة بين وفاة الوزير اليازورى عام ٤٤٩ / ١٠٥٧ ومجيء القائد بَدْر الجمالى فى سنة ٤٦٧ / ١٠٧٤ فى أزمات إدارية كبيرة ، فأُبْعِدَ أربعة وخمسون وزيرًا واثنان وأربعون قاضيًا ، وأثَّرت الفِتَن والمجاعات والأوبئة على البلاد [٣] . واستغل السلاجقة كل ذلك وحاولوا فتح اليمن فى عهد مَلِكْشَاه سنة ٤٨٥ / ١٠٩٢ وانتزاعها من الفاطميين فلا شك أن السلاجقة أدركوا أهمية اليمن للدعوة الفاطمية ولطريق التجارة الشرقية فيذكر ابن الأثير أنهم ملكوا عدن ، وهذا غير بعيد ، وإن لم نجد من الدلائل ما يؤيده [٤] .

---

[١] ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ١٩٤ .

[٢] انظر أعلاه ص ٥٣ و ٥٨ ، وراجع Hodgson, M.G.S., *The Order of Assassins* (Netherland, 1955) pp. 38 - 41 .

[٣] Hamdani, A., « Byzantine - Fatimid Relations » *Byzantine Sludies* I (1974), p. 176 ، محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، (القاهرة ١٩٧٠) ٣٠٧ - ٣١١ .

[٤] ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، وعنه يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧٣ . وقارن ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤) ج ١ ق ١ ص ٣٣ .

الصُّليحى يُظهر الدَّعوة للفاطميين فى اليمن

نجَحَ على بن محمد الصُّلَيْحِى فى سنة ٤٣٩ / ١٠٤٧ فى الثورة مع أتباعه على رأس جبل مسار [١] فكان ذلك بداية تحول جديد فى تاريخ اليمن والمنطقة الشرقية حتى سواحل الهند الغربية فاستحق أن يَعُدَّه المقريزى « أحدُ ثُوَّار العالم » [٢] . فما أن وَصَلَت إليه رسائل الوزير اليازورى تشجِّعه على إعلان الدعوة فى اليمن [٣] ، ردًّا على فقدان شمال إفريقية وبعض بلاد الشام حتى بادر بالكتابة إلى الإمام المستنصر بالله يستأذنه فى إظهار الدعوة وإعلانها ، وفى أن يسير إلى تِهَامَة ويأخذها من النجاحيين السنيين ، ووَجَّه إليه مع الكتاب هديةً عظيمة [٤] . وجاء رد المستنصر على الصليحى بالإذن له فى ذلك ، وأرسل إليه الرايات وكَتَب له الألقاب وعقد له ولاية على جميع اليمن ، وكان

---

[١] انظر أعلاه ص ١٠٠ – ١٠٢ .

[٢] المقريزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك (تحقيق جمال الدين الشيَّال ، القاهرة ١٩٥٥) ٦٥ .

[٣] ابن حجر : المصدر السابق ١٩٤ . وتفيدنا العملة فى تحديد بداية ظهور الصليحى . فلدينا عملة عليها اسمه ضُرِبَت بزبيد سنة ٤٤١ هـ (مجموعة Gautier) ، وأخرى ضُرِبَت بزبيد سنة ٤٤٥ وعليها أيضا اسم المستنصر ، (Casanova, « Dinars inedits du Yemen », *RN* (1894), pp. 201 - 202) وثالثة ضربت بزبيد سنة ٤٤٧ وعليها فقط اسم المستنصر Casanova, *op. cit.*, p. 206 أما أول دينار جاء عليه أنه ضرب بأمر على الصليحى فمؤرخ فى سنة ٤٥١ *Ibid.*, pp. 208 - 9; Bikazi, R. « Coins of al - Yaman », *al - Abḥāth* 23 (1970), pp. 78 - 80

[٤] ذكر عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٣٤ ظ أن هدية الصليحى كان بها فنون كثيرة من الذهب والفضة والسلاح والوشى والمسك والعنبر والكافور والعود الهندى الرطب والأستاذين والجوارى وكثير من الأمتعة . ووصلت مصر عن طريق أسوان وتنازع العبيد والأتراك فيمن يكون متولى حملها إلى الأبواب الأمامية وأخذ فى شحنها فى المراكب ثلاثين يوما ، ونقلت إلى قصر أمير المؤمنين بعد أن وصلت إلى الصناعة على الجمال فى ثلاثة أيام وأنعم المستنصر على رسل الصليحى الذين حملوا الهدية وأنزلهم منازل الإكرام . (وانظر ، ابن أبى القبائل : كشف ٢٢٠ ، الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف (تحقيق محمد حميد الله ، الكويت ١٩٥٩) ٢٥٣ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ٢٨٦) .

سفيره فى ذلك خاله أحمد بن المظفر [١] .

حينما جاء الإذن إلى الصليحى بإعلان الدعوة بادر إلى التهائم ، بعد موت نجاح ، فافتتحها وولى أمرها خال زوجته أسماء ، أسعد بن شهاب [٢] . وفى سنة ٤٥٤ /١٠٦٢ افتتح مدينة عَدَن التى قدَّمها كصَداق إلى السيدة الحرة حين زواجها من ابنه المكرم أحمد [٣] . وأجمع المؤرخون على أنه لم تخرج سنة ٤٥٥ / ١٠٦٣ إلَّا وكان الصليحى قد استولى على اليمن سهله ووعره ، بره وبحره وأزال ملك النجاحيين ، و لم تمتنع عليه إلَّا صَعْدة – التى كان بها دعاة الزيدية – ولكنه تمكن من أخذها بعد أن قتل القائم منهم ، فاستقر له ملك اليمن جميعه [٤] ، واتخذ مدينة (صَنْعَاء) عاصمة له ، فانقطعت بذلك أسباب الخلاف فى اليمن [٥] . وعلَّق عمارة اليمنى على ذلك قائلًا : « إن هذا أمر لم يعهد فى جاهلية ولا فى إسلام » [٦] .

---

[١] ابن أبى القبائل : كشف ٢٢٠ ، عمارة : تاريخ اليمن ٥١ ، الحامدى : تحفة القلوب (مخطوطة عباس همدانى) ص ٢٦٣ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٧٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٢ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٤١٦ ، المقريزى اتعاظ ٢ : ٢٢٢ و ٢٦١ ، الخطط ٢ : ١٧٠ (وفيه أن ذلك كان سنة ٤٤٢ هـ) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٥ و ١٦١ قلادة النحر ٢ : ٦٠٠ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن (دار) ٤٠ ، غاية الأمانى ٢٥٣ ، وانظر ، الحسن بن نوح : الأزهار *Oriens* IV (1951), p. 234

[٢] فى بعض المصادر ، مثل عمارة : تاريخ اليمن ٥٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٥٥ أنه وليها فى سنة ٤٥٦ هـ ، والسياق يقتضى أن تكون ولايته لها قبل هذا التاريخ كما يفهم من نص بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٦١ .

[٣] Lofgren, O.*EI²*, art. *ʿAdan* I, p. 186 بامخرمة : قلادة النحر ٢ : ٦٠٠ .

[٤] عمارة : تاريخ اليمن ٥١ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٢ ، ابن ظافر أخبار الدول المنقطعة ٧٢ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٤١٦ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ٢٦٨ – ٦٩ والذهب المسبوك ٦٦ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٧٢ و ١١٢ ، عماد الدين إدريس : عيون الأخبار – ح ٧ : ٨ ظ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٦١ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٥٤ وطبقات الزيدية – خ ٣٤و ٤٧ ظ ، الخزرجى : الكفاية ٤٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢١و .

[٥] عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٣٨ ظ – ٣٩ و ، نزهة الأفكار ٢٠ و – ٢٠ ظ .

[٦] عمارة : تاريخ ٥١ ، وعنه ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٢ ، ابن أيبك : كنز الدرر =

لم يبق خارجا على الصليحى إلَّا مكة المشرفة ، التى كان بها الأشراف الحسنيون – وهم على طاعة الإمام المستنصر بالله الفاطمى – وكان أميرها فى ذلك الوقت هو الشريف شُكْر بن أبى الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى [(١)] ، وكان متحاملًا على الداعى الصليحى . فكتب الصليحى إلى المستنصر يستأذنه فى إزالة الشريف عن مكة ليكون أمرها إليه ، فنهاه المستنصر عن سفك الدماء بالحرم وأمره بالصبر [(٢)] ، وفى الوقت نفسه رسم الإمام المستنصر على صاحب مكة الدخول فى طاعة الصليحى ، وأن يَلْزَم أوامره وزواجره ، فاستجاب شريف مكة لقول المستنصر وجرت الأمور بينه وبين الصليحى على الوجه الذى أراده المستنصر [(٣)].

لم يحاول العباسيون مد يد العون إلى أتباعهم النجاحيين أصحاب زبيد وأن يخلِّصوا اليمن من الدعوة الفاطمية ، كما حاول الفاطميون مع الزيريين وحرضوا عليهم قبائل زغبة ورياح ، ولم نسمع عن أى محاولة عباسية لإنقاذ اليمن من الفاطميين إلَّا محاولة الاحتلال السلجوقى لعدن ، كما ذكر ابن الأثير [(٤)] ، إلى أن جاء تورانشاه الأيوبى وفَتَح اليمن سنة ٥٦٩ / ١١٧٣ [(٥)] .

وفى سنة ٤٥٥ / ١٠٦٣ قدم الصليحى إلى مكة حاجًّا وتَرَكَ خلْفَه الأمير

= ٦ : ٤١٦ ، بامخرمة تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٦٠ ، الخزرجى : كفاية ٤٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٢ و .

(١) ترجمته عند ، ابن خلدون : العبر ٤ : ١٠٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٤ : ٢٦٩ ، الفاسى : العقد الثمين ٥ : ١٤ – ١٦ وذكر ابن الأثير : الكامل ١٠ : ١٩ أن وفاته كانت سنة ٤٥٣ هـ .

(٢) السجلات المستنصرية ، السجل رقم ٧ مؤرخ فى العشر الأولى من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٥ ، عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٨ و – ١٠ ظ .

(٣) السجل رقم ٣ ، عيون الأخبار ٧ : ١٥ و .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٢٠٣ – ٢٠٤ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧٣ .

(٥) انظر أعلاه ص ٥١ و ٦٧ .

أسعد بن شهاب ، صنو زوجته أسماء ، فى مدينة زبيد . وترك الولاة فى المدن والحصون والمعاقل ، وأخذ معه « ملوك اليمن وزعماءه » . وقام فى مكة بعِدَّة أعمال إصلاحية ، ونَشَرَ بها العدل وأمَّن الناس أمنًا لم يعهدوه من قبل ، وجَلَب إليها كثيرا من البضائع فرَخُصَت بها الأسعار . كما قام بكسوة الكعبة بديباج أبيض – شعار الفاطميين – ثم قَفَل عائدا إلى اليمن ، بعد أن جَعَل على إمارة مكة محمد بن أبى هاشم الحسنى [١] ، وبعد أن تأخَّر جوابُ إمامه عليه حين سأله السماح له بزيارته فى القاهرة [٢] .

° ° °

عَمل الصُّلَيْحى بعد عودته إلى اليمن على تثبيت أمور دولته ، فَعَيَّن الولاة على المدن التى فتحها ، فولى صهره أسعد بن شهاب على مدينة زبيد [٣] ، ووَلَّى أخاه عبد الله بن محمد الصليحى حصن التعكر [٤] . وكان عند عودته

---

[١] ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٣٠ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ١٢ : ٨٨ ظ – ٨٩ و ، الفاسى : العقد الثمين ٦ : ٢٣٨ ٢٤٠ (نقلا عن سبط ابن الجوزى) ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ٢٦٨ – ٦٩ ، الذهب المسبوك ٦٦ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٧٢ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٨ ظ – ١٠ ظ ، بامخرمة : قلادة النحر ٢ : ٦٠٧ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن (دار) ٤٠ ، غاية الأمانى ٢٥٤ .

[٢] انظر فيما يلى ص ١٣١ – ١٣٦ .

[٣] انظر كيفية تولية أسعد بن شهاب زبيد عند عمارة : تاريخ ٥٢ .

[٤] عمارة : تاريخ ٥٢ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٧٢ - ٧٣ . عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٣٩ ظ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٥٥ ، أنباء الزمن (دار) ٤٠ .

والتعكر . جبل فى ذى جبلة من أعمال إبّ به قلعة حصينة (فؤاد سيد : طبقات ابن سمرة ٣٠٩) ، وكان التعكر مقر ذخائر الصليحيين التى صارت إليهم من ملوك اليمن (عمارة : تاريخ ٧٠) .

من مكة وجَدَ قوماً من عَنْس وزَبيد قد أظهروا الخلاف والعصيان وخرجوا على طاعته وأقاموا عليهم رجلا منهم ، فَقَصَدهم الصليحى إلى معاقلهم وافتتحها عنْوة حتى دانوا له بالطاعة ، وقَتَل منهم عدداً كثيراً ثم عفى عمن بقى منهم (١) .

ومع استقرار الأحوال للصليحى عَمل على إعداد ابنه الأكبر (محمد) لينوب عنه فى جميع دعوته ، وليخلفه فى إقامة الدعوة فى اليمن . فكتب إلى المستنصر يَعْرِض عليه الأمر ويرجوه أن يأذن له فى ذلك ، فجاء رد الإمام فى سجل مؤرخ فى ربيع الآخر سنة ٤٥٦ / مارس ١٠٦٣ بالموافقة على ذلك ولَقبَّه بالأمير « الأعز » ، وزاد فى ألقاب أخويه فلقب الأوسط منهم الأمير « المكرَّم » والأصغر الأمير « المُوفَّق » ، وطَلَب إلى الأعز أن يتخذ أخويه له عضدين (٢) .

وفى هذه السنة توفى أسعد بن شهاب ، عامل زبيد ، فرأى الداعى على الصليحى أن يستعمل ولَدَه الأمير الأعز على ما كان إلى خاله من أعمال ، وأراد بذلك أن يختبره ويَعْرف سياسته ، فذهب إليها فى شهر شعبان سنة سبع وخمسين وأربعمائة / ١٠٦٥ ، كما جَعَل ولده الأوسط المكرم أحمد على الجَنَد وأعمالها (٣). وفى نفس هذه السنة قام السلطان عبد الله بن محمد الصليحى ، متولى حصن التعكر ، باختطاط مدينة ذى جِبْلة بأمر أخيه الداعى على الصليحى (٤) .

---

(١) السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٤) ، عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ١٢ ظ .

(٢) السجلات المستنصرية (سجل رقم (٢)) ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٣٩ و .

(٣) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٣٩ ظ ، نزهة الأفكار ٢٠ ظ .

(٤) المصدر نفسه ٧ : ٣٩ ظ . وذو جبلة من مخلاف جعفر فى سفح حصن التعكر ، نسبة إلى جبلة رجل يهودى كان يبيع الفخار فى الموضع الذى بنيت فيه دار العز . وصارت هذه المدينة عاصمة الصليحيين فى عهد الملكة السيدة الحرة . (عمارة : تاريخ ٦٢ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ١٦٨ =

لم يستمر الأمير الأعز طويلًا فى ولاية العهد ، فقد أصابته الحمى فى أوائل سنة ٤٥٨/١٠٦٥ ولم يلْبَث أن توفى فى زبيد يوم الخميس الثانى والعشرين من المحرم من هذه السنة ٢٥ ديسمبر ١٠٦٥ [١] . فاغتمَّ الصليحى كثيراً لوفاة ابنه الذى أعدَّه ليخلفه فى أمر الدعوة اليمنية ، وكتب إلى إمامه المستنصر يُخْبِره بذلك ، فردَّ عليه المستنصر بسجلٍ كُتِب فى شهر ربيع الأول سنة ٤٥٨ / ١٠٦٦ يعزِّيه فى وفاة وَلَدِه الأعز ويأمره بالرجوع إلى ولده الأوسط المكرم فى ولاية العهد ، وأَمَرَه أن يقرأ ذلك على رؤوس المنابر [٢] ، واهتم المستنصر بتشريف المكرم وإقامته فيما كان أقيم فيه أخوه وشرَّفَه بملابسَ من ثيابه وكتَب له سجلًا بنفس التاريخ يقلِّدَه فيه أَمْرَ هذه الرتبة ويأمره باتقاء الله والمحافظة على سائر أركان الشريعة وأوضح المستنصر حِرْصَه على ذلك جمعاً لشمل بيت الصليحى وحفظًا له [٣] .

سرَّ الداعى الصليحى لاختيار المستنصر لولده المكرم ليخْلُفَه فى أمر الدعوة وأمر بقراءة تقليدِ ولده فى صنعاء فى اليوم الثامن من جمادى الأولى سنة ٤٥٨ / ١٠٦٦ . وقام بتزويجه من الحرة بنت أحمد ، التى تولَّت أمر تأديبها وتهذيبها زوجته السيدة أسماء بنت شهاب . وكان الداعى الصليحى يخُصُّ الحرة بنت أحمد بكثير من الإكرام ويقول لزوجته : « اكرميها فهى والله كافلة ذرارينا ، وحافظةُ هذا الأمر على من بقى منا ... » [٤] .

وفى سنة ٤٥٩ /١٠٦٧ كتب الصليحى إلى المستنصر يستأذنه فى إصلاح الفساد والتحارب الذى شاع بالحرم المكى حتى سارت الدماء تُسْفك فيه

= - ٦٩ و ١٧١ ، ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٣٧ ، الجندى السلوك ١١٧ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٦١ ، الهمدانى : الصليحيون ١٣٦ هـ [١]) .

[١] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٣٩ ظ ونزهة الأفكار ٢١ و . وكان عمره عند وفاته سبعا وعشرين سنة وشهرا ويومين .

[٢] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٤١ و ، نزهة الأفكار ٢١ و .

[٣] المصدر نفسه ٧ : ٤١ و - ٤١ ظ .

[٤] عمارة : تاريخ اليمن ٦٢ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٤٢ و .

وطلب الإذن فى أن يعمر طرقه للسفر [١] . فردَّ عليه المستنصر بسجل مؤرخ فى شهر ربيع الأول سنة ٤٥٩ /١٠٦٧ جاء فيه « أنه يُشْفِق من وقوع جرح على جرح وقرح على قرح » وأنه يؤثر تجنب الحروب . وجاء السجل أيضا بموافقة المستنصر لغرس الدين يوسف بن حسين الصَيْمَرى أن يُظْهِر الدعوة الهادية ببلاده . أما طَلَب الصليحى الإذن له بزيارة إمامه فى القاهرة بعد الحج فقد أجاب عليه المستنصر بالاعتذار لأن الظروف غير مواتية له [٢] .

أَخَذَ الصليحى فى الاستعداد للحج ، فضمَّ إليه الأموال والذخائر وما يحتاج إليه فى سفره ، وإقامته بالحرم والإنفاق عليه ، كما أعدَّ هديةً تليق بمقام إمامه يهديها إليه إذا جاءته موافقته بالزيارة ، وترك فى اليمن ولَدَه وولى عهده المكرم أحمد ومعه خاله أحمد بن المظفر الصليحى ، وأخذ معه زوجته أسماء بنت شهاب وسلاطين اليمن ، لئلا يجتمعوا على وَلَدِه . وسار من صنعاء يريد الحج يوم الاثنين سادس ذى القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة (١٠٦٧ م)[٣].

الصراع الصُّلَيْحى النَّجاحى ونهاية على الصُّليحى

كان قتلُ نَجَاح ملك زبيد على يد الصليحى بداية صراع طويل بين الصليحيين والنجاحيين . فلما تمكن الصليحى من الاستيلاء على اليمن سنة ٤٥٥ / ١٠٦٣ أزال منها دولة النجاحيين ، فافترقوا فى جزيرة دَهْلَك - إحدى جزر البحر الأحمر - [٤] وكان على رأسهم سعيد الأحول وجيَّاش ابنا

---

[١] رسائل ابن القم (م . م . هـ) رسالة رقم ٨ ص ٢٥ - ٢٩ .

[٢] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٤٢ و - ٤٤ هـ .

[٣] عمارة : تاريخ اليمن ٥٥ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٤٥ و ، نزهة الأفكار ٢١ و - ٢١ ظ .

[٤] عمارة : تاريخ اليمن ٩٢ . =

وجيَّاش ابنا نجاح . وقد تمكن جيَّاش من التنكر ودخول زبيد حيث استخرج وديعة له هناك ، ثم عاد إلى دَهْلَك مدة أيام الصليحى . أما سعيد الأحول - وهو أكبر من جيَّاش - فقد خَرَج من دَهْلَك إلى زبيد مغاضبا لأخيه جياش واستتر بها ، ثم كتب إلى أخيه وهو بدَهْلَك يأمره بالقدوم إليه ويُبشِّره بانقضاء دولة الصليحى [(١)] .

ففى آخر اليوم التاسع من ذى القعدة سنة ٤٥٩ / ٢٢ سبتمبر ١٠٦٧ خَرَج سعيد الأحول من زبيد يريد الصليحى ، لمَّا عَلم بعَزْمِه على الحج ، وكانت الأخبار قد سبقت إلى الصليحى بنشاط سعيد الأحول واجتماع المحاربين إليه من الحبشة ، فأخذ الصليحى فى طلبه إلَّا أنه استتر عنه فلم يعلم مكانه [(٢)] .

أخذ الصليحى فى المسير إلى مكة حتى وصَلَ المَهْجَم [(٣)] ونَزَل بظاهرها بضَيْعِةٍ يقال لها بئر أم الدُهَيْم وبئر خيمة أم مَعْبَد . قال جيَّاش بن نجاح : فخرجنا فى طريق الساحل وبيننا وبين المهجم مسيرة ثلاثة أيام للمُجِدّ ... ولم يزل يغذ السير إلى أن دَخَلْنَا طريق المَخِيم والناس يعتقدون أنَّا فى جملة عبيد الصليحى وحواشيه . ولم يَشْعُر بأمرنا إلَّا عبد الله بن محمد ، أخو الصليحى (فنبَّه أخاه وطَلَب منه الركوب) فقال له الصليحى : إنى لا أموت إلَّا بالدُهَيْم ، وبئر أم مَعْبَد ، معتقدا أنها بئر أم معبد التى نَزَل بها رسول الله ﷺ ،

= وجزيرة دهْلَك تقع فى البحر الأحمر قبالة مدينة مصوع ، وكانت تابعة لأمراء زبيد فى اليمن ، فلذلك فروا إليها لما أخرجهم الصليحى من زبيد . ولمعلومات أكثر تفصيلًا راجع Schneider, M., *Stéles funéraires musulmanes des îles Dahlak,* Le Caire - IFAO 1983; Lofgrin, O. *EI*[2]., *art.* · *Dahlak* II, p. 32

(١) عمارة : تاريخ ٩٣ ، بامخرمة : قلادة النحر ٢ : ٦٢٥ .

(٢) عمارة : تاريخ ٩٣ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٤٥ ، نزهة الأفكار ٢١ ظ - ٢٢ و .

(٣) بلد بتهامة بوادى سُرْدَد . (ابن سمرة الطبقات ٣٢٤) .

حين هاجر ومعه أبو بكر . فقال له رجلٌ : قاتل عن نفسك فهذه والله بئر أم الدهيم بن عَبْس وهذا المسجد خيمة أم معبد بنت الحارث العَبْسى . فأَدْركَه اليأس من الحياة ، فأراق الماء فى قباء دَرَقَتِه ولم يَبْرَح من مكانه حتى قَطَعْنا رأسه بسيفه وكنت أول من طَعَنُهُ ، وشركنى فيه عبد لنجاح ، هو الذى يَطْعَنَه ، وأنا الذى جَزَزت رأسه بيدى .. » [١] . أما عبد الله بن محمد الصليحى فقد قَتَله سعيدٌ الأحول وهو يعتقد أنه الصليحى [٢] .

اختلف المؤرخون فى سنة وفاة الصليحى فجَعَلَها البعضُ فى سنة ٤٥٩ / ١٠٦٧ [٣] ، وجَعَلَها البعض الآخر فى سنة ٤٧٣ / ١٠٨١ [٤] . وذكر الروايتين عُمَارة اليمنى وأشار إلى أن سنة ٤٥٩ هـ « رواية صحيحة » [٥] والمصدر الرئيسى الذى كان يُمْكِنُنا الاعتماد عليه فى ذلك وهو « المفيد فى أخبار زبيد » [٦] لجيَّاش بن نجاح مفقود اليوم ، إلَّا أن عمارة اليمنى (وعنه ابن

---

[١] عمارة : تاريخ ٩٣ – ٩٤ و ٥٥ – ٥٦ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ٧٣ و ٧٥ و ١٦٧ – ٦٨ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٣ – ٤١٤ .

[٢] عمارة : تاريخ ٩٤ . وانظر فيما يلى ص ١٤٠ .

[٣] عمارة : تاريخ ٥٥ ، ابن سمرة : الطبقات ٨٨ ، ابن الأثير : ١٠ : ٥٥ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ٥٣ ، الخزرجى : الكفاية ٤٩ – ٥٠ ، الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٣٥ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ٢٧٤ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٤٥ ظ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٧ ، قلادة النحر ٢ : ٦٠٠ و ٦٠٧ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٢ و ، وجعلها يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٥٦ – ٢٥٧ فى سنة ٤٥٨ هـ . وانظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ١٢ : ١١١ .

[٤] هذا التاريخ هو الذى أجمع عليه أغلب الذين أَرَّخُوا مقتل الصليحى . انظر ، ابن المجاور : صفة ٧٣ و ٧٥ و ١٦٧ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٤ (عن عمارة) ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٧٣ ، ابن أيبك الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر ٦ : ٤١٨ (عن ابن خلكان) و ٤١٣ (إن وفاته فى سنة ٤٧٧ وهو وهم) ، الفاسى : العقد الثمين ٦ : ٢٤٥ ، المقريزى : الذهب المسبوك ٦٦ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ١١٢ (عن ابن خلكان) ، بامخرمة : قلادة النحر ٢ : ٦٢٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣ : ٣٤٦ ، ووَهِم المقريزى فى الاتعاظ ٣ : ٢٥ فجعل وفاته فى سنة ٤٩٣ ! . ويلاحظ أن بامخرمة فى قلادة النحر ذكر وفاة الصليحى فى موضعين فى سنة ٤٥٩ ثم فى سنة ٤٧٧ هـ ! .

[٥] عمارة : تاريخ ٥٥ .

[٦] أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ٩٧ .

المجاور) اعتمدا عليه ونقلا عنه أن وفاته كانت فى سنة ٤٧٣ هـ ، وهذا غريب ! خاصة وأن السجلات المستنصرية ورسائل ابن القُمّ لا تذكُره فى السجلات المتبادلة بين المستنصر ودعاة اليمن بعد سنة ٤٥٩ هـ ، كما أننا لا نَجد فى المصادر التى ذكرت وفاته فى سنة ٤٧٣ هـ أى ذكر للأطوار التى مرَّت بها حياة الصليحى منذ سنة ٤٥٩ هـ وحتى هذه السنة وهى نحو أربع عشرة سنة . والواقع أنه باكتشاف مجموعة السجلات المستنصرية أمكننا تحديدُ سنة وفاة الصليحى ، فلا يترُك لنا السجلان رقم ٤٠ ورقم ٥٠ أدنى شك فى أنه قُتِلَ عام ٤٥٩ / ١٠٦٧ [١] . كما أن وفاته لا يمكن أن تكون بعد سنة ٤٥٩ كما يتَّضح من تسلسل الأحداث .

صلة الصُّليحى بالخلافة الفاطمية وموقفه من أهل السنَّة

لم تكُن دعوة اليمن فى يوم من الأيام تابعة سياسياً للدولة الفاطمية ، وإن كانت الأحداث التى جَرَت بمصر ولها علاقةٌ بنظام الدعوة ذات تأثير كبير على دعوة اليمن ، والواقع أن اليمن كانت تُمَثِّل نظاماً فريداً فى الدولة الفاطمية ، فرئيس الدعوة حتى الآن ، هو فى الوقت نفسه الحاكم السياسى .[٢] كذلك فوَّض الإمام المستنصر خلفاءَه فى الإشراف على دعوتى عُمَان والهند [٣] .

وبلَغَت منزلة الصليحى لدى إمامه المستنصر مكانةً عظيمة تتضَّح فى السجلات المتبادلة بينهما ، والتى حرص فيها المستنصر على تلقيب الصليحى بأعلى الألقاب مثل : « السلطان الأجل الملك الأوحد أمير الأمراء عمدة الخلافة

---

(١) Hamdani, H. « The letters of al-Mustanṣir bi'llāh », *BSOS*, 7 (1933 - 35), p. 307

(٢) عمارة : تاريخ ١٢٧ .

(٣) السجلات المستنصرية سجل ٥٤ و ٦٤، Stern, S. « Cairo as the center of the Ismāʿilī movement », *CIHC*, p. 447

تاج الدولة ذو المجدين سيف الإمام المظفر فى الدين نظام المؤمنين »[١] . كذلك حرص المستنصر على إبلاغ الصليحى برسوم دولته ففى السجل رقم (١٣) المؤرخ فى يوم عيد الفطر سنة ٤٤٥ / ١٠٥٤ ، والسجل رقم (١) المؤرخ فى يوم عيد الفطر سنة ٤٥١ / ١٠٥٩ يُبْلِغ المستنصر الصليحى بقضائه شهر رمضان وأدائه لصلاة عيد الفطر ، ويَصِفُ له كيفية خروجه ، وما كان عليه من ملابس فى ذِهَابه وعَوْدِه . ويفيدُنا القلقشندى أن أول نَحِيرة تنحر فى عيد الأضحى كانت تُقَدَّد وتُسَيَّر إلى داعى اليمن فيَفرِّقها على المعتقدين من وزن نصف درهم إلى ربع درهم لكل مريد[٢] .

أما أحوالُ الخلافة الداخلية والخارجية فقد حرص المستنصر على إبلاغها للصليحى . ففى السجل رقم (٥) المؤرخ فى رمضان سنة ٤٥٥ / سبتمبر ١٠٦٣ يُخْبِره المستنصر بأنه قد سَبَق وأنهى إليه خبَرَ خروج ابن باديس واستقلاله بالمغرب ، ويَصِف له فى السجل تفصيل ذلك وكيف وَاجَه هذه المحاولة . أما السجل رقم (٦) المؤرخ فى صفر سنة ٤٥٢ / ١٠٦٠ فيُمَثِّل أهمية خاصة بالنسبة لمستقبل الدعوة الفاطمية ، فيخبره فيه المستنصر أن الله وهبه « ولداً ذكياً ونجلًا رضيًّا ... سمَّاه أحمد وكنَّاه أبا القاسم » وأن مولده كان يوم الأحد رابع عشر شهر صفر سنة ٤٥٢ / ١٠٦٠ ويأمره أن يَنْشُرُ هذه البشرى ويتلو مضمون هذا السجل فى الأقصى والأدنى من بلاده لتعم به الفرحة[٣] . وأبو القاسم أحمد هو الذى خَلَف المستنصر وتَلَقَّب بالمستعلى بالله . ووجود هذا السجل فى هذه المجموعة له مَغْزَاه فى أنه يؤيد وِجْهةَ نظر

---

[١] السجلات المستنصرية – الفهرس .

[٢] القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (دار الكتب ، ١٩٣٨) ٣ : ٥١١ – ٥١٢ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٧ .

[٣] انظر فيما يلى ص ١٥٤ حيث ذكرت تاريخ ميلاد المستعلى الصحيح كما جاء فى أحد سجلات المستنصر أورده عماد الدين إدريس فى عيون الأخبار ٧ : ٧٧ و – ٧٧ ظ .

القائلين بأن المستنصر قَصَد أن يعهد لابنه أحمد بولاية عهده رغم أنه الابن الأوسط وليس إلى نِزَار ، الابن الأكبر .

وظل المستنصر حريصًا على إبلاغ خلفاء الصليحى بما كان يَجْرى فى مصر فيُشير فى سجلّ مرسلٍ إلى المكرم أحمد كُتِب لليلتين بقيتا من محرم سنة ٤٦٧ / ١٠٧٤ إلى أنه استطاع بفضلِ جهود بدر الجمالى مُلْك الإسكندرية والبحيرة والصعيدان الأعلى والأدنى بعد أن كانت هذه الأعمال خارجةً عن مُلْك الدولة منقسمة بين المعتدين وخاصة قبيلة لَوَاتَة [١] .

أما موقف الصليحى من أهل السنة ، الذين كانوا يُمَثِّلون معظم المجتمع اليمنى ، فكان موقفًا متسامحًا مثلما كان موقف الفاطميين فى مصر . فلم يُنْكِر على أحدٍ مذهبًا من مذاهب المسلمين ، بل أقَرَّ كل امرىء على ما كان عليه ، وكان يَرْفَعُ أهلَ العلم وذوى الديانة ويقرِّبهم إليه [٢] إلَّا أنه عندما بلغه أن أهلَ صنعاء يجتمعون فى المساجد ويتذاكرون قُبْحَ سيرته ويقولون إنه سيُعيد مذهبَ ابن فَضْل ، شقَّ عليه ذلك وأمْسَك أياما ثم أمر بتسمير أبواب المساجد ومَنَع من دخولها [٣] .

أما موقفه من الزيدية ، فإنه من خلال تاريخ الدعوة يتضَّح أنه كان هناك صراعٌ بين الزيدية والإسماعيلية ، فقد وصَفَ عماد الدين إدريس فى مؤلفاته وصفًا دقيقًا وقاسيًا صراعات الإسماعيليين مع القوة الزيدية ، وسيكون ذلك موضع نقاش فى الباب الثالث ، فانظره هناك .

---

(١) السجلات المستنصرية سجل (٥٦) ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٩ و .

(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن - خ (دار) ٤٠ ، غاية الأمانى ٢٥٤ .

القاضى لمك بن مالك ودوره فى الدعوة اليمنية

لم يستطع الفاطميون أن يَنْفَصِلُوا عن الدعوة ، كما سَبَق وفعل العبَّاسيون ، فقد كانوا ينتظرون منها الكثير ، وكانت لهم بمثابة السلاح الإيديولوجى للنظام [١] . فكان الدُعَاة هم صانعى الحركة [٢] ، وهم الذين حافظوا فيما بعد على تراثها وعقائدها .

وكانت الشخصية الرئيسية التى أثَّرت على مستقبل الدعوة فى اليمن والهند هى شخصية القاضى لَمَك بن مَالِك الحَمَّادى [٣] ، الذى ذَكَره ابن سمرة كأحد قضاة ذى جِبْلَة وإبٍّ [٤] ، بينما وَصَفَه الحَامِدى بـ « قاضى قضاة اليمن وهادى دُعَاتها » [٥] – وهى وظيفة كان يقوم بها قبل رحلته إلى مصر .

---

(١) Lewis, B. « The Fatimid and the route to India », p. 51; « An Interpretation of Fatimid History » *CIHC*, p. 291 .

(٢) Hamdani, A. « Some considerations ... p. 389

(٣) يَرَجِّح الأستاذ فؤاد سيِّد أن القاضى لمك هذا هو أخو الفقيه محمد بن مالك ، ابن أبى القبائل الحمادى اليمانى مؤلف كتاب « كشف أسرار الباطنية » الذى دَخَل فى مذهب الإسماعيلية ثم خَرَج عليهم وألَّف كتابه المذكور . ويَسْتَدِلّ على ذلك باشتراكهما فى اسم الأب وفى النَسَب وفى القبيلة ، كما أنهما متعاصران ، إلَّا أنه كانت بينهما خلافات سياسية ودينية . (ابن سَمُرة : الطبقات ٢٣٤ هـ ٣) .

(٤) ابن سَمُرة : الطبقات ٢٣٤ .

(٥) الحامدى : تحفة القلوب (*Oriens*, 4 (1951), p. 234) ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٤٥ و . وذكر الدكتور محمد كامل حسين (مقدمة ديوان المؤيد فى الدين ١٨٥ – ١٨٦) أنه لم يجد فى الكتب التى تتحدث عن اليمن وتاريخها شيئا عن لمك بن مالك ، واعتمد على نص الحسن ابن نوح صاحب كتاب « الأزهار » المنقول عن الحامدى . =

سفارة القاضى لمك بن مالك إلى القاهرة

لم نَسْمَع عن القاضى لَمَك ودوره فى اليمن قبل سنة ٤٥٤ / ١٠٦٢ حين أَرْسَله الداعى على بن محمد الصليحى على رأس وفد إلى بلاط الخليفة المستنصر ليطلب له الإذن « فى الحج إلى مكة والمسير بعد ذلك للهجرة إلى شريف الحضرة »[1] . ونَزَل لَمَك فى القاهرة فى (دار العِلْم) وهى حينئذ مركزُ الدعوة الفاطمية ومقر داعى الدعاة المؤيد فى الدين هِبَة الله الشِّيرَازى ، الذى كان مَوْضِعَ ثقة الخليفة المستنصر قبل ظهور بدر الجمالى ، ويذكر الحَامِدِى أن المؤيد علَّم لَمَك العلوم الدينية وجعله خبيراً بخفايا الدعوة . ولكن كلما حاول لَمَك أن يُتِمَّ مهمته التى جاء من أجلها كان يُجَاب بأن عليه الانتظار حتى الشتاء . وبهذه الطريقة انقضت عليه خمسُ سنوات وهو بالقاهرة (٤٥٤ – ٤٥٩ هـ) كلما حاول اتمام مهمته يُجَاب بما أجيب به أولًا . وهو فى خلال ذلك لم يفارق مجلس المؤيد فى الدين « يسأله ويأخذ عنه ويكتب ما استفاده منه إلى أن استوعب ما عنده » . وفى النهاية تقَدَّم إليه بسبع وعشرين مسألة يطلب جَوابَها منه ، فأجابه المؤيد بأن جوابها عند الإمام وأنه لا يوجد بينهما الآن حائل . فتقدَّم لمك بأسئلته إلى الإمام فأجابه عليها بسبعةٍ

= أقول إن المصدر الأساسى الذى يحدثنا عن لمك بالإضافة إلى « السجلات المستنصرية » هو الحامدى صاحب « تحفة القلوب » المتوفى سنة ٥٩٦ هـ ونقل عنه نص كلامه الداعى عماد الدين إدريس فى « عيون الأخبار » ، والحسن بن نوح فى كتاب « الأزهار » . وكتاب « تحفة القلوب » للحامدى موجود بتمامه وينشره الآن الدكتور عباس همدانى (انظر *Oriens*, 23 - 24 (1970 - 71), p. 258) وهو متضمن أيضا فى « عيون الأخبار » للداعى عماد الدين إدريس ، وكتاب « الأزهار » للحسن بن نوح (انظر أعلاه ص ٣١ – ٣٣) .

[1] الحامدى : تحفة القلوب (*Oriens* 4, p. 234) ، وعنه عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٤٥ و ، ٥٢ و ، نزهة الأفكار ٤٣ ظ .

وأسماء الوفد الذى أرسله الصليحى إلى إمامه كما جاءت فى السجلين رقم ٤٢ و ٥٥ هى : عبد الله بن على ، ومحمد بن حسن ، وحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وأبو البركات بن أبى العشيرة .

وعشرين جوابًا ، وكَسَاه بعد كل جوابٍ قميصًا من ملابسه إشارة من الإمام إلى رَفْعِه له وإعلائه [١] . وردًا على مهمته التى جاء من أجلها أجَابَه المستنصر بأنه وَرَدَت إليه الأنباء بوفاة سيده على بن محمد الصليحى على يد الحبشة ، وأن وَقْت الشتاء قد آن [٢] ، وعليه أن يعود بسفارة جديدة وأمرٍ جديد [٣] . فأقيم العزاء إلى القاضى لَمَك بحضرة الإمام خمسة شهور ، عاد بعدها لَمَك إلى اليمن بالسفارة الجديدة فى أوائل سنة ٤٦٠ / ٦٧ - ١٠٦٨ بإقامة الداعى المكرم خليفة لأبيه [٤] . ومما يدل على سفارة لمك ووقتها السجلان رقم (٤٢) و (٥٥) [٥] .

وبعد عودته إلى اليمن بَخِل لَمَك بعلمه المكتسب ولم يسْمَح بإعطائه إلَّا إلى أشخاص ثلاثة هم : الملك المكرم أحمد ، وزوجته السيدة الحرة ، وشخصٌ يُدْعى أحمد بن قاسم بن وَلِى ، ثم اختص ابنه يحيى بجميع ما عنده من العلم والحكمة وما دَوَّنَه عن المؤيد فهيَّأه بذلك ليخْلُفَه فى مقامه من بعدِه . وكان المكرم كثيراً ما يستشير الداعى لَمَك ، بعد ذلك فى العديد من الأمور المهمة [٦] .

هذا عَرْضٌ للسفارة المهمة التى قام بها القاضى لمك إلى القاهرة . وقد أراد بها الداعى على الصليحى تحقيق عدة أغراض له ، كذلك كانت لها نتائج مهمة على مستقبل الدعوة الفاطمية ، فما هى هذه الأغراض ؟

بعد أن وطَّد الصليحى سلطته فى اليمن فكَّر فى الذهاب إلى الحضرة الإمامية

---

(١) الحامدى : المصدر السابق ٢٣٥ ، عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٥٢ و - ٥٢ ظ ، نزهة الأفكار ٢١ و .

(٢) توافق وفاة الصليحى نهاية سبتمبر سنة ١٠٦٧ م .

(٣) الحامدى : المصدر السابق ٢٣٥ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٥٢ ظ .

(٤) الحامدى : المصدر السابق ٢٣٥ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٥٣ و .

(٥) لم يرد أى ذكر لسفارة القاضى لمك فى مصادر مصر الفاطمية !!

(٦) الحامدى : المصدر السابق ٢٣٥ - ٢٣٦ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٥٣ و .

وهو الغرض الأساسى من هذه السفارة ، وكانت الفترة التى جاء فيها القاضى لمك إلى القاهرة (٤٥٤ - ٤٥٩ هـ) تُعَانى فيها مصر من أسوأ أزمة اقتصادية مرَّت بها ، وهو ما عُرِف باسم « الشِّدَّة المستنصرية »[١] وبَلَغ من سوء الحال أن ابنة ابن بَابَشَاذ النحوى الشهير كانت تَبْعَث إلى الخليفة المستنصر كل يوم برغيفين[٢] ، وذلك بالإضافة إلى الدمار الذى أصاب البلاد نتيجة مغامرة الأتراك بقيادة ناصر الدولة بن حَمْدَان[٣] . وكانت هذه الأعوامُ الخمسة هى الوقت الذى وَصَلت فيه قوة الصليحى إلى ذِرْوَتها . ويرى عباس همدانى أنه من المعقول أن نفْتَرض أن الصليحى أراد أن يَظْهر فى مصر فى دور منقذ البلاد ، وهو الدور الذى سيقوم به بَدْرُ الجَمَالى بعد ذلك سنة ٤٦٧ / ١٠٧٤ ، وأنه من المفترض أيضا أن يكون الخليفة وداعى دعاته قد فَطِنُوا إلى نَوَايا الصليحى مما يُفسِّر سبب تهرُّبهم الدائم من مناقشة مهمة القاضى لَمَك . ويستند هَمْدانى فى تأييد هذا الرأى على سجلٍ[٤] أرْسَله المستنصر إلى الصليحى كُتِب فى ربيع الأول سنة ٤٥٩ / ١٠٦٧ يُثنيه فيه عن عزمه ، ويحاول أن يوَجِّه اهتمامه إلى مكان آخر فيقترح عليه أن يقوم بفتح حَضْرَمَوْت .

---

[١] عن الشدة المستنصرية ، راجع ، ابن ميسر : أخبار مصر ٢٤ - ٢٦ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٧٤ - ٧٦ ، المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة (القاهرة ١٩٤٠) ٢٤ - ٢٧ ، اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٧٩ ، ابن خلكان : وفيات ٥ : ٢٣٠ ، أبو المحاسن النجوم ٥ : ٢ و ١٥ .

[٢] ابن ظافر : المصدر السابق ٧٤ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ٢٩٨ وإغاثة الأمة ٢٥ (مع بعض الخلاف) .

[٣] عن الصراع بين الأتراك والمغاربة ، راجع ابن ميسر : أخبار مصر ٤ - ٥ و ٢٦ و ٣١ ، ابن الأثير : الكامل ٨ : ١١٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٧٣ ، الخطط ١ : ٣٣٥ و ٤٨٩ . ويصف سبط ابن الجوزى الحالة فى مصر فى هذا الوقت وصفًا دقيقا يقول : « .... وحَصُل الشام فى يد بدر الجمالى ، والصعيد فى يد المغاربة ، والإسكندرية فى يد ابن حمدان ، ودمياط وما والاها فى يد سلطان الجيوش . ولم يبق لصاحب مصر إلا ما حول القاهرة وقرب منها » . (مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ١٢ : ١١٥) .

[٤] جاء هذا السجل عند عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٤٣ ظ .

لذلك فإن سفر الصليحى للحج فى نهاية سنة ٤٥٩ / ١٠٦٧ وإعلان نيته بالسفر إلى القاهرة كان تحديا لرغبات الخليفة نفسه [١] .

وكان الغرضُ الثانى من سفارة لَمَك هو الحصول على تفويضٍ باستمرار حُكْم أسرة الصليحيين فى اليمن . فقد كان الصليحى يَحْكُم اليمن بصفته داعية فاطميًا ، والدعوة ليست كالإمامة ولا تُوَرَّث . فربما اختار الإمام ، بعد وفاة على ، رجلًا من خارج البيت الصليحى ليقوم بالدعوة . وحَدَثَ ذلك من قبل فى باكورة التاريخ الفاطمى حينما لم يُعَيِّن الخليفة المهدى أبناء داعية اليمن حينئذ منصور بن حَوْشَب فى خلافته بعد وفاته [٢] . ولكن الظروف وقتئذ كانت مخالفة فقد نوى المهدى إنهاء علاقته السياسية مع اليمن ، أما الآن فإن المستنصر حريصٌ على الاحتفاظ بهذه الصِّلَة وتوطيدها . ولزيادة تعقيد الأمر توفى الأمير محمد الأعز بن على الصليحى الأكبر وخليفته المباشر فى سنة ٤٥٨ هـ ، فاضْطُر الصليحى أن يُرْسِلَ سفَارةً تكميلية للسفارة الموجودة فى القاهرة بالفعل برئاسة أحمد بن عبد الله اللَّهَابى لتسويه هذا الأمر . وجاء رَدُّ الإمام – كما سبق وأن أوْضَحْت [٣] – موافقًا لرغبات على الصليحى [٤] . ولما عاد القاضى لَمَك إلى اليمن حَمَل معه التأكيد الرسمى من الإمامة بخلافة المكرم [٥] .

أما الغرضُ الثالث من السفارة فكان توضيحَ العلاقة بين الدعوة وحُكَّام اليمن السياسيين ، فقد كان على الصليحى يرأس الدولة والدعوة فى الوقت

---

(١) Hamdani, A., « The Dâ'ī Hātim ibn Ibrāhīm al-Ḥāmidî (d. 596H. H. / 1199A.D) and his Tuhfat al-Qulūb », *Oriens* 23 - 24 (1970 - 71), pp. 261 - 262

(٢) انظر أعلاه ص ٩٦ .

(٣) انظر أعلاه ص ١٢٢ .

(٤) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٤١ و .

(٥) المصدر نفسه ٧ : ٥٣ و ، Hamdani, A., *op. cit.*, p. 262

نفسه . ويرى هَمْدانى أنه من الممكن أن يكون الإمام الفاطمى ورئاسة الدعوة فى القاهرة رأيا ضرورة الفَصْل بين الدولة والدعوة فى اليمن ، فتتأكد القوة السياسية للأسرة الصليحية فى اليمن بينما تتولَّى القاهرة الإشراف على الدعوة فى اليمن ، وبذلك تضمن ولاء الدولة الصليحية للخلافة الفاطمية ! (١) فيذْكُر الحَامِدِى أن لَمَك بن مَالِك عندما عادَ إلى اليمن عُيِّن داعيةً لها بأمر الخليفة المستنصر بينما كان عند سفره إلى مصر قاضيًّا لقضاتها فقط (٢) . وتعاضَدَ المكرم ولَمَك فى إقامة الدعوة فى اليمن فكان المكرم قائمًا « بالمُلْك والسيف » ولَمَك قائمًا « فى العلم » (٣) . ومع ذلك احتفظ المكرم بنفوذٍ فى التنظيم الدينى حيثُ خاطَبَه المستنصر بالداعية ، ولكن رئاسة التنظيم أصبحت كلها فى أيدى لَمَك بن مالك (٤) .

وربما كانت هناك أغراضٌ أخرى من سفارة لَمَك مثل : حصُول الصليحى على موافقة المستنصر ليسَيْطر على إمارة مكة ، وقد تحقَّق له ذلك لبعض الوقت (٥) . وكذلك طَلَبُ الإذن لبدء دعوةٍ جديدةٍ على الساحل الغربى للهند تُشْرِفُ عليها دعوة اليمن ، وقد قامت فعلًا حوالى سنة ٤٦٠ / ١٠٦٨ (٦) . وربما تعرَّضَت السفارة أيضا لمناقشةِ دور اليمن فى الاستراتيجية الفاطمية الجديدة والتى أصبحت تتَّجَه نحو الشرق . ولا شك فى أن هذه الاستفسارات كوَّنَت جزءا من الـ ٢٧ مسألة التى وجَّهها القاضى

---

(١) Hamdani, A., *op. cit.*, p. 262

(٢) الحامدى : المصدر السابق ٢٣٤ و ٢٣٦ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٥٣ و ، ابن سمرة : الطبقات ٢٣٤ .

(٣) الحامدى : المصدر السابق ٢٣٦ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٥٣ و ، نزهة الأفكار ٢٧ و ، ٤٤٥ و .

(٤) Hamdani, A., *op. cit.*, p. 262

(٥) انظر أعلاه ص ١٠٣

(٦) Hamdani, A. « The beginnings of the Ismā'ili da'wa in Northern India p. 15; *op. cit.*, p. 263 .

لَمَك للخليفة المستنصر (١) .

المؤيد فى الدين الشيرازى وأثره فى دعوة اليمن

كانت سفارةُ القاضى لَمَك إلى القاهرة واتصاله بالمؤيد فى الدين الشيرازى سببًا فى نقل آراء المؤيد إلى اليمن ، وتَشْهَد مجموعةُ السجلات المستنصرية على وجود علاقات مباشرة بين المؤيدِ ودعوةِ اليمن خاصةً السجلين رقم ٥٥ و ٦١ (٢) . ويُعَدّ المؤيد الأب الروحى للدعوة اليمنية ، فبَعْد وفاته فى القاهرة فى شوَّال سنة ٤٧٠ / ١٠٧٨ (٣) تَرَك فى أعماله تراثًا للدعوة اليمنية التى حَفِظَتْ لنا ، لحسن الحظ ، أعمالَ هذا الداعية الكبير الذى كان يُحِيط حياته إلى عهدٍ قريب كثيرٌ من الغموض (٤) . فالواقع أن علماءَ اليمن هم أكثرُ الناس حديثًا عن المؤيد واقتباسًا من كتبه واستنادًا على حُجَجه ، ويُشيرُون إليه فى مؤلفاتهم بقولهم « سيدُنا المؤيد » فذَكَره صاحب « كنز الولد » أكثر من ثلاثين مرة (٥) ، ونَقَل صاحب كتاب « الأزهار » نصوصًا بأكملها عن المؤيد منها رسائل المؤيد إلى أبى العلاء المعرى (٦) .

---

(١) Hamdani, A., *Oriens* 23 - 24 (1970 - 71), p. 263 .

(٢) Hamdani, H., *BSOS* 7 (1933 - 35), p. 308

(٣) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦١ ظ ، وانظر مؤلفاته عند Poonawala, I.K., *Bibl. of Ism. Lit* ‎، pp. 103 - 109

(٤) Hamdani, H., « The history of the Ismà'ili Da'wat and itd literature during the last phase of the Fatimid Empire », *JRAS* (1932), pp. 134, 135 وقد تعرفنا على المؤيد فى الدين بفضل الجهود التى قام بها حسين همدانى وعباس همدانى ومحمد كامل حسين (انظر ، Hamdani, H., *EI.*, art. *al-Mu'aiyad fi'il - Din* III, pp. 656 - 57; Hamdani, A., *The Sira of the Fatimid da'i al-Mu'ayyad fi'd-Din ash-Shirazi* , Ph.D. Thesis-Uni. of London 1950; « The Fatimid dà'i al-Muayyad : His life and works » in *Great Isma'ili Association of Pakistan*, 1973, pp. 41 - 47

(٥) الحامدى : كنز الولد (تحقيق مصطفى غالب ، بيروت ١٩٧١) الفهرس ص ٣٢٢ .

(٦) محمد كامل حسين : مقدمة ديوان المؤيد ١٨٤ – ١٨٦ . ونَشَر مرجوليوث رسائل المؤيد =

ولعلّنا كنا نتوقّع أن يُحَدِّثَنا المؤيد فى سيرته عن زيارة لَمَك بن مَالِك لمصر ونزوله عنده فى دار العلم مدَّة خمس سنوات ، ولكن نظرا لأن المؤيد بدأ سيرته فى سنة ٤٢٩ هـ وأنهاها فى سنة ٤٥٠ هـ بعد فَشَلِ محاولة البَساسِيرِى فإننا لم نَظْفَر برأى المؤيد فى القاضى لَمَك .

ولعل أهم نتائج سفارة القاضى لَمَك إلى القاهرة هى نقلُ تُرَاثِ الأدب الإسماعيلى الذى كُتِب فى مصرَ وفارسَ وأماكن أخرى أثناء العصور الفاطمية إلى اليمن . وسَبَبُ ذلك أن المؤيد لما جاء إلى مصر قادما من فارس وَجَد أن نفوذ الوزراء ، قد ازداد فى الدولة بينما ضَعُفَت قوة الخلفاء ، وقد أشار بنفسه إلى ذلك فى سيرته الذاتية [١] ، وخشى أن يؤدى ذلك إلى القضاء على كتب الدعوة لو زالت دولةُ الفاطميين فى مصر ، ووَجَد ضرورةَ تحويل آداب الدعوة إلى مكان يَضْمَنُ حِفْظَها ، وكانت اليمنُ البلاد الوحيدة الآمنة بسببِ القوة السياسية للصليحيين ، وبدأ هذا التحوُّل بالفِعْل على يد القاضى لَمَك بن مالك [٢] . ووَجَد هذا الأدب فى النهاية طَرِيقَه إلى إقليم كُجَرَات على الساحل الغربى للهند عام ٩٤٤ / ١٥٣٧ بعد احتلال العثمانيين لليمن [٣] ، وانقسام الدعوة إلى دَاوُدِيَّة انتشرت فى الهند وسُلَيْمَانيّة بقيت فى اليمن ، ومازال هذا التراث موجودا فى الهند إلى يومنا هذا عند طائفة البُهْرة .

كذلك حَصَل لَمَك من المؤيد أثناء فترة إقامته فى مصر على التعليمات التى

Margoliouth, D.S., « Abi'l-'Alâ'al-Ma'arri's Correspondence on Vegetarianisme » *JRAS* = (1902) كما نَشَرَتْها فى القاهرة المطبعة السلفية د. ت .

[١] سيرة المؤيد فى الدين الشيرازى ٨٤ ، المقدمة ١٥ .

[٢] Hamdani, H., « Some unknown Ismâ'ili Authors and their works » *JRAS* (1933), pp. 362, 376, 377 . الهمدانى : الصليحيون ١٧٧ - ١٧٩ ، ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٠٨ .

[٣] Hamdani, A., The Beginnings of the Ismâ'ili Da'wa p. 15; Fatimid Abbasid conflict in India, *IC* (1967), p. 190 ، أيمن فؤاد : المرجع السابق ٤٦ .

حدَّدَت السياسة المُقْبِلَة وأوْجُه نشاط الدعوة الإسماعيلية فى اليمن ، فَقَد كان المؤيد آخر ممثلى الدعوة الفاطمية الذين امتدَّ نفوذهم خارج مصر [١] . فنجد الإمام المستنصر فى أحد سجلاته إلى الملك المُكَرَّم أحمد يُفِيدُه أنه فيما يتعلَّق بشَهْرَيَار بن حسن فإن المؤيد فى الدين « يَفْعل فى ذلك ما يُوجِبُه حُكْمُه ويقتضيه » [٢] .

---

[١] Hamdani, H., *op. cot.*, p. 362

[٢] السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٦١ مؤرخ فى رمضان سنة ٤٦١ هـ .

الفصل الثاني

الدعوة الفاطمية في اليمن بعد وفاة الصليحي

لما بلغ الخليفة المستنصر بالله خَبَر وفاة داعيه باليمن على بن محمد الصليحى ، أقام له العزاء بحَضْرَته إلى رسوله القاضى لَمَك بن مَالِك مدة خمسة شهور ، وطَلَب إلى القاضى لمك أن يعود إلى اليمن بسفارة جديدة فى أوائل سنة ٤٦٠ / ١٠٦٨ تقضى بإقامة الملك المكرم خَلَفاً لأبيه فى المُلْك ، وأن يتولَّى القاضى لَمَك بنفسه الإشراف على الدعوة [١] وفى الوقت نفسه أرسل إليه المستنصر سِجِلًا مؤرخا فى شعبان سنة ٤٦٠ / يونيه ١٠٦٨ يُعَزّيه فى وفاة والده ويقول فيه : « والله تعالى المسئول ... أن يُحْسِنَ توفيقك للقيام فى مكَانَة أبيك وتسد مسدّه ، ويوفِّقك ويَحْفَظَ فيك مجده ... » ويطلب منه أن يؤَلِّف قلوب أهل الدعوة على طاعته ، وأن يُطَالِع الخليفة بما يَجِدّ فى جزيرته [٢] .

* * *

---

[١] انظر أعلاه ص ١٣٠ .

[٢] السجلات المستنصرية ، سجل (٤٠) .

كان أولُ عملٍ قام به المكرم بعد أن وَصَله خبرُ قتل والده على الصليحى أن قام قاصداً زبيد لتخليص والدته السيدة أسماء من أسْر سعيد بن نجاح الأحول ، خاصة بعد أن جاءه منها كتابٌ تستنهضه فيه على نَجْدَتها وتُخْبِره أنها حاملٌ من النجاحى وتَطْلُب إليه أن يُدْرِكَهَا قبل أن تَضَع « وإلَّا فهو العار الذى لا يزول » [1] . فتوجَّه المكرم مع رجاله قاصدين زبيد لتخليص السيدة أسماء من الأسْر . فلما علم بقدومهم سعيد بن نجاح تنكَّر وفرَّ ومن معه مرة أخرى قاصدين جزيرة دَهْلَك [2] . ولكن المكرم اضطر أن يعود سريعاً إلى صنعاء ومعه والدته . بعد أن وَصَل إليه كتابٌ من عامله على صنعاء يُخْبِره بخَوْفه من وقوع صدام بين أهل حَرَاز وأهل الحجاز المقيمين بصنعاء فعاد المكرم بعد أن استخلف على زبيد خالَه مالك بن شهاب [3] .

الحالة السياسية في اليمن بعد وفاة علي الصليحي

وجَّه الشاعر الحسين بن على بن القم رسالةً إلى الخليفة المستنصر على لسان المكرم مؤرَّخة فى غرة ذى الحجة سنة ٤٦٠ / أول أكتوبر ١٠٦٨ وصَفَ فيها الثورات الداخلية فى اليمن التى أشْعَلَها النجاحيون فى زبيد والأشراف فى الشمال منتهزين فرصة وفاة الداعى الصليحى ، وضَعْف مصر فى أعقاب الشدة

---

(١) عمارة : تاريخ اليمن ٥٦ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٩ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢) عمارة : تاريخ ٥٨ ، عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٢٥ ظ ، بامخرمة : قلادة النحر ٢ : ٦٢٧ - ٦٢٨ .

(٣) عمارة : تاريخ ٥٩ ، عماد الدين إدريس : نزهة ٢٥ ظ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٩ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٦٠ .

المستنصرية بالإضافة إلى الحالة العامة للدعوة فى اليمن التى لم تتضح لهم بعد [١] .

وقد رد عليه المستنصر بسجل مؤرخ فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٦١ / يناير ١٠٦٩ أكَّد له فيه أنه « خليفته فى بلاد اليمن وعماده وعُدّته وسناده » « وهنَّاه على ما حقَّقه من نَصْرٍ على قاتل والده » [٢] .

وسَاعَد على تثبيت أمر المكرم ، وصول القاضى لَمَك بن مالك قادماً من القاهرة ومعه سجلُ تولية المكرم ، رغم أن أمر الإمام كان يقضى بفصل الدولة عن الدعوة فى اليمن ، فيتفرّغ المكرم للسلطة السياسية ، ويترك للقاضى لَمَك الإشراف على أمر الدعوة [٣] فاستقامت بذلك الدعوة فى اليمن خاصة بعد الثورات التى قام بها النجاحيون والأشراف [٤] .

ظلَّ المكرم مقيماً فى صنعاء حتى سنة ٤٦٧ / ١٠٧٤ حين توفيت والدته السيدة أسماء بنت شهاب [٥] فبعد وفاتها تولَّت السيدة الحرة الأمر مع

---

[١] ابن القم : مجموعة رسائل كتبها بلسان الصليحيين (مخطوطة عباس همدانى) رسالة رقم ١٠ ص ٣٩ – ٨٠ ، Hamdani, A., *Oriens* (1970 - 71), p. 265

[٢] السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٦٠ ، Hamdani, H., *BSOS* 7 (1933 - 35), p. 322

[٣] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٥٣ و .

[٤] لما استقر الأمر للمكرم أمر بضرب الدينار الملكى وكتب عليه « الملك السيد المكرم ، عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين » وظل هذا الدينار معمولًا به فى اليمن إلى أن سك الداعى عمران بن محمد بن سبأ الزريعى دينارا كتب عليه « أوحد ملوك الزمان ، ملك العرب واليمن عمران بن محمد » . (عمارة : تاريخ اليمن ٦٠ . وأول دينار وصل إلينا منه ضرب فى عدن سنة ٤٦٨ انظر : Lowick, « Some unpublished Dinars of the Sulayhids and Zuray'ids », *Num. Chr.* 7 serie 4 (1964), pp. 262 - 63 وقد شك رمزى بيكازى فى أن يكون هذا الدينار للمكرم ومن الممكن أن يكون منسوبًا لابنه عبد المستنصر المعروف بالمكرم الأصغر انظر مناقشة ذلك عند Bikazi, « Coins of al-Yaman », *al-Abḥāṯ* 23 (1970), pp. 86 - 90 وكان كل ٢,٣٥ دينار ملكى يساوى دينارًا (Goitein, S.D., *Studies in Islamic history and Institutions* (Leiden 1968), p. 340) .

[٥] عمارة : تاريخ ٦٠ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦١ ظ ، الخزرجى : كفاية ٥٢ ، =

زوجها المكرم وطلبت إليه أن ينتقلا من صنعاء إلى ذى جِبْلَة [١] – وربما كان ذلك قبل هذا التاريخ – وهناك أَمَرَ المكرم ببناء دار العز وأقام بها أياما اشتدت فيها عليه عِلَّة الفَالِج – (الشَّلَل) التى بدأت أعراضُها عليه منذ أن خَلَّص والدته من أسر النجاحيين فى أول دولته ، فترك ذى جِبْلَة واستقر بحصن التعكر للتداوى وليَبْعُد عن الناس ، وصَرَف أمور دولته إلى زوجته السيدة الحرة [٢] ، التى ربما عاشت فى حَرَاز [٣] ، بينما تولى أمر صَنْعَاء عمران بن الفضل اليامى وأبو السعود بن أسعد بن شهاب الصليحى [٤] . وجعل على التعكر وأعمالها أبا البركات بن الوليد الحميرى [٥] .

تدهور العلاقة بين عمران بن الفضل والمكرم والقاضى لمك

لما استقرّت الأمور لعمران فى صنعاء أراد مقابلة المكرم فى التعكر ، وصَحَب معه جماعة من أنصاره ، فمَنَعه الولاة من دخول حصن التعكر على المكرم ، وأُمِرَ بالدخول إلى ذى جِبْلَة لمقابلة السيدة الحرة ، فأَصَابه لذلك كِبْرٌ شديد ، وأنشدَ قصيدةً طويلة ذكر فيها سوابقه مع الداعى على الصليحى والد المكرم [٦] .

= الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٤٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٤ و .

[١] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٢ و ، نزهة الأفكار ٣١ و . وذكر يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧١ أن ذلك كان فى سنة ٤٨٠ . وسبب اختيار الحرة لذى جبلة لأنها فى موقع متوسط بين اليمن الأعلى واليمن الأسفل .

[٢] عمارة : تاريخ اليمن ٦٢ ــ ٦٣ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٢ و ، نزهة ٣١ و .

[٣] Hamdani, A., *po. cit.*, p. 263

[٤] عمارة : تاريخ ٦٣ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٢ و . نزهة ٤١ ظ ، الخزرجى : كفاية ٥٢ .

[٥] عمارة : تاريخ ٧١ .

[٦] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٣ ظ .

وعمران بن الفضل هذا من قبيلة هَمْدان اليمنية ، ويتَّصل بصِلَة قرابة بعيدة بالعائلة الصليحية [١] . وهو أَحَدُ الذين ساندوا الداعى على الصليحى ، وأرسله إلى الخليفة المستنصر بالله فى سنة ٤٥٩ / ١٠٦٦ بسفارة تكميلية لسفارة القاضى لمَك بن مَالك ليطلب السماح للصليحى بالزيارة ، وإقامة ابنه المكرم عِوَضاً عن أخيه الأعز [٢] وعند عودته أَحْضَر معه سجل الخليفة المؤرخ فى ربيع الأول سنة ٤٥٩ / يناير ١٠٦٧ [٣] . وكانت مكانته عظيمة فى دولة المكرم فقد وصَفَه عماد الدين إدريس بأنه « صاحبُ الأمر عند الأمير المكرم وأمير الجيوش وله الوزارة والتصرّف فى جميع بلاد الملك المكرم » [٤] .

ولا تُشير المصادر القليلة التى تحدَّثت عن عمران إلى مقدمات الخلاف المفاجىء الذى نشأ بين المكرم وعمران ، ولكن يبدو أن السبب هو موقف ابن هبَّالة ونَجْم بن بشارة خادمى المكرم اللذين أشارا عليه بعدم لقائه ، ولا تمُدّنا المصادر بأية تَفْصيلات عن شخصية هذين الرجلين ووِجْهَة نظرهما التى قد تُوَضّح لنا سبب موقفهما العدائى من عمران . وانتهى الأمْر بأن عَزَل المكرم القاضى عمران عن ولاية صنعاء [٥] .

ولكننا بعد ذلك سنجد أن عمران أخذ يجمع الفئات المختلفة من بنى هَمْدان ضد العائلة الصليحية ، ربما لعدم رِضَائِه عن وجود السيدة الحرة على رأس السلطة السياسية فى اليمن واعتمادها على سلطة الدعوة التى كانت يتولَّاها حينئذ القاضى لَمَك ، بدلًا من اعتمادها على الرجال الذين ساندوا العائلة الصليحية

---

(١) حسين الهمدانى : الصليحيون ١٣٧ هـ .
(٢) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٤٢ و .
(٣) ذكر عماد الدين إدريس نصّ هذا السجل فى العيون ٧ : ٤٢ و — ٤٤ و .
(٤) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٠ ظ .
(٥) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٣ و .

منذ قيامها ويَدِينُون بالولاء لها [١] . وقد أدَّى ذلك فى النهاية إلى خروج صنعاء عن أيدى الصليحيين وسيطرة الهمدانيين عليها .

وبدأت المنافسة بين عمران والقاضى لَمَك منذ لقائهما الأول فى القاهرة سنة ٤٥٩ / ١٠٦٧ حيث توقَّع المركز القوى الذى شَغَله لمك بعد عودته من مصر . ورغم العداء الذى قام بين عمران وخُلَفَائه من الهمدانيين والسيدة الحرة فإنه لما وَجَد النجاحيين يهدّدون السلطة الصليحية لم يتردد فى محاربتهم فى صفوف الصليحيين سنة ٤٧٩ / ١٠٨٧ فى موقعة الكَظائم وقُتل فيها [٢] .

حالة دعوة اليمن بعد وفاة المكرم

ظَلَّت السيدة الحرة طوال فترة مَرَض زوجها تقوم بأمر المملكة يعاضِدُها قُوَّام الدولة وأمراؤها ، كما قامت بأمر الدعوة يساندها القاضيان لَمَك وولده يحيى بن لَمَك [٣] .

وفى شهر جُمَادَى الأول سنة ٤٧٧ هـ (سبتمبر ١٠٨٤ م) توفِّى المُكَرَّم أحمد فى حصن التعكر [٤] ، بعد أن أسْنَد أمْرَ الدعوة إلى الأمير سبأ بن أحمد

---

[١] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٣ و ، Hamdani, A., *op. cit*, P. 264

[٢] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٧ ظ ، نزهة الأفكار ٣٣ و .

[٣] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٣١ ظ .

[٤] كما اختلف المؤرخون فى تحديد سنة وفاة الداعى على بن محمد الصليحى (انظر أعلاه ص ١٢٥ - ١٢٦) ، اختلفوا فى تحديد سنة وفاة ابنه الملك المكرم أحمد فجَعَلها عمارة : تاريخ ٦٤ فى سنة ٤٨٤ (وصوَّبها محقق الكتاب) وذكر ابن سمرة : الطبقات ١٢٢ - ١٢٣ أنها كانت فى سنة ٤٨٠ وقيل سنة ٤٧٩ ونقل عنه ذلك بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٩ ، وجعلها فى قلادة النحر ٢ : ٦٢٨ فى سنة ٤٨٤ ، وعِنْد الأشرف الرسول : فاكهة الزمن ١٤٥ ، الخزرجى : الكفاية ٥٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٥ و ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧٤ .

أما الداعى عماد الدين إدريس فذكر فى عيون الأخبار ٧ : ٦٤ و ، نزهة الأفكار ٣١ ظ ، أن =

المظفر الصليحى [١] . فكتمت السيدة الحرة أمر وفاة زوجها ، وكَتَبَت إلى الإمام المستنصر تُخْبِره بذلك وتَطْلُب إليه أن يَعْهَد بالأمر إلى ابنها على بن المكرم أحمد المعروف بعبد المستنصر . ولم تُعْلِن خَبَر وفاة زوجها إلَّا بعد أن جاء إليها سجل المستنصر بالله المؤرخ فى غرة ربيع الأول سنة ٤٧٨ / ٢٧ يونية ١٠٨٥ بإقامة ابنها عبد المستنصر مقام أبيه ، حَمَل إليها السجل الأمير أبو الحسن جوهر المستنصر الذى اصطحب معه خِلَعًا من الخليفة إلى الأمير الجديد ، وعزَّاه فى وفاة والده نيابة عن الخليفة [٢] .

وفى الوقتِ نفسه كَتَب بذلك إلى السلاطين القائمين فى اليمن ونواحيه ، وقَرَن أمر الأمير الصغير بوالدَته السيدة الحرة ، وأَمَرَ بطاعتها والائتمار بأوامرها ، كذلك كتب المستنصر إلى الأمير المظفر محمد بن المَلِك المكرم يأمره بطاعة أخيه عبد المستنصر ومعاضدته ، كما كتب إلى الملك سبأ بن أحمد بأن يَنُوب عن عبد المستنصر فى حِمَايَة الحرة ومحَارَبَة أهلِ الخلاف [٣] . لكن السلطة الحقيقية كانت فى أيدى السيدة الحرة يعَاوِنُها رؤساء الدعوة بقيادة القاضى لَمَك وابنه يحيى بن لَمَك [٤] ، وأقامت الأمير سبأ بن أحمد نائبا عن وَلَدِها

= وفاته فى سنة ٤٧٧ وهذا هو التاريخ الصحيح يؤكده سجل المستنصر المؤرخ فى غرة ربيع الأول سنة ٤٧٨ بإقامة عبد المستنصر مكان أبيه ، كما أنه لا توجد سجلات مرسلة إلى المكرم بعد سنة ٤٧٧ هـ .

[١] عمارة : تاريخ ٦٤ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧٤ .

ويبدو أن عمارة اليمنى رغم قرب عهده بالدولة الصليحية قد وقع فى خطأ كبير عندما ذكر أن المكرم أسند الدعوة بعده إلى سبأ بن أحمد ، فالمقصود لا شك عبد المستنصر بن المكرم والدليل على ذلك أن عمارة اليمنى لم يتعرف إطلاقا فى تاريخه على شخصية عبد المستنصر هذا .

[٢] السجل رقم ٤٨ (عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٤ و – ٦٦ و) . نزهة الأفكار ٣١ ظ ، وانظر السجلين رقم ٤٥ ، ٤٦ .

[٣] عماد الدين إدريس : نزهة ٣١ ظ .

[٤] ذَكَر عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٦ ظ أنه كان إليهما إقامة الدعوة وهداية أهل النواحى اليمنية وما ينضاف إليها . وأضاف ٧ : ٧٣ و . أنه كان عليهما المعول بالجزيرة اليمنية وكان للدعاة =

المكرم الأصغر عبد المستنصر فى المُلْك [١] . وقد حرص المستنصر من ذلك على أن لا يخْرُج الأمر عن البيت الصليحى .

موقف أهل اليمن من رئاسة الدعوة فى مصر

كانت رئاسةُ الدعوة فى مصر ، طوَال حكم المستنصر ، تحت إشراف داعى الدعاة المؤيد فى الدين هِبَة الله الشِّيرَازِى ، الذى كان موضِعَ ثقة الإمام المستنصر وعَهد إليه بأمور كثيرة منها مساعدة حركة البَسَاسِيرى فى العراق ، كما كان رسولَ المستنصر فى كثير من السفارات المتبادلة بين الفاطميين والبيزنطيين[٢]. وكان أهلُ الدعوة فى اليمن يُعْجَبُون بالمؤيد الذى أخذ عليه قاضى قضاة اليمن وداعى دعاتها لَمَك بن مالك [٣] . وظلت الأمور على هذه الحال إلى أن استدعى المستنصر أمير الجيوش بدر الجمالى [٤] فَوَصَل مصر فى سنة ٤٦٧ / ١٠٧٤ ونَجَح فى تنظيم أمور الدولة وإغاثة البلاد ونَجْدَتِها من فتنة الأتراك ، وأعاد إلى حظيرة الخلافة الإسكندرية والبحيرة والصعيد بعد أن كانت خَارِجَة عليها [٥] ، كما نَجَحَ فى إعادة الخطبة للمستنصر فى مكة [٦] ، فَبلَغ بذلك منزلةً كبيرة عند المستنصر ، ولم يلْبَث أن حلَّ محل المؤيد فى الدين فى رئاسة الدعوة بعد وفاة المؤيد فى صفر سنة ١٠٧٥/٤٧٠ [٧] وجَاءَ ذكرُ بدر الجمالى فى السجلات الصادرة بعد سنة ٤٦٧ /١٠٧٥ مقرونا بأعلى

= الدليل والقدوة .

(١) عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٦٣ ظ ، نزهة الأفكار ٣١ و .

(٢) Hamdani, A., « Byzantine - Fatimid Relations », *Byz. St.* I (1974), p. 176

(٣) انظر أعلاه ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٤) راجع عنه Becker, *EI²*, art. *Badr al-Djamali* I, p. 894 ما ذكر من مراجع .

(٥) السجلات المستنصرية سجل (٥٦) .

(٦) المصدر نفسه سجل (٥٧) ، (٥٨) .

(٧) عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٦٢ و .

الألقاب فيذكر المستنصر أنه « حلَ من أمير المؤمنين محل والده الإمام الظاهر لإعزاز دين الله »[١] وأنه رأى « أن ينصبه منصب أبيه الإمام الظاهر لإعزاز دين الله وأن ينوط به ما دون سرير مُلْكه ومقْعَد خلافته شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً »[٢] كما قلَّده « ما وراء سرير الخلافة من الدعوة الهادية ومصالح الدعوة ومَصالح الأمة »[٣] .

ونظرا لما كان يَحْظَى به المؤيد من احترام فى اليمن ، فإن الدعوة اليمنية لم تقبل بسهولة أن يشرف بَدْر الجمالى – القائد العسكرى – على رئاسة الدعوة فى مصر ، و لم تَنْظُر بارتياح إلى انضمام القاضى لَمَك بن مَالِك إليه ، غير أن هذا الانضمام كان ضرورياً فى صالح العلاقات الصليحية الفاطمية[٤] وقد أكد المستنصر على ذلك فى سجل مؤرخ فى سنة ٤٧٢ / ١٠٧٩ وجَّهَه إلى السيدة الحرة بأن ترجع فى طلباتها وطلبات المتعلقين بدعوتها إلى أمير الجيوش بَدْر الجمالى المستنصرى[٥] .

* * *

لم يستمر الأميرُ الطفل كثيراً بعد وفاة المكرم فلم يَلْبَث أن توفى بعد سنة ٤٨٠ / ١٠٨٨ وكان قد توفى قبْلَه بقليل أخوه المظفر[٦] ، الأمر الذى

---

(١) السجلات المستنصرية سجل (٥٧) .
(٢) السجلات سجل (٥٧) .
(٣) السجلات سجل رقم (٥٦) ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٥ ظ .
(٤) Hamdani, A., *Oriens* 23 - 24 (1970 - 71) p. 266 .
(٥) السجلات المستنصرية سجل رقم (٢٠) .
(٦) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٧١ ظ ، نزهة الأفكار ٣١ ظ .

أَوْجَدَ فراغا فى الرئاسة السياسية للدعوة ، ولو بصورة شكلية ، فقد كانت السيدة الحرة هى التى تتولى الأمور فعليا .

أدَّت وفاة عبد المستنصر إلى قيام السيدة الحرة بأمر الدعوة ، ولاقت فى سبيل ذلك صعوبات كثيرة ، ولكن كان إليها فضل حِفْظ أمرها فى اليمن وما انضاف إليه من أقاليم .

* * *

عودة إلى الصراع بين النجاحيين والصليحيين

لم يرض النجاحيون بما انتهى إليه أمْرُهم وهزيمتهم أمام الصليحيين مما أدّى إلى فرارهم إلى الهند [١] . فقد عاد جياش بن نجاح ودَخَل زبيد متنكرا ليتعرَّف على أحوال الملك المكرم أحمد ، فلمّا علم بمَرَضِه وتفويضه الأمر إلى زَوْجَتِه السيدة الحرة ، رأى أن الفرصة سانحة لاستعادة مدينة زبيد مقرّ دولتهم مرة أخرى . وقد شجَّعه على ذلك على بن القمّ وابنه الحسين بن على الشاعر - وكان على بن القم وزيرا لوالى زبيد من قِبَل المكرم ، وهو خاله أسعد بن شهاب - فجَمَع جيَّاش الجنود ودَخَل مدينة زبيد وتملَّكَها وأخرج عَنْها داعى المكرم [٢] .

عَهَد الملك المكرم وزوجته السيدة الحرة إلى الأمير سبأ بن أحمد أن يتولى حرب جيَّاش ، واستمر على ذلك بعد وفاة المكرم وفى عهد ابنه عبد

---

(١) انظر أعلاه ص ١٢٤ .
(٢) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٦ ظ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧١ .

المستنصر ، وفى خلال ذلك كانت الحرب سجالًا بين الطرفين ، وكان إذا بَرَد النسيم نزل سبأ ومعه العرب إلى تِهَامة ، وارتحل عنها جيَّاش ، فإذا انْصَرَم الشتاء وعاد الربيع انصرف سبأ ومن معه من العرب إلى الجبال [1] .

وكانت الواقعة الفاصلة بين الطرفين هى وقْعَةُ الكَظَائِم فى سنة ٤٧٩ / ١٠٨٦ وانتهت بقَتْل عمران بن الفضل اليامى [2] . وفى سنة ٤٨١ / ١٠٨٨ ردا على هذه الهزيمة دَبَّرت السيدة الحرة قتل سعيد بن نجاح الأحول ، فى موقعة الشِّعْرين [3] .

---

[1] عمارة : تاريخ ٦٦ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٧ ظ ، نزهة ٣٢ ظ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧٥ ، الخزرجى : الكفاية ٥٤ .

[2] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٧ ظ ، نزهة الأفكار ٣٣ و .

[3] عمارة : تاريخ ٦٣ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ٧٦ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٤٣٤ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧٢ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٤ ظ .

دعوة اليمن في عهد السيدة الحرة

تُعَدّ السيدة الحرة من النساء القلائل اللاتى تَوَلَّين الحكم فى العصر الإسلامى ، وهى السيدة الثانية فى تاريخ اليمن التى تولَّت أمر مملكته ، سَبَقَتْها فى ذلك الملكة بلقيس ملكة سبأ [١] .

والسيدة الحرة : هى : سيدة بنت أحمد بن محمد بن جَعْفَر بن موسى الصُّلَيْحِى [٢] . تولَّت أمْرَ تأديبها السيدة أسماء بنت شهاب زوجة الداعى على ابن محمد الصليحى ، الذى كان يخُصّها بكثير من الإكرام فى صِغَرِها ، ويقول لزوجته : « أكْرِمِيها فهى والله كافلةُ ذرارينا ، وحافظةُ هذا الأمر على من بقى منا » [٣] . ووَصَفَها الداعى إدريس بأنها امرأةٌ فاضلةٌ ذات نُسُكٍ ووَرَع وفَضْل وكَمَال عقل وعبادة ، وعِلْم يفُوق الرجال [٤] .

قامت السيدة الحرة بأمرِ الدعوة والمُلْكِ فى جزيرة اليمن والجِهَات المُضَافَة إليها من السند والهند وعُمَان بعد وفاةِ ولَدِها المكرم الأصغر عبد المستنصر ، واستعانت على ذلك بنصيحة رجالٍ ثلاثة هم : القاضى لَمَك بن مالك والأمير

---

(١) انظر: Ullendarf, E. *EI.*, art. *Bilkis* I, p. 1256 وما ذكر من مراجع .

(٢) عمارة : تاريخ اليمن ٦٠ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ١٦٩ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٩ وكتب حسين همدانى مقالًا عنها بعنوان . Hamdani, H., « The life and time of queen sayidah Arwa the Sulaiyhid of the Yemen », *JRCAS* 18 (1931), pp. 305 - 15 ، وللدكتور حسن سليمان محمود : الملكة أروى سيدة ملوك اليمن (القاهرة د . ت) ولعارف تامر : أروى بنت اليمن (القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة أقرا ٣٣٠) .

(٣) عمارة : تاريخ اليمن ٦٢ .

(٤) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٢ و .

عامر بن سليمان الزَّواحى [١] والأمير سبأ بن أحمد بن المُظَفَّر الصليحى . ومن سوء حظ السيدة الحرة أنه منذ تولَّى ابنها عبد المستنصر تحت إشرافها مع الأمير سبأ بن أحمد قامت بينه وبين الأمير عامر الزواحى خلافات شديدة شجَّعت القبائل على إظْهَار استقلالها عن القوة الصليحية المركزية ، مما أضعف الدولة الصليحية [٢] ، فلجأت السيدة الحرة إلى الإمام المستنصر تخْبره بذلك وتسأله أن يمدهم بما يكون به الصلاح ، فأرسل الإمام المستنصر سجلا مؤرخا فى ربيع الأول سنة ٤٨٠ / يونية ١٠٨٧ [٣] وجَّهَه إلى « كافة السلاطين الصليحيين والزواحيين والمشائخ الحجازيين » . يأمرهم فيه بالتعَاضُد والتوالف وترْك التنازع ، والتحالف لإقامة الدعوة ومعاضدة الدولة الصليحية ، وطاعة الملك المكرم الأصغر عبد المستنصر ووالدته السيدة الحرة [٤] .

وقد بَلَغَت السيدة الحرة منزلة عظيمة لدى الإمام المستنصر ، فيذكر عماد الدين إدريس أن المستنصر أرسل إليهاأجلّ أبواب دعوته فأفادها من علم إمامها وحكمته الذى ورثه عن آبائه ، ورَفَعَها من حدود الدعاة إلى مَقَامات الحُجَج [٥] وأمر الدعاة بامتثال أوامرها ، كما أن الدعاةَ باليمن كانوا يعولُون عليها ويرجعون إليها فيما أشكل عليهم ، ويتوسَّلُون بها ويتشَفَّعون لدى الإمام المستنصر [٦] . وأكَّد عماد الدين إدريس على أنها قامت بتثبيت قواعد الدعوة فى جزيرة اليمن واستعانت فى ذلك بقاضى قُضَاة اليمن ودَاعِى دُعَاتِها لَمَك بن

---

(١) هو أخو الحرة لأمها (عمارة : تاريخ ٦١) وهو من الأسرة التى أتت بالصليحيين إلى الحكم .

(٢) Hamdani, A., *op. cit.*, p. 265

(٣) السجلات المستنصرية سجل (٣٨) ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٨ ظ – ٧١ ظ .

(٤) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٨ ظ .

(٥) الحجة فى المصطلح الإسماعيلى تنصرف بوجه عام إلى شخصية متميزة على رأس النظام الدينى للدعوة . وهى وصف لداعى الدعاة المشرف على عموم الدعوة .(Hodgson, M.G.S., *EI²*., art *Hudjdja* III, p. 563) .

(٦) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٦ و – ٦٦ ظ ، نزهة ٤٤ ظ .

مَالِك وابنه يحيى بن لَمَك ، وقد عَمل على إقامة الدعوة وهداية أهل النواحى اليمنية وما أضيف إليها ، بينما كانت السيدة الحرة المرجع والمعول فى تصريف كافة الأمور [١] .

وفى عَهْد الحرة استمرت ولاية صَنْعَاء إلى عمران بن الفضل وأسعد بن شهاب بينما أُوكَلَت إلى المفضل بن أبى البركات الحِمْيَرى الإشراف على ولاية التعكر بعد وفاة والده أبى البركات بن الوليد الذى كان يتولَّى التعكر فى وقت المكرم أحمد [٢] ، وسيكون للمفضل هذا دور فيما بعد فى الدفاع عن الدعوة اليمنية .

موقف السلطان سبأ بن أحمد من السيدة الحرة

هكذا تولَّت السيدة الحرة أمر الدعوة الفاطمية فى اليمن ، ولكن يبدو أن وجود امرأة على رأس دعوة دينية كان أمرًا غير مقبول لدى بَعْض أتباع الدعوة . فكان الداعى سبأ بن أحمد ، الذى كان مشرفًا على أطراف دولتها فى عهد ابنها عبد المستنصر ثم بَعْد وفَاتِه ، يرى أنه أحقّ بتولى أمر الدعوة والإشراف عليها . فأراد أن يحَقِّق غرضه عن طريق زواجه من السيدة الحرة ، فطَلَب أن يخْطِبَها لنفسه ، ولكنها كَرِهَت ذلك . فلجأ سبأ إلى قتالها فى ذى جِبْلَة ، حيث قامت الحرب بينهما أيامًا ، إلى أن أشار عليه سليمان بن عامر الزَّواحِى – أخو الحرة لأمها – أنها لن تجيبه إلى طلبه إلَّا بأمر الإمام المستنصر ، فراقت له الفكرة وترك قتالها وأنفذ من قِبَلِهِ رسولين إلى الإمام المستنصر أخبراه برغبته فى الزواج من السيدة الحرة . وجاء رد المستنصر على هذه الرغبة ، بأن

---

[١] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٣ ظ ، ٦٦ ظ .

[٢] عمارة : تاريخ ٧١ .

كتب إلى الحرة ، فيما يكتب إليها ، ثلاثة سطور يأمرها فيها بنكاح الداعى سبأ ، وأرسل إليها أستاذًا له يُعْرَف بحامل الدواة ، دَخل عليها بذى جِبْلة وقال لها فيما قال « ... وقد زوَّجَك مولانا أمير المؤمنين من الداعى ... ابن حمير سبأ بن أحمد ... على ما حَضَر من المال وهو مائة ألف دينار عَيْنًا وخمسين ألف أصنافا من تُحَف وألطاف ... » [١] .

وقد رَضَخَت السيدة الحرة لِمَا أمرها به المستنصر ، بعد أن ذَكَرت للحاضرين أنهم حرَّفُوا القول عن مَوْضِعِه وسوَّلَت لهم نفوسُهم أمرًا ، فأَخَذَ الحاضرون يلاطفُونها حتى أجابتهم ، فعَقَدُوا النكاح [٢] . ومن ذلك نستطيع أن نعرف مدى تأثير الخليفة المستنصر فى دَعْوة اليمن ، ومكانته لدى أتباعها حتى أنه تدخَّل بنفسه فى أمر زواج السيدة الحرة .

ويبدو أن الداعى سبأ لم يرض عن الطريقة التى لجأ إليها للزواج من السيدة الحرة ، فذكر عمارة : « أنه رأى من عُلُوّ هِمّتها وشَرَف أفعالها ما حقَّر نفسه معها » [٣] حتى إنه أُرْسَل إليها من مَقَرّه بحصن أَشْيَع سرا لتأذن له بالدخول عليها فى دار العز بذى جِبْلَة ، ولكنها لم تُجِبْه إلى طَلَبه ، ويقال إنها لم تسمح له أن يخْتلى بها ولو مرة واحدة [٤] .

الانقسام الأول فى الدعوة الفاطمية وموقف دعوة اليمن منه

كان أوَلُ انقسام مذهبى سياسى أَصَابَ الدولة الفاطمية هو الانقسام الذى حَدَث بعد موت الخليفة المستنصر سنة ٤٨٧ / ١٠٩٤ ، فقد أدَّى إلى إبعاد

---

[١] عمارة : تاريخ ٦٧ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٧٢ ظ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧٦ - ٢٧٧ .

[٢] عمارة : تاريخ ٦٨ .

[٣] عمارة : تاريخ ٦٩ .

[٤] المصدر نفسه ٦٩ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٧ و .

ابنه الأكبر نزار عن الخلافة وتولية ابنه الأصغر أبى القاسم أحمد الذى لُقِّبَ بالمستعلى فانقسمت الشيعة الإسماعيلية تبعًا لذلك إلى فرقتين : إسماعيلية نِزَارية تعتقد إمامَه نِزَار بن المستنصر وتَطْعَن فى إمامة المستعلى . وإسماعيلية مستعلية يَرَوْن صِحَّة إمامة المستعلى ومَن قَام بعده [١] .

فقد كان للمستنصر أولادٌ ثلاثة هم : نِزَار وعبد الله وأحمد ، نزار أكبرهم وعبد الله أوسطهم وأحمد أصغرهم . وذكر عماد الدين إدريس أن المستنصر كان دائما ما يُبَشِّر بولده أبى القاسم أحمد وأنه صاحبُ خلافته والوارث لمقامه ورُتْبَته من قبل مولده . وأنه شَاهَد ولديه نزار وعبد الله يتشَاجَران يومًا فيمن يلى فيهما الإمامة ، فأمرهما المستنصرأن لا يتشاجرا على شيء ليسا من أهله ، وذَكَر لهما أن صاحبها هاهنا ، وأومى بيده إلى صُلْبه [٢] .

ويُحَدِّد ميلاد المُسْتَعْلى سجل بعَثَ به المستنصر إلى الملك المكرم مؤرخ فى سنة ٤٦٧ / ١٠٧٤ ذكر فيه خبرَ ميلاد ابنه أبى القاسم أحمد فى المُحَرم سنة ٤٦٧ / أغسطس / سبتمبر ١٠٧٤م [٣] . وفور ولادته بشَّر المستنصر أهل دعوته أن ابنه أحمد هو صاحبُ الإمامة والمستحق أن يَرثَ مقامه ، وكتب بذلك إلى دعاته فى الأقطار يُخْبِرُهم بذلك حتى يطْمئنُّوا إلى إمامهم القادم [٤] .

---

[١] ابن ميسر : أخبار مصر ٥٩ - ٦٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٧ و ٨٧ ، الشيَّال : مجموعة الوثائق الفاطمية (الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥٨) ٤٧ - ٥١ .

[٢] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٧٦ ظ .

[٣] انظر نص السجل عند عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٧٧ و ــ ٧٧ ظ ، وقارن ذلك بنص السجل رقم (٦) فى مجموعة السجلات المستنصرية حيث يذكر فيه أن ميلاد المستعلى كان فى يوم الأحد الرابع عشر من صفر سنة ٤٥٢ هـ . وعند ابن خلكان : وفيات ١ : ١٨٠ ، والمقريزى : اتعاظ ٣ : ١١ أنه ولد فى ٢٠ محرم سنة ٤٦٧ ! .

[٤] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٧٦ ظ .

هذه هى الرواية الإسماعيلية لتولّى المُسْتَعْلى أمر الخلافة . وإن ذَكَر الخليفة الحافظ لدين الله فى بَيْعَة صادرة عنه أن الإمام المستنصر قد سمَّى ابنه أبا القاسم أحمد (المُسْتَعْلى) وَلِىّ عَهْدِ المسلمين [١] . ولكن دراسة الحالة السياسية فى مصر فى أواخر عهد المستنصر تجْعَلُنا نُدْرك أن وصول المستعلى إلى كرسى الخلافة لم يأت بهدوء ، فقد ازداد تَغَلْغُل نفوذ الوزراء فى مصر ، وقد جاء فى سجل بَعَثَ به المستنصر إلى الأمير عبد المستنصر بن المكرم أحمد أنه أوْكَل إلى الأفضل بن بَدْر الجَمَالى « سياسة المُلْك وما يَخْتَصّ بظَاهِر السلطان وأمور الجُنْد وما إلى ذلك » فى الوقت الذى تفَرَّغ فيه والده بدر الجمالى على دَرْس علوم الأئمة والإشراف على الدعوة [٢] .

وبعد وفاة بدر الجمالى والمستنصر فى سنة واحدة ، حرص الأفضل على الانفراد بسياسة الدولة فلجأ إلى تَوْلِية الابن الأصغر للمستنصر الخلافة — وهو فى الوقت نفسه زوج أخته ستّ الملك [٣] – حتى تؤول إليه السلطة الفعلية فى البلاد ، وظلَّ حتى وفاته هو المدَبِّر الحقيقى لمملكة المُسْتَعْلى [٤] . وكان من بين أسباب إبعاد الأفضل لنِزَار أنه وَقَعَت بينهما مسائل فى أيام المستنصر فخَشِى الأفضل إن تَوَلَّى نزار أن يُبْعِدَه عن الحكم [٥] .

وقد أدَّى هذا الصراع على خلافة المستنصر إلى نتائج بعيدة المدى فى تاريخ الإسماعيلية ، واعتبر لويس وشتيرن إبعاد نِزَار وتولية المُسْتَعْلى انقلابًا سياسيًا واضح المعالم coup d'état ، قام به الوزير الأفضل شَاهِنْشَاه محافظةً على

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٩ : ٢٩٤ – ٢٩٥ .
(٢) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٧٥ ظ – ٧٦ و .
(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ٧٠ و ٩٩ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق (بيروت ١٩٠٨) ١٢٨ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٧٨ ، الخطط ١ : ٣٥٦ .
(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ٦٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٧ ، الخطط ١ : ٣٥٧ .
(٥) ابن ميسر : أخبار مصر ٥٩ – ٦٠ ، المقريزى : اتعاظ : ٣ : ١١ – ١٢ .

السلطان القوى الذى كان يتمتَّع به منفردًا منذ أواخر عهد المستنصر [١] . وهكذا نجد أن الوزراء الفاطميين تلاعبوا بالعقيدة الفاطمية و لم يُبالُوا بها ، فكانوا يعيِّنون الإمام الذى يريدونه حتى لو لم يكن له الحق - حَسَب العقيدة الفاطمية - فى الإمامة [٢] .

لم تفْلح المحاولات التى قام بها نِزَار للثورة فى الإسكندرية حيث تصَدَّى الجُند له . واعتَرَف جميعُ الإسماعيلية بإمامة المستعلى فيما عدا إسماعيلية فارس بقيادة الحسن بن الصَبَّاح [٣] .

وحرصًا من رئاسة الدعوة فى مصر على احتواء دعوة اليمن فقد حرصت على معرفة مَوْقِفِها من هذا الانقسام والطريقة التى اعتلى بها المُسْتَعْلى كرسى الخلافة . فكَتَبَت السيدة والدة المستعلى سِجِلًّا إلى السيدة الحرة مؤرَّخًا فى صفر سنة ٤٨٩ / ١٠٩٦ تَذْكُر لها فيه نصّ المستنصر على ابنه المستعلى ، وتُشير فيه إلى ثورة نِزَار والقائد افْتَكين فى الإسكندرية [٤] . كذلك وجه المستعلى سجلا بنفس المعنى إلى السيدة الحرة مُؤرَّخًا فى الثامن من صفر سنة ٤٨٩ / ١٠٩٦ [٥] وعلينا أن نلاحظ أن الدعوة اليمنية ظَلَّت الحافظَ الوحيد للدعوة المستعلية منذ ذلك التاريخ وحتى بعد وفاة الخليفة الآمر سنة ٥٢٤ هـ

---

(١) Stern, S., « The Epistel of the Fatimid Caliph al-Āmir (al-Hidāya al-Āmiriyya) its date and its purpose » *JRAS* (1950), p. 20, Lewis , *BSOS,* X (1940 - 42), p. 256 ، الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٤٨ .

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ٤١ .

(٣) Gibb, *El.*, art. *al-Musta'li* III, p. 819 ، برنارد لويس : الدعوة الإسماعيلية الجديدة (الحشيشية) ، نقله إلى العربية سهيل زكار (بيروت ١٩٧١ م) ٤٩ - ٥١ ، ٦٤ - ٦٥ .

(٤) نشرها Fyzee, A.A.A., « Al-Hidayatu'l Amiriya an Epistle of the tenth Fatimid Calif al-Āmir bi-Ahkāmillāh », *Islamic Research Association series* n°. 7, Oxford 1938 ثم نشرها المرحوم جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٠٣ - ٢٣٠ وانظر أعلاه هامش ١ .

(٥) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٣٥ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٧٩ ظ - ٨٣ ظ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٣ .

كما سنرى بعد قليل .

وقد حرص الخليفة الآمر على تأكيد صِحَّة إمامة والده المستعلى ، فكَتَب رسالته المعروفة « بالهِدَاية الآمرية » [١] . وهى وَثِيقة من أهم الوثائق التى وَصَلَت إلينا عن العصر الفاطمى ، نص فيها على أنه لا طريق إلى إثبات الإمامة إلَّا بالنص والاختيار ، وأن هذا النص وَقَعَ من المستنصر فى وقت نَقْلَته بحضرةٍ من أولاده وخاصَّته [٢] .

---

[١] السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٤٣ .
[٢] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٨٧ و .

الدعوة اليمنية في عهد المستعلي وعهد الآمر

قامت السيدة الحرة يُعَاوِنُها داعي الدعاة لَمَك بن مالك بإظهار الدعوة فى اليمن إلى الإمام المستعلى [١] وظَلَّ أبو حِمْيَر سبأ يقَدِّم لها كلَّ معاوَنَة ممكنة لحمايةِ أطراف دوْلتِها إلى أن توفى فى حصن أَشْيَح سنة ٤٩١ / ١٠٩٨ [٢] ، وتوفى بعده بقليل فى سنة ٤٩٢ / ١٠٩٩ عامر بن سُلَيْمَان الزَّواحى [٣] . وبوفاة الداعى سبأ بن أحمد خَرَجَت صنعاء من أيدى الصليحيين ، واستولى عليها الهَمْدَانِيُّون الذين سانَدَتْهم عائلة عمران بن الفَضْل اليَامى [٤] ، وتولّى أمرهم السلطان حاتم بن الغشيم المغلسى [٥] . ولم تحاول السيدة الحرة إعادة صنعاء بل قَبلت الأمر الواقع وعملت على تدعيم ما بَقِىَ من مملكتها [٦] .

المُفَضَّل بن أبى البركات الحِمْيَرِى

رأت رئاسة الدعوة فى مصر ضَرُورة ظهور شخصية أخرى تَثِق فيها السيدة الحرة تعمل على حماية ما بَقِىَ من ممْلَكَتِها . وكانت هذه الشخصية هى :

---

(١) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٨٥ و .

(٢) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٨٥ ، نزهة ٣٤ و . وعند الخَزْرَجى : الكفاية ٥٥ و ٥٧ ، الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٥١ ، ابن الديبع : قُرّة العيون ٢٦ و ، يحيى بن الحسين : أنباء (دار) ٤٤ ، غاية الأمانى ٢٧٩ أنه توفى سنة ٤٩٢ هـ .

(٣) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٨٥ و ، نزهة ٣٤ و .

(٤) انظر أعلاه .

(٥) الخزرجى : الكفاية ٥٥ و ٦٠ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٧٩ ، Geddes, Ch., *EI²*., art. *Hamdānides* III, p. 128 ; Hamdani, A., *Oriens* 22 - 23 (1970 - 71), pp. 268 - 270

(٦) حسين الهمدانى : الصليحيون ١٦١ – ١٦٢ .

المُفَضَّل بن أبى البَرَكَات الحِمْيَرى الذى تولَّى أمر التعكر بعد وفاة أبيه ، وكان مَوْضِع ثقة السيدة الحرة ، وله معها مواقِف مشهورة فى محاربة النَجَاحِيين وغيرهم ، وهو الذى وَقَفَ فى وجه جيش الداعى سبأ بن أحمد عندما قدم يَخْطِب السيدة الحرة [١] .

وفى سنة ٤٩٥ / ١١٠١ توفى فى القاهرة الإمام المستعلى بالله وتولَّى بعده ابنه الآمر بأحكام الله وكان طفلًا صغيرًا ، وتوَلَّى أمر دولته الأفضل شَاهِنْشَاه ابن بَدْر الجَمَالى ، فكَتَب بذلك إلى النواحى والأطْرافِ . وقد قَامَت السيدة الحرة بالدعوة فى اليمن إلى الإمام الآمر بأحكام الله يُعَاوِنُها داعى الدعاة يحيى ابن لَمَكْ [٢] خلفًا لوالده بنصّ من الآمر ، وتَوَلَّى أمر الدفاع عن مملكتها المُفَضَّل بن أبى البَرَكات من حِصْن التعكر .

وحينما توفى المفضل فى سنة ٥٠٤ / ١١١٠ احتَفَظت السيدة الحرة بإدارة الدولة فى أيديها ، واستولت على حِصْن التعكر وأُخَذَت فى مُكَاتبة الفقهاء وملاطَفَتِهم [٣] . وقد أدَّت وفاة المفضل إلى خروج بعض الجهات على السيدة الحرة ، فتغَلَّب أبو الغارات بن مسعود الهَمْدانى وابن عمه أبو السعود ابن زُرَيْع بن العباس على عَدَن وامتنعا عن تسليم ما كان يُسَلِّمان إلى السيدة الحرة [٤] .

وبعد وفاة المفضل أقامت السيدة الحرة الأمير أسعد بن أبى الفتوح بن العلاء

---

[١] عمارة : تاريخ ٧٠ - ٧١ ، الخزرجى : الكفاية ٥٥ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٨٥ و – ٨٥ ظ (نقلًا عن عمارة) .

[٢] الحامدى : تحفة القلوب (*Oriens* IV (1951), p. 236) ، عماد الدين إدريس : عيون ٩٠ و – ٩٠ ظ .

[٣] عمارة : تاريخ ٧٣ ، الخزرجى : الكفاية ٥٧ ، الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٥٧ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٩١ و ، نزهة ٣٤ ظ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٧ و .

[٤] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٧ .

فى المكان الذى خَلَا بوفاته ليدافع عن دولتها ، وظَلَّ كذلك إلى أن قُتِل فى سنة ٥١٤ / ١١٢٠ [١] وحيث وصل إلى اليمن ابن نَجيب الدولة .

وتقِّلل المصادر الإسماعيلية من دور المفضل ، لأنه إلى جانب خدمته للسيدة الحرة كان يُعَادِى عائلة سبأ بن أحمد ، التى استمرَّ تأييدُها للدعوة الفاطمية فى اليمن لفترة طويلة بعد ذلك ، وربما كان موقفه هذا سببًا فى خروج ولاة صنعاء وعدن عن طاعة السيدة الحرة ، وموقفهم بعد ذلك من الدعوة الطيبية التى ستظهر بعد قليل [٢] .

أما الدعوة نفسها فقد أشْرَف عليها الداعى يحيى بن لَمَك فى أعقاب وفاة والده نحو سنة ٤٩١ / ١٠٩٨ وظَلَّ محتفظًا بها حتى وفاته فى جُمَادَى الآخرة سنة ٥٢٠ / ١١٢٦ [٣] .

ابن نجيب الدولة

حاولت رئاسةُ الدعوة الفاطمية فى مصر أن تُدَعِّم القوة المتداعية للسيدة الحرة فى اليمن ، فأَرْسَلَت إليها فى سنة ٥١٣ / ١١١٩ شخصًا يدعى المَوفَّق فى الدين على بن إبراهيم بن نَجِيب الدولة [٤] أعطاه عمارة ومن نقلوا عنه

---

[١] الخزرجى : الكفاية ٥٨ ، الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٥٨ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٩١ و ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٧ و .

[٢] Hamdani, A., *Oriens* 22 - 23 (1970 - 71), p. 266

[٣] ابن سمرة : الطبقات ٢٣٤ ، عماد الدين إدريس : نزهة ٤٥ و ، عيون ٧ : ٩٥ و وتذكر المصادر السنية (الخزرجى : الكفاية ٥٩ ، الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٦٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٨ و) أنه تولى بعده إبراهيم بن حسين الحَامِدى . والواقع أن إبراهيم الحامدى قام بالدعوة بعد وفاة الذؤيب بن موسى فى المحرم سنة ٥٤٦ هـ (عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٤٧ ظ) .

[٤] اسمه وألقابه كما جاءت عند عمارة : تاريخ ٧٥ « الأمير المنتخب عز الخلافة الفاطمية فخر الدولة الموفق فى الدين داعى أمير المؤمنين على بن إبراهيم بن نجيب الدولة » . =

لقب داعى ، والواقع أن وَضْع هذا الشخص الصحيح بالنسبة للدعوة اليمنية غير واضح لنا فى المصادر المصرية واليمنية على السواء ، وأَظُنُّ أنَّه جَاءَ لحماية أطْرَاف مملكة السيدة الحرة مِثْلُه فى ذلك مثل سبأ بن أحمد والمفضل بن أبى البركات .

كان ابن نجيب الدولة قبل قُدُومِه إلى اليمن يشغل وظيفة حافظ خِزَانَة الكتب الأفضلية فى القاهرة ، وعارِفًا بمذهب الشيعة . قدم إلى اليمن ومعه جماعة من الغِلْمَان الحُجَرِيَّة والفرسان . ومرَّ فى طريقه إلى اليمن على جزيرة دَهْلَك فقَابَله هناك رجلٌ يدعى محمد بن أبى عَرَب الداعى فَكَشَف له كثيرًا من أسرار اليمن وأحوال الناس به وأسمائهم وكُنَاهم وتواريخ ميلادهم ، وما تحت ثياب أكثرهم من شَامة أو جِرَاح . فكان ابن نجيب الدولة يُخْبر الناس بذلك فيعتقدون أنه يَعْلَم الغيب [٢] وقَصَدَ فى أول أمره مدينة ذى جِبْلَة ليحمى السيدة الحرة ويُدَافع عن أطراف ما بقى من دولتها [٣] ، وحاول أن يكبح جِمَاح القبائل

= وراجع أخباره عند ، عمارة : تاريخ ٧٥ – ٨٠ وعنه (الخزرجى : الكفاية ٥٨ – ٥٩ ، الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٥٩ – ١٦٣ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٧ و – ٢٧ ظ) عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٩١ و – ٩٤ و ، نزهة الأفكار ٣٥ و – ٣٧ و ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٣٢ – ١٣٤ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٨٥ – ٢٨٧ .

المصادر المصرية ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٤ – ١٠٧ (وعنه المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣ : ١١٠ – ١٢٢) ، عماد الدين الأصفهانى : البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (حقَّقَه Cl. Cahen ونشر فى مجلة (*BEO*, VII - VIII (1937 - 38) ص ١٢٠ . وقارن حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ٢٤٧ ، سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ٩٥ – ٩٧ ، الهمدانى : الصليحيون ١٦٨ – ١٧٤ ، Stern, *Oriens* IV (1951), p. 223; Hamdani, A., *Oriens* 23 - 24 (1970 - 71), p. 261; Garcin, J. Cl., Un Centre Musulman de la Haute Egypte Medievale : Qûṣ (*IFAO*, 1976), pp. 105 - 106 وهو يرى أنه خرج من قوص قاصدا اليمن .

[٢] عمارة : تاريخ ٧٥ .

[٣] الخزرجى : الكفاية ٥٨ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٩١ و ، بامَخْرَمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٣٢ .

الخَوْلَانِيَّة التى بَسَطَت أيديها على بعض أملاك السيدة الحرة ، فطردهم عن ذى جِبْلة ونواحيها [١] .

وقد ازداد نفوذ ابن نجيب الدولة بعد وفاة الوزير الأفضل بن بَدْر الجمالى فى سنة ٥١٥ / ١١٢١ مقتولًا فى القاهرة ، الذى خلفه فى الوزارة الوزير المأمون البَطَائِحِى فكتب إلى ابن نجيب الدولة كتابًا بالتفويض له فى الجزيرة اليمنية وشدّ أَزْرَه وأمدَّه بجمعٍ من الأَرْمَن والسودان [٢] .

وفى سنة ٥١٨ / ١١٢٤ انتقل إلى الجَنَد وقام منها بغارات فى جميع الاتجاهات ولكنه لم يحصل على أى نصرٍ يمكن أن يضيف أراضٍ جديدة إلى مملكة السيدة الحرة [٣] .

وبعد ذلك حاول ابن نجيب الدولة أن يتخلَّص من السيدة الحرة نفسها فاستخفَّ بها وأشَاع أنها كبرت ويجب الحَجْر عليها [٤] فأقامت السيدة الحرة حِلْفًا من سلاطين اليمن المؤيدين لها جَعَل ابن نجيب الدولة يتراجع عن قوله هذا . ثم وَصَل فى سنة ٥٢٠ / ١١٢٦ رسولٌ من مصر ذَكَرتْه كتب التاريخ باسم الأمير الكذاب [٥] اجتمع بابن نجيب الدولة الذى لم يُعِرْه أى انتباه ، فاجتمع أعداء ابن نجيب الدولة إلى هذا الأمير وتقرَّبوا إليها وحَمَلوا له الهدايا ،

---

[١] الخزرجى : الكفاية ٥٨ ، وعن ثورة خَوْلان انظر ، عماد الدين إدريس : عيون ٩٠ ظ - ٩١ و .

[٢] عمارة : تاريخ ٧٦ ، الخزرجى : الكفاية ٥٨ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٩١ ظ ، نزهة ٣٥ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٣٣ .

[٣] عمارة : تاريخ ٧٦ ، عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٣٥ و .

[٤] عمارة : تاريخ ٧٧ ، الخزرجى : الكفاية ٥٨ ، عماد الدين إدريس : نزهة ٣٦ و ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٨٦ .

[٥] ربما كان الأمير الكذاب هو الذى ذكرته المصادر المصرية باسم هلال الدولة سوار وهو رسول أرسله الآمر إلى السيدة الحرة ومعه تشاريف من ملابس الخليفة ومعه كتابٌ منه إليها (ابن ميسر : أخبار مصر ٩٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٠٣) .

فضمن لهم هَلَاكَه ، وطَلَب إليهم أن يكتبوا معه كتبا يذْكُرون فيها أنه دَعَاهم إلى نزار فامتَنَعُوا ، وأن يضْرِبُوا له عُمْلَةً نزارية ، ففعلوا ذلك ، وحَمَل معه الكتاب والعملة . ووافق قدومه إلى مصر القبض على الوزير المأمون البطائحى ، فأوصل السكة إلى الآمر [١] . وتذْكُر المصادر المصرية أن من بين أسباب قتل الخليفة الآمر لوزيره المأمون البطائحى أنه ظنَّ أنه هو الذى أمر ابن نجيب الدولة أن يُظْهِر الدعوة النزارية فى اليمن [٢] .

عندما اتصل الخليفة الآمر بالكتب والسكة التى حَمَلَها الأمير الكذَّاب ، أرْسَل إلى اليمن شخصًا يدْعَى ابن الخَيَّاط للقبض على ابن نجيب الدولة ، فرَفَضت السيدة الحرة أن تسَلّمه إليه ، وقالت له : أنت حامل كتاب فخُذْ جوابَه أو انتظر حتى أكتب للآمر ويأتى جوابه . فخَوَّفَها وزراؤها أن يَظُنّ الآمر أنها تميل إلى النزارية ، واضطرت إلى تسليم ابن نجيب الدولة إليه بعد أن استوثقت له منه ، وأرسلت معه كاتبها محمد بن الأَزْدِى [٣] .

تذْكُر المصادر اليمنية أن ابن نجيب الدولة أُغْرِق فى باب المَنْدَب ومعه محمد ابن الأزدى وهو فى طريقه إلى مصر . وتَوَقَّف بعضها مثل الخزرجى الذى ذكر أنه لم يُعْرف مصيره . أما المصادرُ المصرية فتُفِيد أن ابن نجيب الدولة أُحْضِر إلى مصر فى سنة ٥٢١ / ١١٢٧ فوَصَل إليها يوم عاشوراء فشُهِّر فى طرقاتها ثم أُدْخل إلى السجن مع الوزير المأمون البطائحى ثم قُتِل هو والمأمون

---

(١) عمارة : تاريخ ٧٩ ، كفاية ٥٩ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن : ٢ : ١٣٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٨٧ .

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٣ – ١٠٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١٠ ، الخطط ١ : ٤٦٣ .

(٣) عمارة : تاريخ ٧٩ – ٨٠ ، الخزرجى ٥٩ ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٩٤ و ، نزهة ٣٧ و ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٣ : ٧١ و ١٣٣ و ٢٠٢ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٨٧ .

وشخصٌ يُدْعى صالح بن عفيف فى ١٩ رجب سنة ٥٢٢ / ١٩ يولية ١١٢٨ وصُلِبُوا بقرب سقاية رَيْدَان [١] .

وقد أقامت السيدة الحرة فى مكان ابن نجيب الدولة أحد أفراد العائلة الصليحية هو على بن عبد الله الصليحى ابن أخى الداعى على الصليحى [٢] . ووَصَلَت سجلات من الإمام الآمر بإقامته لدفع المعاندين وحماية أطراف دولتها ونعته بفخر الخلافة [٣] .

والواقع أن تاريخ الدعوة فى اليمن منذ وصول ابن نجيب الدولة أصبح إداريًّا وليس دَعْوة كاملة المعالم كما كان فى عهد الداعى على الصليحى أو لَمَك بن مالك . وقد أبْدَت السيدة الحرة عَدَم طمأنينة بالنسبة لسياسة الدولة الفاطمية وتحيَّنت الفرص للانفصال عن الدعوة الفاطمية فى مصر [٤] ، وقد تأتَّت لها هذه الفرصة فى أعقاب وفاة الإمام الآمر بأحكام الله واغتصاب الحافظ لحقوق الإمام الطفل الطيب ابن الآمر .

---

[١] ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٦ و ١٠٧ (وعنه المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١٩ و ١٢٢) .
[٢] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٩٤ و ، نزهة ٣٦ و ، ٣٧ و .
[٣] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٣٧ و .
[٤] Hamdani, A., *Oriens* 22 - 29 (1970 - 71), p. 267

اليمن ودعوة الهند

رأينا فيما سبق كيف أشرفت الدعوة الفاطمية اليمنية فى باكورة التاريخ الفاطمى على إرسال الدعاة إلى السند حتى قبل إعلان المهدى الخلافة الفاطمية فى إفريقية .

وفى عهد الدولة الصليحية أشْرَف الصليحيون إشرافًا فعْليًّا على دعوة الهند والسند وعُمَان . فقد كان من بين أغراض سفارة القاضى لمك بن مالك إلى القاهرة الاستئذان لِبَدء دعوة جديدة على الساحل الغربى للهند تُشْرف عليها دعوة اليمن . ويَرَى عباس همدانى أن داعى الدعاة المؤيد فى الدين الشيرازى هو الذى أمدَّ القاضى لمك مُدّة إقامته فى القاهرة بالتعليمات المتعلقة بنشر الدعوة فى الهند ، وكان من أثر ذلك أن أرسل لَمَك داعيتَه عبد الله إلى الهند فى سنة ٤٦٠ / ١٠٦٨ [١] ، وذلك ضمن الاستراتيجية الشرقية التى انتهجتها الخلافة الفاطمية فى مواجهة العباسيين .

وفى إحدى الرسائل [٢] التى بَعَث بها المُكَرَّم أحمد إلى الخليفة المستنصر ، وبعد أن ذَكَر له خبر وفاة والده والحوادث التى تَلَت ذلك ، يَذْكر له أن رُسُلَ داعى الهند غرس الدين يوسف بن حسين بن يوسف الصيْمُورى [٣]

---

[١] Hamdani, A., *Oriens* 22 - 32 (1970) p. 263 ، حسين الهمدانى : الصليحيون ٢٢٤ – ٢٢٥ .

[٢] رسالة كتب بها الحسين بن القم على لسان المكرم مؤرخة فى غرة ذى الحجة سنة ٤٦٠ / أول أكتوبر ١٠٦٨ . (مخطوطة عباس همدانى) .

[٣] لا يذكر كتاب المكرم اسم داعى الهند ولكننا نعرفه من سجل المستنصر الذى رَدَّ به على كتاب المكرم (سجل رقم ٦٠) .

مقيمون عنده وقد أحْضَرُوا له رسالة يطلبون فيها الإذن لهم بالجهر بالدعوة والخروج بها من دور الستر [١] . وقد أجاب عليه المستنصر بأن ذلك وقْفٌ على ما يراه من حَالِه من كَثْرة عدد ووفور عُدَّة ، فإن كان الأمرُ كذلك فلا بأس من أن يجهر بالدعوة وإلا « فالتقية أولى من الاستعجال » [٢] .

ويرى شتيرن أن هذا دليلٌ على جانب كبير من الأهمية يبين أنه كانت هناك استعداداتٌ لثورة على ساحل الهند الغربى ، ربما فى كُجَرَات حيث كانت تحكم هناك أسرة شالوكيا Chalukya الهندوكية ، وينشئون هناك دولة فاطمية كما حَدَث فى السند فى القرن الماضى [٣] .

وعند وفاة هذا الداعى نجد المستنصر يفَوّض المكرم فى اختيار من يخْلُفه ، ويَطْلب إليه أن يُخْبِره باختياره حتى يكتب له الإمام تفويضًا بذلك [٤] ، وقد اقترح المكرم تعيين ابن يوسف بن حسين ، ووافق المستنصر عل ذلك وأجاب عليه بسجل مؤرخ فى ٢٧ رجب سنة ٤٦٨ هـ (مارس ١٠٧٦ م) يذْكُر له أن تلك الديار موكولة إلى نظره ، وأن عليه أن يَهْتَمَّ بمصالحها . وقد أَمَرَه المستنصر فى السجل نفسه أن يُنْشِىء دعوة جديدة فى عُمَان ، حيث لم تكن قد قامت بها دعوة منتظمة بعد ، وطَلَب إليه أن ينْدُبَ لها من يراه صالحًا لإقامة الدعوة بها وأن يُطَالعه باسمه حتى يُصْدر إليه التفويض بذلك [٥] ، وأكد المستنصر أهمية هذا الأمر فى سجل لاحق مؤرخ فى شهر ربيع الآخر

---

(١) مجموعة رسائل ابن القم ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٦٠ مؤرخ فى ربيع الآخر سنة ٤٦١ هـ .

(٣) Stern, S., « Cairo as a Center of the Ismâ'ili movement », *CIHC*, p. 447

(٤) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٤١ مؤرخ فى ربيع الأول سنة ٤٦٨ هـ ، عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٦٢ ظ .

(٥) السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٥٨) .

سنة ٤٦٩ / ١٠٧٦ ذكَر فيه أنه لمَّا أُنهى إليه خبرُ الفساد والغلاء الذى حل بعُمَان – « وإن كانت خارجة عن أعمال الحوزة » – فإنه رأى أن يضيف إلى الصليحيين ولاية مدينة عُمَان لأنها مجاورة لأعمالهم ، وطلب المكرم أن يهتم بأمْرِها ، فيُفقِّه أهلها فى الدين ، ويأمرهم بإقامة الدعوة المستنصرية ، كذلك أضاف إليه فى السجل نفسه الإشراف على دعوة الإحساء بحيث يكون أميرُها مستخلص الدولة العلوية وعدتها : عبد الله بن على العلوى نائبًا عن المكرم فيها [١] .

وفى أواخر عهد المكرم كَتَب إلى المستنصر يُخْبره بوفاة مُتَولِّى دعْوَتى الهند وعُمَان ، ووَرَدَت إلى المستنصر فى الوقت نفسه مُكَاتبات من أتباع الدعوة هناك يلْتَمِسون فيها إقامة من يَجْمَع شمْلَها ويثقون فيه . وقد اقترح المكرم مرة أخرى تقليد مرزُبَان بن إسحاق بن مرزبان دعوة الهند ، وإسماعيل بن إبراهيم بن جابر دعوة عُمَان ، فأرسل إليهما المستنصر رسائلَ التعيين على لسان أمير الجيوش بدر الجمالى [٢] ، الذى كان يُشْرِف على رئاسة الدعوة فى مصر فى ذلك الوقت .

* * *

وبعد وَفَاة الملك المكرم أحمد أضاف الإمام المستنصر أمر دعوة الهند والسند وعُمَان إلى زوجته السيدة الحرة . وبعد قليلٍ من توَلِّيها كَتَبَت إلى المستنصر

---

(١) السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٥٤) .

(٢) السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٦٣) مؤرخ فى العشر الأواخر من شهر ربيع الأول سنة ٤٧٦ هـ .

تُخْبِره بوفاة داعى الهند غرس الدين مرزبان بن إسحاق وأنه خَلَّف ولَدَيْن ذوى دين وتقية واقترحت إرسال سجل التفويض إلى أكبرهما أحمد ، وأخبرته كذلك أن متَولّى دعوة عُمَان إسماعيل بن إبراهيم قد تخَلَّى عن الخدمة مما أدَّى إلى تشتيت أتباع الدعوة هناك واقترحت تعيين حمزة سبط حميد الدين – وهو شخصٌ لا نعرف عنه شيئًا – فى الدعوة . وقد أجَابَها المستنصر بسجلٍ مؤرخٍ فى العشر الأواخر من ذى القعدة سنة ٤٨١ / يناير ١٠٩٠ يَشْكُر لها فيه تنبُّهها إلى مصالح الدعوة وتَفَقُّد أحوالها وأحوال الدعاة فى هذه الأطراف والنواحى . وأنه أَوْعَز إلى أمير الجيوش بدْر الجمالى أن يُصْدر تقليدين إلى كلٍّ من الداعيين المذكورين ، وجاء فى السجل أيضا أنَّه وَكَّل إليها « النظر فى تلك البلاد والأعمال ومُرَاعاة دُعَاتها وانتظام حال الدعوة فيها ، ومعاونتهم بما يُصْلح خدْمَتَهم .. » وأن تنتدب من تتخيَّره للتوجّه إلى هناك وتُطَالع الإمام بما تحتاج إليه من مصالحها [١] .

° ° °

استمرت الدعوة المستعلية فى اليمن تُشْرف على أتباعها فى كُجَرات الذين عُرِفُوا باسم « البُهُرَة » [٢] ، حتى بعد انفصال اليمن عن الدعوة الفاطمية فى مصر بعد وفاة الخليفة الآمر واعترافها بإمامة الطيب بن الآمر . وقد اضْطُرّت الدعوة بعد ذلك إلى الدخول فى دور الستر مرَّة أخرى وظَهَرت سلسلة طويلة

---

(١) السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٥٠) ، عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ٦٢ ظ – ٦٣ و .

(٢) راجع عن نشاطهم ومجتمعهم ، Lookhandwalla, Sh. T., « The Bohra a Muslim community of Gujarat », *SI*, III (1955) pp. 117 - 135; Hollister, J.N., *The Shi'a of India* (London 1953), pp. 279 - 305; Fyzee, A.A.A., *EI*, art. *Bohoras* I, p. 1292

من الدعاة المستورين [١] حتى كانت سنة ٩٩٩ / ١٥٩١ وإثر وفاة داود بن عَجَب شَاه الداعى السادس والعشرين فى سلسلة دعاة دور الستر ، فانتخب بهرة كجرات داود برهان الدين بن قطب شاه خَلَفًا له (١٠٢١-١٠٣٠ هـ)[٢] وعرف أتباعه « بالداودية » . بينما عَارَض اليمنيون ذلك وعَاضَدُوا رجلًا آخر يُدْعى سليمان بن حسن[٣] (١٠٠٥ - ١٠٥٠ هـ) ادَّعى أنه خَلَف سابقه داود بن عَجَب شاه وأنه اختاره وعَهَد إليه بالدعوة بوصيةٍ منه ، وسمى اتباعه « السُلَيْمَانية » [٤] .

أما تراث الدعوة نفسها فقد تسرَّب من اليمن إلى الهند فى أعقاب الفتح العثمانى الأول لليمن سنة ٩٤٤ / ١٥٣٧ [٥] وذلك نتيجة المحاولات التى قام بها أهل السنة هناك للبطش بمؤلفات الإسماعيلية فى اليمن ، ففى سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م) أَمَر السلطان عامر بن عبد الوهاب الطَاهِرى بتقييد رئيس الإسماعيلية الحسن بن إدريس عماد الدين بن الحسن [٦] الداعى العشرين فى دور الستر ، فى مدينة تعز وأَوْدَعه دَارَ الأدب ، وأمر بإحضار كتبه وإتلافها ، فأتلفت [٧] ومن بينها كتبٌ كثيرة من مؤلفات والده الداعى الشهير عماد الدين إدريس بن الحسن المتوفى سنة ٨٧٢ / ١٤٦٧ [٨] .

---

(١) انظر أسماءهم عند ، Fyzee, A.A.A., « A Chronological list of the Imàms and Dà'is of *the Musta'lian Ismailis* », *JBBRAS* 10 (1934), pp. 11 - 13 .

(٢) Fyzee, A., *op. cit., p. 13 - 14; Hollister, op. cit.*, p. 273

(٣) Fyzee, A., *op. cit.*, p. 13

(٤) راجع فى الخلاف بين الفرقتين ، المَجْدُوع : فهرست الكتب والرسائل ٨٩ - ١٠٣ و ١١٩ ، Hollister, *op. cit.*, pp. 271 - 278

(٥) Hamdani, A., *The beginnings of the Isma'ili Da'wa in Northern India*, p. 15 .

(٦) عند العيدروسى اسمه سليمان بن حسن ، وهو غير صواب فداعى الإسماعيلية فى هذا الوقت هو الحسن بن عماد الدين إدريس (Fyzee, *op. cit.*, p. 12)

(٧) العيدروسى : النور السافر عن أخبار القرن العاشر (صحَّحه وضبطه محمد رشيد الصفَّار ، بغداد ١٩٣٤) ٢١ - ٢٢ .

(٨) Brok., *GAL S* II, p. 250 .



الفصل الثالث
الدعوة الطيبية

أدَّت وفاةُ الخليفة الفاطمى العاشر الآمر بأحكام الله (٤٩٥ – ٥٢٤ هـ) مقتولًا على يد بعض النزارية فى جزيرة الروضة يوم الثلاثاء ثانى ذى القعدة سنة ٥٢٤ / ٧ أكتوبر ١١٣٠ [١] إلى بَدْء تطورٍ جديدٍ فى تاريخ الدعوة الإسماعيلية كانت له آثارٌ بعيدةُ المدى على تاريخ مصر الفاطمية وعلى تاريخ اليمن بوجهٍ خاص .

فقد صحب وفاة الخليفة الآمر انقسام ثان فى الدعوة الإسماعيلية بعد ذلك الذى حَدَث فى أعقاب وفاة الخليفة المستنصر [٢] ، ساعد عليه تَهَاوُن المصريين فى الأخذ بعقيدة النص على ولاية العهد – وهى أساسُ المذهب الإسماعيلى – فقد تولى الأمر ابن عم الآمر الأمير أبو الميمون عبد المجيد ، الذى لُقِّب فيما بعد بالحافظ لدين الله ، فانقسمت الإسماعيلية مرة ثانية إلى فرقتين جديدتين : إسماعيلية حَافِظِيَّة – أتباع أبى الميمون عبد المجيد – استقرت فى مصر ، وإسماعيلية طَيِّبِيّة – استمرارا للإسماعيلية المستعلية – رَأَت أن الآمر نصَّ على ابن له وُلِد قبل وفاته فى شهر ربيع الأول هو أبو القاسم الطيب [٣] .

---

(١) يوجد اختلاف فى تاريخ وفاة الآمر (انظر فيما يلى ص ١٧٣) وهذا التاريخ يوافق يوم الثلاثاء كما ذكر ابن ميسر وابن الأثير . وانظر Stern, S., *EI²*, art. *al-Āmir bi-Ahkāmillāh* I, pp. 452 - 453

(٢) انظر أعلاه ص ١٥٣ – ١٥٤ .

(٣) انظر مناقشة ذلك والوجود التاريخى للإمام الطيب فيما يلى ص ١٨٢ – ١٨٦ .

ولا يُمْكننا فَهْم الأحداث التى ارتبطت بقيام الدعوة الطيبية ومساندة الإسماعيلية المستعلية لها فى اليمن والهند ، وانفصالهم نهائيًا عن الدعوة الفاطمية الحافظية فى مصر ، دون أن نَدْرس وَضْعَ الدعوة فى مصر فى أعقاب وفاة الآمر .

الدعوة الفاطمية فى مصر
فى أعقاب وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله

أقام الوزير الأفضل بن بدر الجمالى – الذى كانت إليه السلطة الفعلية فى البلاد – أبا على المنصور بن المستعلى فى الخلافة بعد وفاة والده فى ٤ صفر سنة ٤٩٥ / ١٨ ديسمبر ١١٠١ ولَقَّبه الآمر بأحكام الله ، وكان ما يزال طفلًا لم يتجاوز الخامسة من عمره . وطوال العشرين عامًا التالية حتى وفاته فى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) كانت إليه السلطة الفعلية فى البلاد . وقد أشار ابن مُيَسَّر بوضوحٍ إلى تَسَلُّط الوزراء على الآمر حين قَسَّم خلافته إلى فترات ثلاث ، هى : فترة وزارة الأفضل (٤٩٥ – ٥١٥ هـ) ، وفترة وزارة المأمون البطائحى (٥١٥ – ٥١٩ هـ) وكانا إليهما الأمر ، ثم الفترة التالية حتى وفاة الآمر حيث أصبح هو متولى الأمور بنفسه [١] .

وحين استَقلَّ الآمر بالأمر لم يتمكن من سياسة الدولة لأنه ظلَّ بعيدًا عن الحكم طوال الخمسة والعشرين عامًا السابقة ، فاستَبدّ بالأمر وأسْرَف فى ظُلْمِ رعيته واغتصب أملاكَهُم وسَفَك الدماء وارتكب الكثير من المحظورات [٢] .

---

[١] ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٩ – ١١٠ (المقريزى : الخطط ٢ : ٢٩٠ – ٢٩١ ، اتعاظ الحنفا ٣ : ١٣٢) .

[٢] ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٢٢٨ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٩١ ، ابن خلكان : الوفيات ٥ : ٣٠٠ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٩١ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ١٧٣ . وقارن ذلك =

فكان طبيعيًّا أن ينتهى الأمر باغتياله حيث تربَّص له بعض النِزَارِيَّة وهو فى طريقه لزيارة إحدى عشيقاته وكان أقام لهو هودجًا بجزيرة الروضة [١] ، وقتلوه يوم الثلاثاء ثانى ذى القعدة سنة ٥٢٤ / ٧ أكتوبر ١١٣٠ [٢] .

وذَكَرت المصادر السنية أنه حين حَضَرت الآمر الوفاة أَشَار إلى أنه تَرَك إحدى زوجاته حاملًا ، ورأى أنها ستَلِد غُلَامًا ذكرًا يَخْلُفه فى الإمامة . واختلفت هذه المصادر بعد ذلك فى المولود ، فذكر البعض أن الحامل وضعت أنثى [٣] ، بينما ذكر الآخر أنه لم يُعْلَم مصيرُ المولود [٤] .

ونَقَل المقريزى عن الشريف محمد بن أسعد الجُوَّانى نصًّا هامًّا يفيد أن امرأة الآمر وَلَدت طفلًا ذكرًا سُمِّى قُفَيْفَة كتم عبد المجيد أمره وأُخْرج من القصر

= بما ذكره الداعى الإسماعيلى عماد الدين إدريس ، قال : « ... فعاش ع م ما وَهَب الله له خلافة يفيض على هذه الأمة أفضالًا ويمرءون فى ظله شربا ويشبعون طعما ، فكانت الأيام به باسمة والليالى منيرة لا ظلماء » . (عيون الأخبار ٧ : ٩٨ ظ) .

[١] عن الهودج أنظر ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٥ ، اتعاظ ٣ : ١٢٩ – ١٣١ .

[٢] ابن ميسر : أخبار مصر ١١٠ ، ابن منجب الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة ٦٤ ، ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٦٦٤ ، عماد الدين الأصفهانى : البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (*BEO* VII - VIII (1937 - 38), pp. 121 - 122) ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٢٢٨ ، ابن ظافر : أخبار الدول ٩١ ، ابن خلكان ٥ : ٣٠١ ، ابن القطان : جزء من كتاب نَظْم الجمان (تحقيق محمود على مكى – الرباط د . ت .) ١٨٥ – ١٨٧ ، ٢٠٢ – ٢٠٤ (وفيها أن وفاته سنة ٥٢٧) . ابن عذارى : البيان المُغْرِب ١ : ٣١١ (وفيه أن الآمر ولَّى عهده عبد المجيد !) ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٥٠٤ – ٥٠٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ١٧١ – ١٧٢ (وفيهما أن وفاته فى الثالث من ذى القعدة) ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك خ ٣ : ١٧ (وفيه أن وفاته كانت يوم الثلاثاء ثالث عشر ذى القعدة نقلا عن ابن أبى طَىّ) ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٧١ (وفيه أن وفاته فى الثالث من ذى القعدة سنة ٥٢٥ هـ !) ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٩٠ – ٢٩١ (وفيه أن وفاته يوم الثلاثاء الرابع عشر من ذى القعدة) ، اتعاظ ٣ : ١٣٠ (ذكر وفاته يوم الثلاثاء الرابع من ذى القعدة) عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٩٦ و – ٩٦ ظ – (وفيه أن وفاته فى الثالث من ذى القعدة سنة ٥٢٦ هـ وهو وَهْم) . وقارن Wiet, G., *JA*, XVIII (1921), p. 112; Stern, S., *Oriens* IV (1951) pp. 194 - 95 n. 2 حيث رجَّح تاريخ وفاته كما ذكر ابن ميسر .

[٣] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٧٤ .

[٤] ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ٣٠٢ .

فى قُفّة على وَجْهها سَلْق وكرّات إلى القرافة وكُتِم أمره ، وحين تولَّى بعد ذلك وتلقب بالحافظ وشى بالطفل فأخذ وقتل [١] . وهذه هى الإشارة الوحيدة إلى ميلاد ابن للآمر بعد وفاته ، وهو بالطبع غير الطيب الذى ولد قبل وفاة الآمر وسنتحدث عنه بعد قليل .

الفـترة الانتقاليـة بين وفاة الآمر وقيام الحافظ

هذه فترةٌ حَرِجةٌ فى تاريخِ مصر الفاطمية كادَت تُطِيح نهائيًّا بالخلافة الفاطمية وتتعجَّل نهايتها . ففى أعقاب وفاة الآمر جاء كبار غِلْمَانه العادل بَرْغَش وهزَّار الملوك جَوَامَرْد بابن عمه الأمير أبى الميمون عبد المجيد ، أكبر الأقارب سنا ، وبايعوه بولاية العهد وتدبير المملكة كفيلًا لمنتظرٍ فى بطن أمه [٢] فأصبح بذلك إمامًا مستودعًا وفْقًا للاصطلاح الإسماعيلى . غير أن العسكر لم يَرْضَوا بوجود هزَّار المُلُوك فى الوزارة – حيث تولَّى الوزارة للأمير عبد المجيد – فثاروا بعد أيام من تولِّيه ، وأخرجوا أبا على بن الأفضل المُلَقَّب كُتَيْفَات [٣] من السجن –وكان الآمر قد سجَنَه قبل ذلك– وأقاموه وزيرا فى السادس عشر من ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (٢١ أكتوبر ١١٣٠ م) فاستبد بالأمر ولم يَلْبَث أن قبض على عبد المجيد وسَجَنَه فى دار الضرب [٤] ، ربما فى آخر شهر ذى القعدة ، وأسْقَط اسم عبد المجيد من الخطبة ومنع الآذان

---

[١] المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٦ (الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ١ : ٩٤) ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٠ .

[٢] عمارة : تاريخ ١٢٩ ، ابن ميسر : أخبار مصر ١١٣ ، ابن خلكان : الوفيات ٣ : ٢٣١ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٨٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٦ ، اتعاظ ٣ : ١٣٧ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ١٧٤ و ٢٤٠ – ٢٤١ .

[٣] انظر ، Stern, S., *EI²*., art. *al-Afḍal .. Kutayfāt* I, pp. 222 - 23 وما ذكر من مراجع .

[٤] المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٦ .

بحى على خير العمل وأظهر مذهب الإمامية الإثنى عشرية وتلَقَّب بأرفع الألقاب [١]، ونَقَشَ اسمه على السكة نائبا عن الإمام المنتظر [٢]، كذلك عمل أبو على ابن الأفضل على إضعاف المذهب الإسماعيلى فى مصر فعيَّن فى سنة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) أربعةَ قضاة ، اثنين من الشيعة أحدُهما إمامى والآخر إسماعيلى ، واثنين من السنة أحدهما شافعى والآخر مالكى [٣] . وَعَلَّق على ذلك ابن ميسر « بأنه لم يُسْمَع بمثل هذا فى المِلَّة الإسلامية قبل ذلك » [٤] .

° ° °

وتُفيدُنا المصادرُ المادية فى التعرُّف على حقيقة ما كان يجرى فى مصر خلال هذا العام (ذى القعدة ٥٢٤ هـ - المحرم ٥٢٦ هـ) الذى بدأ بفترةِ حكمٍ مشتركٍ بين ولى العهد أبى الميمون عبد المجيد والوزير أبى على كُتَيْفَات انتظارًا لميلاد ابن للخليفة المقتول ، وهذه حالة فريدة لا نَجِدُ لها نظيرًا فى تاريخ الدولة الفاطمية سواء فى المغرب أو فى مصر . ثم استأثر الوزير أبو على بالأمر بعد أن سَجَن ولى العهد عبد المجيد إلى أن قُتِل هو فى المحرم سنة ٥٢٦ / ١١٣١ .

فبالنسبة للفترة القصيرة التى شارك فيها عبد المجيد الأفضل كُتَيْفَات فى

---

(١) ابن ظافر : أخبار الدول ٩٤ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٦ - ٤٠٧ ، وذكر ابن ميسر : أخبار مصر ٧٥ ألقابه كاملة .

(٢) Stern, S., *op. cit.*, I, p. 223

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ١١٤ - ١١٥ (المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٢ ، ابن حجر : رفع الإصر ٢٤٧) ، المقريزى : المقفى الكبير (مخطوطة باريس رقم ٢١٤٤) ٢ : ٦٨ .

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ١١٥ .

الحكم نجدُ ضِمْن مجموعة الوثائق المحفوظة فى دير سانت كاترين سِجِلًا له فائدة كبيرة بالنسبة للتاريخ الفاطمى من حيث التاريخ الذى صَدَر فيه والأشخاص الذين ذُكِرُوا فيه ، حيث يوضّح لنا بما لا يدع مجالًا للشك أن عبد المجيد كان وليا للعهد وأبا على وزيرًا وانهما اشتركا معًا فى تدبير المملكة للإمام الطيب الذى كانت تُقَام له الخطبة فى اليمن [١]. والنص الذى يهمنا من هذا السجل الصادر إلى رهبان الدير صَدَر عن ولى عهد المسلمين و « .. كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو على أحمد بن السيد الأجلّ الأفضل أمير الجيوش .. » ولا يَظْهر اسم ولى العهد فى الجزء الموجود من السجل الذى ربما ذُكر فى فاتحة السجل الضائعة وهو دون شك الأمير أبو الميمون عبد المجيد . أما التاريخ الذى صَدَر فيه السجل فهو شهر ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ وهو بذلك لابد وأن يكون قد صَدَر فى النصف الثانى من هذا الشهر لأن أبا على ابن الأفضل تولّى الوزارة فى السادس عشر من ذى القعدة سنة ٥٢٤ [٢] .

° ° °

لم يستمر هذا الوضع الفريد كثيرًا فقد قَبَض أبو على بن الأفضل على عبد المجيد ودعا إلى الإثنى عشرية وضَرَب عُمْلة باسم الإمام المنتظر ، ظن بعض الباحثين أنها ضُرِبت باسم الإمام أبى القاسم الطيب [٣] . وأوَّل من أشار إلى

---

(١) Stern, S., *Oriens* IV (1951), p. 212 ; *Fatimid Decrees* (London 1964), p. 43

(٢) نَشَر صمويل شتيرن هذا السجل لأول مرة سنة ١٩٦٠ انظر Stern, S., « A Fatimid Decree of the year 524 / 1130 », *BSOAS*, 23 (1960), pp. 439 - 455; Stern, S., « Decree by 'Abd al-Majid (al-Hàfiz) and his vizier al-Afḍal concerning the Monks of Mount Sinai A. H. 524/A. D. 1130 » in *Fatimid Decrees* (London 1964), pp. 35 - 45

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ١٧٦ .

هذه العملة التى تشير إلى أن مصر الفاطمية كانت فى وضع لا تحسد عليه الأستاذ M. Soret الذى نشر فى سنة ١٨٥٦ وصفًا لعُمْلة فضية (دِرْهَم) ضُرِبت فى مصر فى عام ٥٢٥ تحمل اسم

(أبو القاسم محمد المنتظر بأمر الله)

و لم يستطع Soret فى هذا الوقت المبكر أن يَفْهَم مدلول هذه الإشارة وظَنّ أن أبا القاسم هذا هو أبو الحافظ عبد المجيد [١] .

ثم قام سوفير ولين بول فى سنة ١٨٧٥ بدراسة عن مدلول « اسم الإمام الثانى عشر على العملة المصرية » [٢] . ثم نَشَر لين بول بعد ذلك عُمْلَتَيْن ذهبيتين من مقتنيات المتحف البريطانى ضُربت الأولى فى القاهرة سنة ٥٢٥ باسم

(أبو القاسم المنتظر لأمر الله أمير المؤمنين) [٣]

أما الثانية فضربت فى مصر فى سنة ٥٢٦ هـ ، لا شك قبل السادس عشر من المحرم من هذه السنة باسم

(الإمام المهدى القائم بأمر الله حجة الله على العالمين [٤]
نائبه وخليفته الأفضل أبو على أحمد)

---

(١) Soret, M., « Lettre a M.C.J. Tornberg sur quelques Monnaies de Dynasties A1 ides », *Revue Archéologiques* XIII annee, Paris 1856, pp. (129 - 136) , pp. 134 - 135 .

(٢) Sauvaire, H., & Lane-Poole, S., « The Name of the Twelfh Imàm on the coinage of Egypt », *JRAS.* N.S. VII (1875) pp. 140 - 151 .

(٣) Lane-Poole, S., Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, Vol. IV, The coinage of Egypt (AH 358 - 922) under the Fatimid khaleefehs, the Ayhoobees and the Memlook Sultans, London 1879, Intr. p. XII, p. 55 n. 228 - 224 .

(٤) *Ibid,* p. 55 - 56,n. 230 .

وهى تدل على أن أبا على بن الأفضل قد فَكَّر فى إقامة إمام اثنى عشرى بعد أن كان يحكم كنائب عنه حيث يَصِفُه بالمهدى القائم بأمر الله حُجَّة الله على العالمين وهذا تَطَوّر جديد لم يتَّضح فى العملات التى ضربت فى سنة ٥٢٥ . وهذا يُفَسِّر لنا السبب الذى دَفَع الغِلْمَان الآمرية إلى المسارعة بقَتْلِه وإخراج عبد المجيد من سجنه وإقامته مرة ثانية وليا للعهد فى السادس عشر من المحرم سنة ٥٢٦ هـ (ديسمبر ١١٣١ م) .

ونشر لافوا عُمْلَة ذهبية ضُرِبَت فى الإسكندرية سنة ٥٢٥ من مجموعة المكتبة الأهلية بباريس باسم

(أبو القاسم المنتظر بأمر الله أمير المؤمنين) (١)

ثم نَشَر لين بول عُمْلة مشابهة ضُرِبت أيضا فى الإسكندرية فى نفس العام من مقتنيات دار الكتب المصرية (٢) .

ومنذ خمسة وعشرين عامًا نشر الأستاذ P. Balog أربَعَة دنانير صادرة عن (المنتظر لأمر (بأمر) الله) ثلاثة منها ضُرِبَت فى القاهرة والرابع ضرب فى مصر (الفسطاط) فى سنة ٥٢٥ هـ (٣) ، وأشار فى مقال آخر فى نفس العام إلى دِرْهَم صادر عن هذا الإمام قدم E.V. Bergmann وصفًا رائعًا له فى سنة ١٨٧٣ م ، وحلَّ بطريقة علمية المشاكل التاريخية المتعَلِّقة به (٤) . ولم أتمكن من الاطلاع على هذا الوصف .

---

(١) Lavoix, H., Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothéque Nationnale (Egypte et Syrie), Paris 1896, pp. 163 - 164 n. 439 .

(٢) Lane-Poole, S., Catalogue of the collection of Arabic Coins preserved in the khediwal Library at Cairo (London 1897), p. 194 n. 1268 .

(٣) Balog, P., « Quatre Dinars du khalife Fatimide al-Montazar li-Amr Illàh ou Bi-Amr-Illah (525 - 526 A.G.) »; *BIE* XXXIII (1950 - 51), pp. 375 - 378 .

(٤) Balog, P., « Nouvelles Observations sur la thechnique du Monnayage (Période Fatimite et Ayoubite), *BIE* XXXIII (1950), p. 16 .

وفى الوقت نفسه نشر الأستاذ M. Jungfleisch عشرةَ أشكالٍ زجاجية مدورة (ربما صِنَج ؟) عليها اسم الإمام المنتظر بالصيغتين التاليتين :

(القاسم محمد المنتظر) ، (حجة الله ومعه (؟) أبى القاسم الإمام المنتظر لأمر الله)

وكلّها مؤرخة فى سنة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) [١] .

وفى مجموعة الدكتور هنرى أمين عوض دِرْهم مؤرَّخ فى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣٢ م) باسم

الإمام محمد المنتظر لأمر الله

وفى وسطه الله الصَّمَد [٢] . وهو ما يتّفق مع ما ذكره المقريزى [٣] من أن أبا على الأفضل أبطل ذكر الحافظ من الخُطْبة وصار يدعو للقائم المنتظر ، ونَقَش على السكة (الله الصمد) ، (الإمام محمد) .

وبذلك أصْبَح ما عُرِف حتى الآن من آثار الإمام المنتظر تسعة دنانير (٣ فى لندن ، و ١ فى باريس ، و ١ فى القاهرة ، و ٤ ذكرها P. Balag) وثلاثة دراهم أحدها ذكره Soret والآخر ذكره E. V. Bergmann والثالث فى مجموعة هنرى أمين عوض بالإضافة إلى العشرة أشكال الزجاجية المدورة التى ذكرها Jungfleisch .

---

(١) Jungfleisch, M., « Jetons (ou Poids ?) en verre de l'Imàm el-Montaẓar », *BIE* XXXIII (1950 - 51), pp. 359 - 374 .

(٢) محمد أبو الفرج العش : مصر ، القاهرة على النقود العربية الإسلامية (أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة) ، القاهرة ١٩٧١ ، ٢ : ٩٥١ – ٩٥٢ .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٦ .

الحافظ يعود إلى الحكم

فى يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ٥٢٦ هـ (٩ ديسمبر ١١٣١ م) انتهى هذا الوَضْع الشّاذ عندما تَمكَّن بعض الغِلْمان الآمرية من تدبير قتل الوزير أبى على أحمد بن الأفضل وهو يَلْعب الكرة كعادته فى الميدان الكبير ، وأَخْرَجوا عبد المجيد من دار الضَّرْب التى كان معتقلًا بها ، وأخذوا له العهد على أنه ولى عهد كفيل لمن يُذْكر اسمه [١] ، فاتَّخَذَ عبد المجيد هذا اليوم عيدا سمَّاه عيد النصر [٢] .

ووَصَل إلينا دينار فريد ضرب فى الإسكندرية سنة ست وعشرين وخمسمائة باسم

(أبو الميمون عبد المجيد ولى عهد المسلمين) [٣]

وهو لاشك ضُرِب فى الفترة بين ١٦ محرم سنة ٥٢٦ هـ (تاريخ وفاة أبى على الأفضل) و ٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٦ هـ (تاريخ مبايعة الحافظ بالخلافة) وهو يَدُلّ على أن عبد المجيد لم يجرؤ على إعلان نفسه إمامًا إلَّا بعد أن تمكَّن من الأمر وتأكد من عَدَمِ وجود أبناء للآمر ينافسونه فى الأمر بعد أن تَخَلَّص من قفيفة بن الآمر الذى ذكره المقريزى [٤] فدعا إلى مبايعته مبايعة ثانية فقرئ سجل بإمامته فى ٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٦ [٥] / ٢٢ فبراير ١١٣٢

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٣٥٧ وانظر ، ابن ميسر : أخبار مصر ١١٧ (المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٣) ، ابن ظافر : أخبار الدول ٩٥ . وذكر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان (الهند ١٩٥١) ٨ : ١٤٦ - ١٤٧ وفاته فى حوادث سنة ٥٢٧ هـ ! .

[٢] المقريزى : الخطط : ٣٥٧ و ٣٨٩ و ٤٩٠ - ٤٩١ .

[٣] Rogers Bey, E.T., « Notices sur quelques piéces rares et inédites », *BIE* deuxieme serie - n. 3 (1882), pp. 32 - 33; Lane - Poole, *op. cit.*, p. 195 n. 1269, 1270 .

[٤] المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٦ .

[٥] هذا التاريخ هو الذى ذكره ابن ميسر (أخبار مصر ١١٧) أما المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٦ فجعل تاريخ البيعة فى ٣ ربيع الأول . وانظر نصّ السجل الذى يظن أنه سجل توليته وهو بدون تاريخ =

وَتَلَقَّب بالحافظ لدين الله [١] . وقد ذَكَر الحافظ فى هذا السجل الأسباب التى جَعَلَتْه يتولى الخلافة بعد أن كانت إلى هذا الوقت تنتقل من الأب إلى الابن وضرب مثلا بالرسول (ﷺ) وأنه نقل الأمر إلى ابن عمه على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، كما أن جدّه المستنصر نص بالإمامة إلى ابنه المستعلى وهو لم يكن ابنه الأكبر وليس له الحق فى تَولّيها .

وكان الحافظ بذلك أول من تَوَلّى الأمر وليس أبوه صاحب الأمر فى الدولة الفاطمية ، هو العاضد آخر خلفائهم [٢] .

وأول أثَر مادى يَصِل إلينا يَذْكر الحافظ كأمير للمؤمنين نَقْشٌ على لوحٍ خشبى بالجامع الطولونى يُشِير إلى أن القاضى سراج الدين أبا الثريا نَجْم بن جعفر أحْدَث بعض أعمال فى الجامع باسم الخليفة الحافظ ، وهو مؤرخ فى العشر الأواخر من شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة وقد جَاءَ فيه اسمُ الحَافِظ كما يلى :

(.. عبد الله ووَلِيّه مولانا وسيدنا عبد المجيد أبى ميمون
الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ..) [٣]

* * *

= عند القلقشندى : صبح الأعشى ٩ : ٢٩١ - ٢٩٧ (الشيَّال : مجموعة الوثائق الفاطمية ١ : ٢٤٩ - ٢٦٠) .

(١) انظر ، Magued, A.M., *EI²*., art. *al-Háfiz* III, pp. 56 - 57 وما ذكر من مراجع .

(٢) ابن خلكان : وفيات ٣ : ٢٣٦ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٥١١ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٣٧ .

(٣) Van Berchem, M., ***Matèriaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicum,*** Egypte (*MIFAO* XIX, 1903), p. 35 n. 13 وقد صَحَّح فيت قراءة فان برشم فى الطبعة الثانية Wiet, G., *Materuaux pour un corpus Inscriptionum Arabicum,* Egypte (*MIFAO*, LII, 1930), pp. 81 - 82, n. 566 محمود عكوش : تاريخ وصف الجامع الطولونى (القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٧) ٨٩ - ٩٠ .

هذا هو الوَضْع فى مصر خلال العام الذى أعقَبَ وفاة الآمر ، نَلْحظ منه أن بداية خِلافَة الحافظ كانت صَعْبَة بما صَحبَها من مشاكل تَمَس أساس العقيدة الفاطمية . ولكن ما مَوْقِفُ دعْوَةِ اليمن من خلافَة الحافظ ، وما صَحِبَها من تهاونٍ فى أسس العقيدة الفاطمية ؟

دَعوة اليمن والإمام الطَّيِّبْ

إذا كانت المَصَادرُ المصرية قد ذَكَرت أن الآمر حين وفَاته تَرَكَ إحدى جِهَاته حاملًا فإن لَدَيْنا من بينها نصا كبير الأهمية ذَكَره ابن مُيَسَّر يدل على أنه وُلِد للآمر ولدٌ ذَكَر قبل وفاته . سمَّاه أبا القاسم الطَّيِّب . ونظرًا لقيمة هذا النص وأهميته سأذكره فيما يلى . يقول ابن ميسر فى حوادث سنة ٥٢٤ [١] :

« فى ربيع الأول وُلِد للآمر ولدٌ فسمَّاه أبا القاسم الطيِّب وجَعَلَه ولىّ عَهْدِه ، وزُيِّنَت مصرُ والقاهرة وعُمِلَت الملاهى فى الأسواق وبأبواب القصور ولَبست العساكر وزُيِّنَت القصور ، وأُخْرَج الآمر من خَزَائِنه وذَخائِره قُمَاشًا وآلات وصياغات وأوانى ذَهَب وفِضَّة فزيّن بها وعُلِّق الإيوان جميعه بالستور والسلاح فأَقَام الحال كذلك أربعة عشر يوما . وأُحْضَر الكَبْش الذى يُذْبَح فى العَقِيقَة وعليه جل ديباج وقلائد فِضَّة وذُبِح بحضرة الآمر . وأُحْضِرَ المولود فشَرُفَ قاضى القضاة ابن ميسر بحَمْلِه ونُثِرَت الدنانير على رءوس الناس . وعُمِلَت الأسمطة وكُتِبَ إلى الفيوم والشرقية والقليوبية بإحضار الفواكه فأُحْضِرَت ومُلِئ القصر من الفواكه وغير ذلك وامتلاء الجوّ بدخَّان العود والعَنْبَر » .

---

[١] ابن ميسر ١٠٩ - ١١٠ (وعنه المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٢٨ مع اختلاف فى العبارة ، والنويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٨٧ فهو ينقل عن ابن ميسر ويسمّيه ابن جَلَب رَاغِب وأحيانا المؤرخ) .

ولا ندرى ما هو المَصْدَرُ الذى نَقَل عنه ابن مُيَسَّر وإن كان يبدو أنه كتاب « تاريخ خلفاء مصر » للقاضى المُرْتَضَى أبى عبد الله محمد بن الحسن الأطرابلسى المعروف بالمُحَنَّك المتوفى سنة ٥٤٩ هـ [١] . وكذلك كتاب « البُسْتَان الجامع لتاريخ الزمان » [٢] وقد وَصَل إلينا نصُّ الكتاب الأخير وفيه أن الآمر حين وفاته كان له ولدٌ نَصَّ عليه بالخلافة وسماه محمدا (؟) ، وأن الحافظ دسَّ عليه رجلًا اسمه ناصر اللَّيثى ، ركاب دار الآمر فأخَذَه عنده ، ولم يَظْهَر له خبرٌ إلى وقته بموتٍ أو بغيره ، إلَّا أن جماعة من المصريين يعتقدون أنه حىّ ويعتقدون فيه الإمامة [٣] . ثم نَجِدُ عند ابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ نصًّا منقولًا عن مؤرخ حلب ابن أبى طَىّ [٤] يُشير إلى أن أهْلَ صنعاء يَرَوْن أن للآمر ولدًا اسمه الطيب [٥] وهم آمرية المذهب [٦] . ومن الغريب أن ابن مُيَسَّر لم يَعْرِض لأمر هذا الطفل بعد ذلك النص الذى ذَكَره سوى أنه أشار إلى أنه لما قُتِل الآمر كَتَم عبد المجيد أمْرَ ولده الذى وُلِدَ فى عام وفاته [٧] ، ولم يزد على ذلك شيئا .

ومما يؤيِّد الوُجُود التاريخى للإمام الطيب السجل الذى أرْسَلَه الآمر إلى السيدة الحرة الصليحية فى اليمن والذى ذَكَره عمارة اليمنى ، يُبَشِّرُها فيه بميلاد

---

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ١٥٣ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٢٣ وانظر ، Ayman Fu'ad Sayyid, « Lumières nouvelles sur quelques sources de l'histoire fatimide en Egypte », *An. Isl.* XIII (1977), p. 22 .

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ٧٠ . وانظر ، Ayman Fouad Sayyid, *op. cit.*, pp. 28 - 29 .

(٣) عماد الدين الأصفهانى : البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان . Cahen, Cl. « Une Chronique Syrienne du VI/XII Siécle » *BEO,* VII - VIII (1937 - 38) pp. 121 - 122 .

(٤) انظر عنه Ayman Fu'ad Sayyid, *op. cit.*, pp. 29 - 30 .

(٥) فى مخطوطة ابن الفرات الحصيب بدون نقط .

(٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك (مخطوطة مكتبة فينا رقم ٨١٤ ، مصورة بالمكتبة التيمورية برقم ٢١١٠ تاريخ) ج ٣ ورقة ١٧ أ .

(٧) ابن ميسر : أخبار مصر ١١٣ .

ابنه الطيب أبى القاسم فى الليلة المُصبِحَة ليوم الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ٥٢٤ ، وهو أيضا تاريخ صدور السجل [١] .

فلما وَصَلَ هذا السِّجل إلى السيدة الحرة عملَت على إذاعته بين أهل الدعوة وأفْهَمَتْهم أن هذا دليلٌ على أن الإمامَ الطيب هو « المنصوصُ عليه المستحقُّ للإمامة »[٢] ويذكر عماد الدين إدريس أن الآمر حين علم بدنو أَجَلِه وأن

---

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ١٢٧ – ١٢٩ ، عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٩٧ و – ٩٧ ظ . ويُلاحظ وجود اختلاف بين تاريخ هذا السجل والتاريخ الذى ذكره ابن ميسر !

(٢) عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٩٧ ظ ، نزهة الأفكار ٣٨ و .

ويَحْسُن بنا ونحن نَعْرِضُ للدعوة الطيبية وانتشارها فى اليمن والهند أن نُشيرَ إلى بداية تعرّف الدراسات التاريخية الحديثة على هذا الإمام الذى أصْبَح رأسَ دَعْوَةٍ مستقلة .

فلم يَكُن هذا الإمام معروفًا البتّة للبحث التاريخى قبل أن يَنْشر كاى فى سنة ١٨٩٢ كتاب « تاريخ اليمن » لعمارة اليمنى Kay, H.C., *Yaman its early Mediaeval History* (London 1892), p. 101 ولكن إشارة عمارة هذه لم تَكُن كافية فيما يبدو لجَذْب الانتباه إلى وجود هذا الإمام إلى أن نَشَرة ماسيه فى سنة ١٩١٩ كتاب « أخبار مصر » لابن ميسر (ص ٧٢) حيث أشار تفصيلا إلى ميلاد هذا الإمام والاحتفالات التى عَمَّت البلاد بهذه المناسبة ، وقد أشار فيت إلى أهمية هذا النص فى تعليقه على نشرة ماسيه (Wiet, G., *JA.*, XVIII (1921) p. 112) ثم ألْقَت اكتشافات حسين همدانى عن التراث الإسماعيلى فى الهند كثيرًا من الأضواء على وجود هذا الإمام فى رسالته التى تقدَّم بها لجامعة لندن فى سنة ١٩٣١ بعنوان « تاريخ وعقائد الدعوة الإسماعيلية الطيبية فى اليمن Hamdani, H., *Doctrenes and history of the Ismà'ili Tayyibi Da'wa of al-Yaman*, Ph. D. Thesis, University of Lonuon 1931 (Unpublished) ولم أتمكن من الاطلاع عليها . ثم نشر كلود كاهن فى سنة ١٩٣٨ قسما من كتاب « البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان » لعماد الدين الأصفهانى (؟) يبدأ بحوادث سنة ٥٠١ هـ وأشار مؤلفه إلى ميلاد هذا الإمام واعتقاد بعض المصريين فيه ! Cahen, Cl., « Une chronique Syrienne du VI/XII siécle »*BEO* VII - VIII (1937 - 38), p. 121 ثم اتضَحَت لنا الصورة بوضوح بالمقال الجَلِيّ الذى نشره صمويل شتيرن سنة ١٩٥١ عن خلفاء الإمام الآمر والدعوة الطيبية Stern, S., « The Succession of the Fatimid Imám al-Amir ... », *Oriens* IV (1951) pp. 193 - 243 ثم دَرَسَ حسين همدانى فى كتابه « الصُّلَيْحِيُّون والحركة الفاطمية فى اليمن » ، القاهرة ١٩٥٥ ، ١٨٢ – ١٩٢ الدعوة الطيبية وأنصارها فى اليمن . وفى سنة ١٩٥٨ نَاقَشَ المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال الوجود التاريخى للإمام الطيب معتمدًا فى الأساس على مخطوطة كتاب « اتعاظ الحنفا » للمقريزى التى لم تكن قد نُشِرَت بعد ، الشيَّال : مجموعة الوثائق الفاطمية ١ : ٧٤ – ٨٦ ، وإن أشار شتيرن =

وَلَدَه الطيب مازال طفلًا كَتَب إلى السيدة الحرة وإلى دعاته كافة بالدعوة إلى وَلَدِه وأنه الخليفة من بعده ، وأرسَلَ إلى السيدة الحرة الشريف محمد بن حَيْدَرَة [١] بسجلات تتضمن السلام عليها والأوامر والنواهى التى يأمر بها ، وأرسل معه (منديله) وأَمَرَه أن يسَلِّمَه إليها ، فلما تسلمته بَكَت وقالت للحاضرين « إن مولانا نَعَى إلَىَّ نَفْسَه » [٢] .

ولما وَصَل خبرُ وفاة الإمام الآمر إلى دعاة اليمن قامت السيدة الحرة ومعها الداعى الذُؤَيْب بن موسى الوادعى يُعَاوِنه السلطان الخَطَّاب بن أبى الحِفَاظ الحَجُورِى بأَخْذ البَيْعَة والعَهْد للإمام الطيب بن الآمر ، وطَلَبَت من الحاضرين عند قراءة مجلس الحكمة الصلاة على الإمام الطيب [٣] . وفى الوقت نفسه فَصَلَت السيدة الحرة وَظَائِفَ الدعوة نهائيا عن وَظَائِفِ الدولة وعَيَّنَت الداعية الذؤيب بن موسى الوادعى كأول داعٍ مطلق ليقوم بالدعوة نيابة عن الإمام المستتر الطيب بن الآمر ، وذلك فى محاولة لمقاومة الإشراف الفاطمى عليها [٤] .

ويذكُرُ لنا عماد الدين إدريس روايَةً مخالِفَةً لما جاء فى المصادر المصرية عن وفاة الإمام الآمر فيذكر أنه بعد أن اعتدى عليه النِّزَارِيَّة عاد إلى قَصْرِه ودَخَل إليه متكئا على ابن عمه عبد المجيد وأَمَر بإحضار حُجَجِه وأبوابه ، وجَدَّدَ النصَّ على ولده الطيب وأخذ البيعة له وأَوْدَع ابن عمه عبد المجيد قَصْرَه وظاهر

= بعد ذلك إلى أن المادة التى توجد عند الشيال وذكر أنها جديدة ليست جديدة تماما وأنه أَخَذَهَا من مقَالِه سالف الذكر .Stern, S., *Fatimid Decrees* (London 1964), pp. 43 - 45 n. 1 .

(١) وهو شاعر فاطمى لم يَصِلِ إلينا من إنتاجه إلَّا نماذج من شعره ذكرها عماد الدين إدريس ، وربما كان هو المترجم عند الصفدى : الوافى بالوفيات ٣ : ٣٢ وذكر وفاته فى سنة ٥٤٩ هـ .

(٢) عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٩٥ و .

(٣) المصدر نفسه ٩٨ و .

(٤) Hamdani, H., *JRAS* (1932), p. 135; (1933), p. 377; Hamdani, A., *Oriens* 23 - 24 (1970 - 71), p. 272 .

ملكه ، فأكَّد له عبد المجيد أنه حافظٌ لما فى يديه للإمام الطيب [١] .

بذلك لم يصبح هناك أى شك لدى الدعوة المستعلية فى اليمن عن مولد الإمام الطيب . ولمَّا قام أبو على الأفضل بحركته وحَبَس عبد المجيد خاف الإمام ودُعَاتِه عليه من شَرِّه وما أَبْدَاه من نُكْره « فخَرَج الدعاةُ المؤمنِيُن بَولِىّ أمْرِهم الإمام الطيب أبى القاسم أمير المؤمنين خائفين مترقبين وَوَقَع ستر الأئمة الطيبيين » [٢] ولا ندرى بعد ذلك ما كان مصير الإمام الطيب شخصيًا .

ولمَّا أُخْرِجَ عبد المجيد من سَجْنِه بدأ بالكتابة إلى السيدة الحرة فكان أول سجل منه إليها « من ولى عهد المسلمين » ، ولكنه لم يَلْبَث بعد أن استقر له الأمر أن كتب إليها سجلا أوله « من أمير المؤمنين » . فلما وَصَل إليها هذا السجل قالت « حَسْبُ بنى الصليحى ما عَلمُوه من أمر مولانا الطيب » [٣] ، وبالطبع لم تنظر السيدة الحرة بعين الرضا إلى وُصُولِ عبد المجيد إلى الخلافة وتَجَاهُل أمر الإمام الطيب ، ورَفَضَت أن تُقِيم الدعوة للخليفة الحافظ وَوَجَدَت فى ذلك فُرْصَة مواتية لتستقل دعوة اليمن عن الإشراف الفاطمى . والواقع أننا يجب أن نَلْحَظ أن الحافظ لم يَتمتَّع إطلاقا بتأييد سواء من النزارية أو من أعدائهم المستعلية [٤] . ولكنه حرص على أن تكون له دعوةٌ فى اليمن فكتب إلى السلطان سبأ بن أبى السعود الزُرَيْعِى صاحب عَدَن أن يُقِيم له الدعوة فأجابه إلى ذلك [٥] ومعه الهَمْدَانيون فى صنعاء وإن كانوا يُظْهِرُون ذلك تقية بينما هم يأتَمِرُون بأمر السيدة الحرة [٦] .

---

(١) عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٩٦ و - ٩٦ ظ .
(٢) عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٣٨ و .
(٣) عمارة : تاريخ اليمن ١٢٩ - ١٣٠ ، عماد الدين إدريس : نزهة ٣٨ و .
(٤) Hamdani, A., *Oriens* 23 - 24 (1970), p. 258 .
(٥) عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٣٨ ظ ، عمارة : تاريخ اليمن ١٣٠ .
(٦) Hamdani, A., *op. cit.*, p. 270 .

الزريعيون فى عَدَن والدعوة الحافظية

الزُرَيْعِيُّون قومٌ من هَمْدَان ، كان لجَدِّهم العباس بن المكرم (الكرم)[١] سابقة محمودة فى قيام الدعوة الفاطمية مع الداعى على بن محمد الصُلَيْحِى ، وكان الصُلَيْحِى عندما فَتَح عدن سنة ٤٥٤ هـ أَبْقَاها فى يد متوليها فى هذا الوقت بنى مَعْن ، وكانت عَدَن جزءا من مَهْر السيدة الحرة ، فلما قُتِل على الصليحى نافقت بنو مَعْن فى عَدَن فسار إليهم المكرم وأَزَالَهم عنها وولَّاها العباس ومسعودًا ابنى المكرم فظَلَّا عليها يوفُّون بخَرَاجها إلى السيدة الحرة إلى أن تولَّاها بعدَهُما زُرَيْع بن العباس وأبو الغارات بن مسعود ، فسار إليهما المُفَضَّل بن أبى البركات وجَرَت بينه وبينهما حروبٌ انتهت بالمصالحة بينهم على أن يوفُّوا نصف خراج عدن . ولما توفى المفضل تغلَّب أهلُ عَدَن على النصف الباق فسار إليهم أسعد بن أبى الفتوح - ابن عم المُفَضَّل - فصَالَحهم على رُبْع الخراج للحُرَّة . ولكن لم يلبث أن تَغَلَّب أهلُ عدن على الربع الباق ولم يبقَ للسيدة الحرة شىء فى عَدَن [٢] .

وبدأ الاستقلال الفعلى للأسرة الزُرَيْعِيَّة عن سلطة الصليحيين فى وقت سبأ ابن أبى السعود الذى كان إليه سَاحِلُ عَدَن وحصنُ التعكر كما استولى على الحصون والمرتفعات الجنوبية التى كانت للصليحيين [٣] . ولما استمال الحافظ الزريعيين للدعوة له أُطْلق عليه لقب داعى ، وظَلَّ هذا اللقب ملازما لخلفائه من بعده . وتوفى سبأ فى سنة ٥٣٣ [٤] / ١١٣٩ .

---

[١] راجع عنهم ، Strothmann, R., *EI²*., art. *Banu'l - Karam* III, pp.787 - 788

[٢] عمارة : تاريخ اليمن ٨١ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ١٢١ - ١٢٢ ، الخزرجى : الكفاية والإعلام ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ١ : ٤٠ و ٢ : ٧٨ و ٨٧ و ١٠٨ ، عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٤٠ و ، ٤١ ظ .

[٣] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٨٧ .

[٤] عمارة : تاريخ اليمن ٨٧ ، عماد الدين إدريس : نزهة ٤١ و ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٨٩ .

وفى سنة ٥٣٩ / ١١٤٤ بَعَثَ الخليفةُ الحافظُ القاضى الرَّشِيد بن الزُّبير [١] ، أحمد بن على بن إبراهيم بن على بن الزُّبير الأُسْوانِى رسولا إلى اليمن [٢] وهو أحدُ الشعراء المصريين ، ذَكَر ابن سَمُرة أنه كان عالمًا بارعًا مجودا فى علوم شتى واستفاد منه بعضُ أصحابه (أى ابن سمرة) باليمن [٣] . وتلَقَّب وهو باليمن بعَلَم المُهْتَدين وكان أسْوَدَ البشرة فعيَّره بذلك بعضُ شعراء اليمن فقال فيه من قصيدةٍ بَعَث بها إلى صاحب مصر :

بَعَثْتَ لــنا عَـلَمَ المُهْتَديـ ـن ولكِـنّه عَـلمٌ أســودُ

وكانت مُهِمَّة القاضى الرشيد فى عَدَن أن يَعْمَل على إقامة الزريعيين الدعوة للحافظ بهدف سيطرة الفاطميين على طريق تجارة الهند وقد أجَابَه إلى ذلك محمد بن سبأ ، وتقلَّد القضاء باليمن ، غير أنه لما قوى أمره بها سمت نفسه إلى الخلافة فأجَابَه قومٌ إلى ذلك وضَرَبُوا سكة باسمه على أحد وَجْهَيْها (الإمام الأمجد أبو الحسين أحمد) وانتهى الأمر بالقبض عليه حيث أُنْفِذ إلى قوص ومنها إلى القاهرة حيث قَتَلَه الوزير شَاوِر فى المحرم سنة ٥٦٣ / ١١٦٧ [٤] . وقد برّأ الإدْفُوى القاضى الرشيد من ادعائه الخلافة – التى يبدو أنها وِشَايَة وَشَى

---

[١] هو مؤلف كتاب « جنَان الجِنَان ورِيَاض الأذْهَان » أشْمَل كتاب عن الشعراء والكتَّاب المصريين إلى وقته . نقل عنه كثيرًا صاحبُ الخريدة وابن خلكان ، وابن سعيد ، انظر أخباره عند ، ابن سمرة : الطبقات ١٦٧ ، ابن خلكان : الوفيات ١ : ١٦٠ – ١٦٤ ، ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٥١ – ٦٦ ، العماد الأصفهانى : خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر ، القاهرة ١٩٥١) ١ : ٢٠٠ – ٢٠٢ ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٣٥ و ١٥٢ ، الصفدى : الوافى ٧ : ٢٢٠ – ٢٢٥ ، الإدفوى : الطالع السعيد ٩٨ – ١٠٢ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٧٩ ، ٢٨٩ ، عماد الدين إدريس : نزهة ٤٠ ظ – ٤١ و ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٤٥ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور – خ ٢ : ٨٧ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ٥ –٦ و ١٨٤ ، Ayman Fu'ad Sayyid, *op. cit.*, p. 24

[٢] الإدْفُوى : الطالعُ السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد (تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦) ١٠١ .

[٣] ابن سَمُرة : الطبقات ١٦٧ .

[٤] راجع أعلاه هـ١ ، Garcin , J . Cl ., *op . cit* ., 106 ، ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٥٥ .

بها عمارة اليمنى - فذكر أنه رأى بنفسه فى أُسْوان محضرًا كُتِبَ باليمن فيه خط جماعة كثيرة بأنه لم يَدّع الخلافة [(١)] .

ونَظَرًا للضَعْف الذى حلّ بالصليحيين فى أعقاب وفاة الحرة آلت حصونُ وقلاع الصليحيين ومن بينها مدينة ذى جِبْلَة إلى منصور بن مفضل الحميرى . وقد تطلّع الزريعيون إلى بَسْط نفوذِهم على بقايا دولة الصليحيين فاشترى الداعى محمد بن سبأ جميعَ المعاقل التى كانت للصليحيين من الأمير المنصور ابن المفضل فى سنة ٥٤٧ / ١١٥٢ بمائة ألف دينار [(٢)] . وقد توفى محمد بن سبأ فى العام التالى فَخَلَفه وَلَدُه عمران بن محمد ، وجاء التقليد بذلك من الخليفة الفائز الفاطمى عن طريق وزيره الصَّالح طَلَائع بن رُزِّيك نحو سنة ٥٤٩ / ١١٥٤ [(٣)] .

وظلّ الداعى عمران بن محمد قائمًا بالدعوة الحافظية فى عَدَن إلى أن توفى يوم الجمعة لتسع خَلَوْن من ربيع الآخر سنة ٥٦١ / ١١٦٦ [(٤)] . وبعد وفاة عمران حاول الوزير شاور والداعى ابن عبد القوى تسيير الدعوة لولدى صاحب اليمن ، وعَهَدُوا بذلك إلى الشاعر عمارة اليمنى - وكان مصاحبًا لملوك آل زُرَيْع - [(٥)] وهذا دليلٌ قوى على تَهَاون المصريين فى أمر الدعوة ، ولكن عمَارة نَصَحهُم بالعدول عن ذلك وذَكَّرهم أن أهل اليمن إنما يَبْعَثُون إليهم بالهدايا

---

(١) الإدفوى : الطالع السعيد ١٠٢ .

(٢) عمارة : تاريخ اليمن ٨٨ - ٨٩ ، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ١٦٩ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٩٥ و ٣٠٠ - ٣٠١ وفيه أن ذلك كان فى سنة ٥٤٤ .

(٣) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٨٣ .

(٤) المصدر نفسه ٢ : ١٨٦ . ونقل الفاسى تاريخ وفاته من على شاهد قبره بالمَعْلَاة بمكة (الفاسى : العقد الثمين ٦ : ٤٢٤) . ونُشِرَ هذا الشاهد فى سنة ١٩٣٧ . انظر Combe, E., Sauvaget, J., Wiet, G., Repertoire chronologique d'epigraphie arabe IX (1937), pp.44 - 45 n. 3267

(٥) Derenbourg , Oumara du Yemen, II, p. 543

والنجاوى لأجل الدعوة ، فإذا تبرَّعُوا بها فقد هَانَت حُرْمَتُها ، فَرَجَعُوا عن ذلك [١] .

الدَّعوة الطيبيَّة
ومراتب الدعوة بعد وفاة السَّيدة الحُرَّة

ظَلَّت السيدة الحرة تدعو للإمام الطيب بن الآمر يُعَاوِنُها الداعى الذُؤَيْب ابن موسى الوادعى والسلطان الخطَّاب بن الحسن بن أبى الحِفَاظ الحَجُورى إلى أن توفيت فى شهر شعبان سنة ٥٣٢ / ١١٣٨ بمدينة ذى جِبْلَة عن اثنين وتسعين عامًا وقُبِرَت بجَامِعها الذى أنشأته هناك [٢] .

وبوفاة السيدة الحرة انفَصَلَت الدولة عن الدعوة وتفرَّغ الدعاة إلى أمور الدعوة وابتعدوا عن مشاكل السياسة وأصبْحَ الداعى الذؤيب بن موسى أول داعٍ مُطْلَق فى الدعوة الطيبية يُعَاوِنُه السلطان الخطَّاب بن الحسن فى حِمَاية أطراف الدولة إلَّا أنه لم يَلْبَث أن توفى فى صفر سنة ٥٣٣ / ١١٣٨ [٣] . فأقام مكانه الداعى إبراهيم بن الحسين الحَامِدى فى رُتْبَة المأذونية ليُعَاوِنَه فى إقامة الدعوة وتثبيت قواعدها [٤] .

---

[١] عمارة اليمنى : النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية (شالون ، ١٨٩٧) ٩٢ .

[٢] الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ١٦٣ ، الخزرجى : الكفاية والإعلام ٥٩ ، عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٣٨ ظ – ٣٩ ظ ، ابن الديبع : قرة العيون ٢٨ و ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٩٥ .

[٣] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٤٤ ظ ، ٤٧ و ، قطب بن سليمان : منتزع الأخبار (مخطوطة بالمكتبة الآصفية بالهند برقم ٣٥٣٣ تاريخ) ٣ .

وعن مساهمة السلطان الخطاب فى الأدب الإسماعيلى انظر ، Ivanow, *Ism .Lit*. p. 51 وعن حياته انظر ، اسماعيل قُرْبَان حسين : السلطان الخطاب – حياته وشعره (القاهرة ، دار المعارف د . ت) .

[٤] الحامدى : تحفة القلوب (*Oriens* IV (1951), pp. 236 - 237) عماد الدين إدريس : نزهة=

الداعي المطلق ومكانته بين مراتب الدعوة الفاطمية

قبل أن نَشْرَع فى تحديد مدلولِ هذه الرتبة فى مراتب الدعوة الإسماعيلية يَحْسن بنا أن نَعْرِضَ فى إيجاز لتسلسل مراتب الدعوة الإسماعيلية وماذا شَغَل دُعَاة اليمن فى هذه المراتب .

يمكننا أن نورد تسلسل تدرّج مراتب الدعوة وَفْق ما جاء فى المصادر الإسماعيلية كالآتى : الناطق وهو النبى ، ﷺ ، والوصى وهو الإمام على ثم الإمام والباب والحُجَّة والداعى (وهذه الرتبة تحتوى على ثلاث رتب متتالية هى داعى البَلَاغ والداعى المُطْلَق والداعى المَحْصُور) ثم رُتْبَة المَأْذُون وتَشمَل أيضا ثلاث رتب (المُطْلَق والمَحْصُور والمَحْدُود) ثم رتبة المُكَاسِر وهى أقل مراتب الدعوة . ويلى ذلك رُتْبَتَان لا نستطيع أن نُدْخِلَهُما تمامًا فى ديوان الدعوة هما رتبتا المُؤْمِن البَالِغ والمُؤْمن المُسْتَجِيب . ويُلاحَظ أن المأذون المَحْصُور هو عادة المُكَاسِر ويُطْلَق عليه أيضا المأْذُون المحدود وهى مراتب غير مُنْفَصلَة فى الحقيقة [1] .

ولم يكن فى اليمن إمامٌ أو بابٌ وإنما كان الصليحى داعيًا . مع ملاحظة أنه أشْرَف على دعوة اليمن قُوَّتَان فى وقتٍ واحد : قوةٌ دينية أشْرَفَت على الدعوة ، وقوة سياسية دَافَعَت عنها . فكان الصليحى داعيًا وسلطانًا فى الوقت نفسه ، بينما كان ابنه المكرم داعى سَيْف يعاونه دَاعِى قَلَم هو القاضى لَمَك

= الأفكار ٤٧ و – ٤٧ ظ ، قطب بن سليمان : منتزع الأخبار ٥ .

[1] الكِرْمَانى : رَاحَةُ العَقْل (تحقيق محمد كامل حسين ، محمد عبد الهادى شعيرة ــ القاهرة ١٩٥٣) ١٣٥ ، الحامدى : كَنْزُ الوَلَد (تحقيق مصطفى غالب ، بيروت ١٩٧١) ١٦٣ – ١٦٤ و زَهْر بَذْر الحقائق (منتخبات إسماعيلية ، تحقيق عادل العوَّا – دمشق ١٩٥٨) ١٦٧ و ١٦٩ ، Hamdani, A., « Evolution of organisational Structure of the Fatimid Da'wah ...... » *Arabian Studies* III (1976), pp. 95, 111 - 112 .

ابن مَالِك . فلمَّا تولَّت السيدة الحرة رَفَعها الإمام المستنصر إلى مراتب الحجج فأصْبَحَت بذلك رأس الدعوة فى الجزيرة اليمنية وتُشْرف على الدعاة المُنْضَافِين إلى أعْمَالِهَا . ولكن نظرًا لكونها امرأة فقد كانت فى حَاجَةٍ إلى معاونين يعاونُونَها فى نَشْر الدعوة وفى تَأْمِين الدولة . ففى الناحية الدينية عَاوَنَها القاضى لَمَك بن مالك الذى أصبح يشغل رتبة داعى بَلاغ ، وبَعْد وفاته خَلَفَه فى رُتْبَتِه ولَدُه يحيى بن لَمَك ثم الداعى الذُؤَيْب بن موسى الوَادِعِى . أما من الناحية السياسية فقد عَاوَنَها سلسلة من الرجال تَوَقَّف بعض المؤرخين مثل عمارة اليمنى [(١)] ومن نَقَلُوا عنه فى تحديد حقيقة المناصب التى كانوا يَشْغَلونَها وإن كان يَحْسُن أن يُطْلَق عليهم لقب أمير أو سُلْطان . كان أولهم السلطان أبو حِمْيَر سبأ بن أحمد ومعه السلطان عامر بن سليمان الزَّواحِى - ولم نتحقَّق بعد من حقيقة عمل هذا الأخير ! - ثم خَلَفَهُما الأمير المُفَضَّل بن أبى البركات الحِمْيَرى ، وبَعْده الأمير أسْعَد بن أبى الفتوح الحميرى ، ثم على بن نجيب الدولة - الذى لقَّبه عمارة بالداعى - [(٢)] ثم على بن عبد الله الصُّلَيْحى .

وبعد وفاة الخليفة الآمر وقيام السيدة الحرة برفْض خلافة الحافظ وتولِّيها الإشراف على الدعوة الطيبية ونَشْرها ، رأت ضرورة الفَصْل بين وظائف الدولة ووَظَائِف الدعوة فأوْكَلت أمر الإشراف على الدعوة إلى الداعى الذؤيب بن موسى الذى استعان بدَوْرِه بالسلطان الخَطَّاب كمُدَافعٍ عن الدعوة وقد قام بدورٍ كبيرٍ فى مواجهة النجَاحِيين فى زَبِيد والأشراف السليمانيين فى الشمال .

وانفصلت الدعوة اليمنية نهائيًّا عن الخلافة الفاطمية فى مصر بعد تولِّى الحافظ للخلافة . وتولَّت الإشراف على الدعوة للإمام الطيب ، واستحدثت اصطلاح

---

(١) عمارة : تاريخ اليمن ١٢٧ .
(٢) المصدر نفسه ١٢٧ .

الداعى المُطْلَق للدلالة على رئيس الدعوة الطيبية ، وأصبح الداعى الذُؤَيْب ابن مُوسَى أول سلسلة الدعاة المطلقين [١] .

ونجد استخدام اصْطِلاح الداعى المُطْلَق فى المؤلفات الإسماعيلية المتقدمة مثل كتاب « الفَرَائِض وحدود الدين » لجَعْفَر بن منصور اليمن ، ولكن يجب أن نلاحظ أن تَفْسير هذا المصطلح فى هذا العصر المتقدم كان مختلفًا تمامًا عما قَصَده رؤساء الدعوة الطيبية ، كما أنها كانت حتى عند بداية الخلافة الفاطمية قد اختفت ولم يشتق منها أى رتبة معيّنة فى مراتب الدعوة [٢] .

وبسقوط دولة الصليحيين بعد وَفَاة السيدة الحرة سنة ٥٣٢ / ١١٣٨ أصْبَحت الدعوة مُنَظَّمة دينية مَحْضَة وفَقَدَت قوتَّها السياسية ، وكان عليها أن تقاوم مُقَاوَمة شديدة لتَحْفَظ بقاءها ذاته [٣] . فاستحدث الداعى الذؤيب – الذى أصبح الآن رأس الدعوة الطيبية – رتبتى المأذون المُطْلَق والمأذون المَحْصُور (المُكَاسِر) ليكونا فى معاونته « لأنه إذا غاب الإمام ووُجِد من حدود الدين : المأذون المَحْصُور ، والمأذون المُطْلَق ، والداعى المُطْلَق ، فالإمام موجود ، بوجود هؤلاء الحدود الثلاثة » [٤] .

ظَلَّ الداعى الذؤيب يرأس الدعوة الطيبية كأول داعٍ مطلق يعاونه إبراهيم ابن الحسين الحَامِدِى فى رتبة المأْذُونِيَّة – فى مقَرّه بمدينة حُوث – [٥] إلى أن توفى فى سنة ٥٤٦ / ١١٥١ [٦] . فقام بأمرِ الدعوة بَعْدَه بنصٍّ منه الداعى

---

(١) Hamdani, A., *Oriens* 23 - 24 (1970 - 71) p. 272 .

(٢) Hamdani, A., *Arabian Studies* II (1976), pp. 89, 106 - 107; *op. cit.*, p. 275

(٣) Hamdani, H., *JRAS* (1932), p. 135; *BSOS* VII - VIII (1933 - 35), p. 308

(٤) الحامدى : كنز الولد ٢٧٦ .

(٥) عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٩٥ و .

(٦) قطب بن سليمان : منتزع الأخبار ٥ .

إبراهيم بن الحسين الحَامِدى [١] الذى أَقَام فى رُتْبَة المأذونية على بن الحسين ابن أحمد الوَلِيد الذى لم يَلْبث أن توفى فى رمضان سنة ٥٥٤ / ١١٥٩ فأقام مكَانَه محمد بن طَاهِر الحَارِثى [٢] . ولما توفى الداعى إبراهيم بن الحسين الحَامِدى فى شعبان سنة ٥٥٧ / ١١٦٢ نصّ على ابنه حاتم بن إبراهيم ليقوم بأمر الدعوة الطيبية بَعْدَه فقام بها يعَاوِنُه فى رُتْبَة المأذون المُطْلَق محمد بن طاهر الحارثى وفى رتبة المأذون المَحْصُور على بن محمد بن الوليد المعروف بوالد الجميع ، وعند وفاة الداعى حاتم فى سنة ٥٩٦ / ١٢٠٠ م نصّ على ابنه على ابن حاتم[٣] .

هكذا أصْبَحَت الدعوة الطيبية منظمة دينية مَحْضَة ، ولجأت إلى التستر ، خاصة بعد أن سَيْطَر على اليمن على بن مَهْدِى ، الذى ظَلَّت له السطوة إلى أن فتح اليمن تورانشاه الأيوبى وأصْبَح المذهب السنى هو المذهب الغالب على اليمن وخَاصَّة فيما يُعْرَف باليمن الأسفل [٤] . ويُلَاحظ أنه لم ينجح كثير ممن تولوا رُتْبة المأذونية فى الوصول إلى رُتْبَة الداعى المُطْلَق مثل السلطان الخطَّاب ومحمد بن طاهر الحارثى وعلى بن الحسين بن أحمد بن الوليد ، بينما نَجَح كل أفراد أسرة الحَامِدِى فى الوصول إلى رُتْبَة الداعى المُطْلَق ، كذلك نَجَح على ابن محمد بن الوليد فى تولى رتبة الداعى المطلق فى سنة ٦٠٥ / ١٢٠٩ بعد وفاة على بن حاتم الحَامِدِى .

---

[١] الحامدى : تحفة القلوب 236 .Oriens IV (1951), p) .

[٢] الحامدى : تحفة القلوب 237 .p قطب بن سليمان : منتزع الأخبار ٥ - ٦ .

[٣] الحامدى : تحفة القلوب 238 .Oriens IV (1951) p) .

[٤] انظر أعلاه ص ٧٣ و ٨٨ .

أدبُ الدَعوة الطيبيّة

كانت فترات السَتْر فى تاريخ الدعوة الإسماعيلية دائمًا ما تَذْخَر بالإنْتاج الأدبى للدعاة وُعَلَماء الدعوة [١] ، فشَهدت الدعوة اليمنية بعد وفاة السيدة الحرة إنتاجًا أدبيا كبيرًا ، وقامَت بصراعٍ مرير لحفظ وحمايةِ التراث الإسماعيلى المُبَكّر الذى آل إليها ، وقد أَطْلَق إيفانوف على إنتاج هذه الفترة « أدبُ الدَعْوَةِ اليمنية الجديدة » [٢] .

وقبل أن نخوضَ فى ذِكْر أهم مؤلفى الدعوة الطيبية ومؤلفاتهم يجب أن نُشير إلى تأثّر أدب الدعوة الطيبية بمجموعةٍ من الرسائل الفلسفية الشهيرة هى « رسائل إخْوَان الصَّفَا » ، التى كان لها اهتمامٌ بالغٌ لديهم وأمْعَنُوا فى مُطَالعَتِها حتى صَارت عندهم « قرآن الأئمة » بينما القرآن هو « قرآن الأمة » [٣] . وقد أَخْرَج منها الأدب الإسماعيلى فى اليمن عِدَّة أفكار هَامة تَنَاوَلَها بالتعليق والتحقيق علماءُ الدعوة . كذلك فإن أَغْلَب الاصطلاحات الشائعة فى هذا الأدب مثل (دَعْوَة ، داعى ، نَامُوس ، كَشْف ، سَتْر ...) مأخوذة من هذه الرسائل ، رغم أنها وُجِدَت فى كتابات الدعاة الإسماعيليين فى فترة الظهور ، وذلك لأن تأثير الرسائل فى أدب الدعوة اليمنية كان أكثرَ من تأثير الكتابات الأخرى ، واعتُبِرَت مِثالًا يُحْتَذى خاصة فى أسلُوبهَا الذى اتّبَعه الدعاة اليمنيون

---

(١) انظر أعلاه ص ٩٩ .

(٢) Ivanow, *Ism. Lit.*, p. 51 وانظر قائمة بأسمائهم ومؤلفاتهم عند Poonawala, *Bibli. of Ism. Lit.* pp. 133 - 183

(٣) Hamdani, H., « Rasā'il Ikhwàn as - ṣāfā in the Literature of the Ismā'ili Ṭayyibī Da'wat » *Der Islam* XX (1932) p. 291 ، حسين همدانى : بَحْث تاريخى فى رسائل إخوان الصفا وعَقَائِد الإسماعيلية فيها (بومباى ١٩٣٥) ١٤ .

فى تآليفهم [١] . ويَجب أن نلاحظ أن هذه « الرسائل » لم تُذْكَر إطلاقا فى آداب الدعوة التى كُتِبَت فى فترة الخلافة الفاطمية [٢] .

وأَكثرُ أقسام « الرسائل » اتصالا بأدب الدعوة الطيبية « الرسَالَة الجَامِعَة » والتى سُميت بذلك لأنها تَشْرَح وتعرض بطريقة موجزة أُسُس الرسائل ومَضْمُونها [٣] . وكان كازانوفا Casanova قد وَجَد نسخة مفقودة الصفحات الأولى من هذه الرسالة بالمكتبة الأهلية بباريس سنة ١٨٩٨ م [٤] وذَكَر أن فلسفة الإسماعيلية جميعها مبْثُوثة فى رسائل إخوان الصَّفَا ، وأنه يَعْتَقد وجودَ صِلَة بين فلسفة إخْوَان الصفا من جِهَة وعقائد الإسماعيلية من جِهَة أخرى [٥] .

ويُعَدّ الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ / ١١٦٢ – الداعى المطلق الثانى فى الدعوة الطيبية – أول من أشار إلى الرسائل فى الأدب اليمنى وخاصة « الرسالة الجَامِعَة » فى كتابه « كَنْز الوَلَد » وهو لا يُشِير إلى أنها من تأليف الحَكِيم المَجْرِيطى الذى تُنْسَب إليه الرسالة عادة [٦] ، وإنما عَدّها من جُمْلَة الرسائل وعندما يَنْقُل عنها يقول : « قال الشخص الفاضل صاحب الرسائل » [٧] . وقام الداعى حاتم بن إبراهيم المتوفى سنة

---

(١) Hamdani, H., *op. cit.*, p. 292 .

(٢) *Ibid.*, p. 294 .

(٣) Hamdani, H., *op. cit.*, p. 285

(٤) Casanova, P., « Notice sur un manuscrit de la Secte des Assassins », *JA*, XI (1898), pp. 151 - 159 .

(٥) همدانى : المرجع السابق ١٠ ، ونُشِرَت الرسالة مرتين الأولى سنة ١٩٥١ بتحقيق جَمِيل صَلِيبَا فى مجلدين (مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق) ونسبها للحكيم المجريطى . والثانية سنة ١٩٧٤ بتحقيق مصطفى غالب (دار صادر – بيروت) ونَسَبَها إلى الإمام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق .

(٦) همدانى : المرجع السابق ١١ .

(٧) الحامدى : كنز الولد ٢ ، ٤٤ ، ٧٦ ، ١٧٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ .

٥٩٦ / ١٢٠٠ - الداعى المطلق الثالث ـ بإيراد الرسالتين الثالثة والرابعة من الجزء الرابع من « الرسائل » بإسْهَاب فى كتابه « تَنْبِيه الغَافِلين » ، كما قام مأذُونُه محمد بن طاهر الحَارِثى المتوفى سنة ٥٨٤ / ١١٨٧ بالاقتباس بالرسائل فى كتابه « الأنوار اللطيفة » ، كذلك فَعَل الداعى المطلق الخامس على بن محمد بن الوَليد المعروف بَوالِدِ الجميع المتوفى سنة ٦١٢ / ١٢١٥ فى كتابه « دَامِغ الباطل ومَجَالِس النُصْح والبَيَان » [١] .

وظَلَّت الرسائل منذ قيام الدعوة الطيبية وحتى أيام الداعى المُطْلَق التاسع عَشَر عماد الدين إدريس المتوفى سنة ٨٧٢ / ١٤٦٧ وفيما بعد ذلك أيضا ، تُنَاقَش وتُدْرَس على نطاقٍ واسعٍ فى أَدَبِ الدعوة الطيبية [٢] .

عقيدة الفاطميين فى التأويل

تُعَدّ مؤلفات الإسماعيليين فى التاريخ قليلةً بالنسبة لمؤلفاتهم فى الفلسفة وعَقَائِد الدعوة ، لذلك لابد من الإشارة بإيجاز إلى نَظَرية « المَثَل والمَمْثُول » التى تُعَدّ قِوَام عقيدة الفاطميين فى التأويل وفى جَمِيع مناسك الدين والتى قامت عليها مؤلفاتهم ابتداء من القاضى النعمان .

وتتلَخَّص هذه النظرية فى قَوْلِهم إن الله تعالى خَلَقَ السموات والأرض وما بينهما مَحْسُوَسة كى تدُل على مَعْقُولات وطَلَبَ إلى الخَلْق أن يتدبَّروا هذه المخلوقات ليستَدِلُّوا بها على دينه ، وبدينه على وَحْدَانِيّته [٣] ، فقال لهم ﴿ وفى

---

(١) Poonawala, I., *op. cit.*, p. 159; Hamdani, H., *op. cit.*, p. 292 وفيه العنوان « دامغ الباطل وحتف المناضل » .

(٢) Hamdani, H., *op. cit.*, p. 292

(٣) محمد كامل حسين : « نظرية المَثَل والممثول وأثرها فى شعر مصر الفاطمية » (النصّ العربى للبحث الذى ألقى فى مؤتمر المستشرقين الحادى والعشرين المنعقد فى باريس فى جلسة ٢٩ يولية ١٩٣٨ م) ٣ .

الأرض آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ وفى أنفُسِكم أفَلَا تُبْصِرُون ﴾[١] ، أى أنها دعوةٌ لاستخدام العَقْل فى الموازنة بين الخَلْق والدين ، وتفسير الأمور العَقْلية غير المحسوسة بما يُقَابلها ويُمَاثلها من الأمور الجسمانية المحسوسة ، بمعنى استخلاص الباطن من الظَاهر [٢]. وخير دليل على نظرية « المَثَل والمَمْثُول » كتاب « رَاحَة العقل » للداعى أحمد حَمِيد الدين الكِرْمَانى ، فهو تطبيقٌ لهذه النظرية [٣].

علماء الدعوة الطيبية ومؤلفاتهم

لن نستطيع فى هذا المَوْضع أن نَذْكُر كافة تآليف علماء الدعوة الطيبية ، وإنما يَكْفِى فقط أن نُشير إلى أهمها ، وخاصة المؤلفات التى ظَلَّت تُدَرَّس فى اليمن والهند [٤] .

ويأتى فى مُقَدِّمة هذه المؤلفات ، ما كَتَبَه الداعى الذؤيب بن موسى الوادعى الداعى المطلق الأول ، المتوفى فى العاشر من المحرم سنة ٥٤٦ / ٢٩ أبريل سنة ١١٥١ [٥] وله رسالتان لا يَبْدو أن فيهما جديدًا فى آداب الدعوة الأولى « رِسَالة النفس » تتضمن آراء إسكندر الأفروديسِّى التى تَتَّفق مع مسائل الدعوة الحقيقية [٦] ، والثانية « رسالة الدَرَج فى معرفة الموجودات » أوْرَدَها الداعى محمد بن طاهر الحَارِثى فى كتابه « مجموع التربية » [٧] .

---

(١) الآية ٢٠ ، ٢١ سورة الذاريات .

(٢) محمد كامل حسين : المرجع السابق ٦ ، مقدمة ديوان المؤيد فى الدين ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمى : مقدمة راحة العقل لحميد الدين الكرمانى (القاهرة دار الفكر العربى ١٩٥٢ م) ١٨ .

(٤) راجع عنها ، Poonawala, I., *op. cit.*, pp. 133 - 183 .

(٥) Poonawala, I., *op. cit.*, p. 138 - 139 .

(٦) حسين الهمدانى : الصليحيون ٢٩٩ .

(٧) المرجع نفسه ٢٦٩ ، Ivanow, *op. cit.*, p. 52 .

ويبدو أن مصنَّفات تلميذِه ومساعِدِه السلطان الخطَّاب بن الحسن بن أبى الحِفَاظ الحَجُورِى المتوفى فى شهر صفر سنة ٥٣٣ هـ (أكتوبر ١١٣٨ م)[١] وهو شاعر وله ديوان منشور [٢]، كانت أكثرَ تأثيرًا وانتشارًا من مؤلفات أستاذه . ونلاحظ من خلال مؤلفاته أن عِلْم الحقائق هو أظهر فروع علوم الدعوة الفاطمية التى دَرَسها الخطَّاب وحَذِقَها ، وتأثر فيه برسائل « إخوان الصَّفَا » وكتاب « راحة العقل » للكِرْمَانى ، وفى علم التأويل تأثَّر الخطَّاب بالداعى المؤيد فى الدين الشِّيرَازِى ، ونَقَل كثيرًا عن « المجالس المؤيدية » ، وعن كتابى « سرائر النطقاء » و « أسرار النطقاء » لجَعْفَر بن مَنْصُور اليمن [٣] . وقد حَاوَل السلطان الخَطَّاب وجميع مؤلفى دور الستر بعد الإمام الطيب التوفيق بين الآراء المختلفة للدعاة السابقين ، وغَلَب على مؤلفاتهم الطابع الفلسفى التصورى ، بينما تميَّزت مؤلفات فترة الستر الأولى قبل ظهور المهدى بتغلب الطابع العقلى عليها [٤] .

ومن أهم مؤلفات السلطان الخطاب كتاب « مُنِيرة البصائر » وهو فى عشرة أبواب [٥] ويمثل اتجاه الأدب الإسماعيلى فى هذه الفترة أحْسَن تمثيل [٦] . ومن مؤلفاته أيضا كتاب « غاية المواليد » الذى صنَّفه فى أيام الإمام الطيب ويقع فى خمسة أبواب [٧] .

أما الداعى إبراهيم بن الحسين الحَامِدِى المتوفى فى ١٦ شعبان سنة ٥٥٧ /

---

[١] Poonawala, I., *op. cit.*, pp. 133 - 138 .

[٢] نشره إسماعيل قربان حسين : السلطان الخطاب – حياته وشعره (القاهرة د . ت .) .

[٣] إسماعيل قربان حسين : السلطان الخطاب ٧٠ .

[٤] إسماعيل قربان حسين : المرجع السابق ٧١ .

[٥] المرجع نفسه ٧٥ – ٧٦ ، المجدوع المصدر السابق ١٩٨ ، Ivanow, *Ismaili Literature* p. 51 .

[٦] إسماعيل قربان حسين : المرجع السابق ٧١ .

[٧] المرجع نفسه ٧٨ – ٨٠ ، Ivanow, *Ismaili Literature* p. 51 ونشر إيفانوف قسمًا من الكتاب فى كتابه *The Rise of the Fatimids* (London 1942) pp. 35 - 39 .

٣١ يولية سنة ١١٦٢ [١] فاشتهر بكتابه « كَنْز الولد » أحد أمَّهَات كتب الدعوة الطيبية ، يَقَعُ فى أربعين بابًا [٢] ، اعتمد فيه كثيرًا على عُلَمَاء الدعوة الإسماعيلية السابقين فنقل عن المؤيد فى الدين الشِّيَرازِى وحميد الدين الكِرْمَانى وغيرهما ، ونَجِد فيه أوَّل إشَارَة فى أدب الدعوة الطيبية إلى رسائل « إخْوَان الصَّفَا» وخاصة الرسالة الجامعة [٣] . ومن كُتُبِه أيضًا « تسع وتسعون مسألة وجواباتها فى الحقائق » [٤] نَقَل عنها صاحب كتاب « الأزهار » فصلًا طويلًا عن الفَوْضَى التى أعْقَبَت وفاة الإمام الآمر [٥] .

أما ابنه حَاتِم بن إبراهيم الحَامِدِى المتوفى فى ١٦ محرم سنة ٥٩٦ / ٧ نوفمبر ١١٩٩ [٦] فاشْتُهِر بكتابه فى التاريخ « تُحفة القُلُوب » [٧] الذى اهتم فيه بالتأريخ لانتقال زُعَمَاءِ الدعوة المستعلية من القاهرة إلى اليمن مع مقدمة عن الدعاة الأوائل فى اليمن ، واعْتَمَد على هذا الكتاب الداعى عمادُ الدين إدريس فى « نُزْهَة الأفكار » ، كما نَقَل نص الجزء الخاص ببداية الدعوة الطيبية الداعى الحسن بن نوح فى كتابه « الأزْهَار وَمجْمَع الأنوار » [٨] وذَكَر عباس همدانى قائمة بمؤلفاته [٩] .

---

(١) الحامدى : تحفة القلوب (مخطوطة همدانى) ٢٧٦ ، Poonawala, I., *op. cit.*, pp. 141 - 143.

(٢) Ivanow, *op. cit.*, p. 52 ونشرها مصطفى غالب (سلسلة النشرات الإسلامية ٢٤ ، بيروت ١٩٧١) .

(٣) انظر أعلاه ص ١٩٦ – ١٩٧ .

(٤) المجدوع : المصدر السابق ٣٠٤ ، Ivanow, *op. cit.*, p. 54 .

(٥) Kraus, *op. cit.*, p. 488 .

(٦) انظر Hamdani, A., « The Dā'ī Ḥātim ibn Ibrāhīm al - Ḥāmidī (D. 596 H. / 1199 A.D.) and his book Tuḥfat al - Qulūb », *Oriens* 23 - 24 (1970 - 71), pp. 279 - 283 ; Poonawala, I. *op. cit.*, pp. 151 - 155 .

(٧) انظر دراسة المصادر ص ٣١ – ٣٢ ، Hamdani, A., *op. cit.*, pp. 284 - 286 .

(٨) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١١٣ – ١١٤ .

(٩) Hamdani, A., *op. cit.*, pp. 283 - 284 .

ووَضَع المأْذُون محمد بن طاهر الحَارِثِى المتوفى فى ٧ شوال سنة ٥٨٤ / ٢٩ نوفمبر ١١٨٨ [١] نحو خمسة وعشرين مؤلفا من أهَمّها كتاب « مجموع التربية » وهو إجابته على أربع عشرة مسألة عُرِضَت عليه [٢] ، وأفْرد قِسْمًا كبيرًا منه لشرح فَقَرات غامضة من رسائل إخْوَان الصَّفَا [٣] . و « رسالة متضمنة السجل الوارد بالبشارة لمولانا » وهو فيما يختص بمعنى مصطلحى « مسلم » و « مؤمن » . والرسالة واردة من الآمر إلى السيدة الحرة عن مولد طفل فى سنة ٥٢٤ / ١١٣٠ وهو يشير فيها إلى الهداية الآمرية [٤] .

ووَضَع على بن الحسين بن الوَلِيد ، ابن عم الداعى على بن محمد بن الوَلِيد المتوفى سنة ٦١٢ / ١٢١٦ [٥] « رِسَالَة فى البحث على فرقة النزارية » متضمنة فى « مجموع التربية » لمحمد بن طاهر الحارثى [٦] ، وهى أول محاولة من الدعوة اليمنية تَتَعرَّض للفرقة النزارية .

أما الداعى على بن محمد بن الوليد المتوفى سنة ٦١٢ / ١٢١٦ فله كتاب « نِظَام الوُجُود وتَرْتِيب الحُدُود » [٧] فى أسماء الحدود الإسماعيليين فى اليمن فى وَقْته اعتمد عليه الحسن بن نوح صاحب كتاب « الأزهار » ونَقَل عنه [٨] ، كما أن له « دِيوَانَ شعر » منه نسخة فى المكتبة الهَمْدَانية جاء فى آخره حديثٌ عن بداية الدعوة الإسماعيلية فى اليمن وإثبات إمامة الطيب بن

---

(١) Poonawala, I., *op. cit.*, pp. 143 - 150 .

(٢) المجدوع : المصدر السابق ٣٠٥ .

(٣) Kraus, *op. cit.*, p. 489 .

(٤) Ivanow, *op. cit.*, p. 150; Poonawala, *op. cit.*, p. 55 .

(٥) Ivanow, *op. cit.*, p. 54 .

(٦) *Ibid*, p. 54 .

(٧) Ivanow, *op. cit.*, p. 72 .

(٨) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١٢٠ – ١٢١ .

الآمر [١] . كذلك له كتاب « دامغ الباطل وحتف المناضل » ردّ فيه على كتاب « فَضَائِح البَاطِنِيَّة » للغَزَالِى [٢] .

° ° °

وهناك نصٌّ هامٌ جاء فى كتابٍ كَتَب به الداعى طَيِّب زين الدين – الداعى الداودى الخامس والأربعين المتوفى بسُورت بالهند سنة ١٢٥٢ / ١٨٣٧ – إلى بعض عُمَّاله ذَكَر فيه ترتيب أهمية الكتب الإسماعيلية وما يَجب أن يطَّلع عليه المؤمن المستجيب والكتب التى لا يَنْبَغِى أن يُطَالِعَها إلَّا مستحقوها والكتب غير المُبَاحة إلَّا بإذن من الداعى المُطْلَق .

يقول النص « ... وأن يبتدئ (المُسْتَفِيد) أولًا (١) بكتاب المِيزَان و(٢) كتاب أَجْنَاس الأَفْعَال و (٣) كتاب الضَّرِيرى ، و (٤) كتاب الكُنُوز الخَمْسة وأشْبَاهِها مما يَقْرُب تناوله ، وتشتمل على المستفيدين فوائده ، ثم (٥) بكتاب التوراة ، و (٦) كتاب أحاديث بنى إسرائيل و (٧) كتاب الخُطَب المصطفوية ، و (٨) كتاب الأحاديث النبوية ، دون كتاب الوَصِيَّة لرسول الله ﷺ وآله فإنك لا تأذَن بقراءته لهم ، ثم (٩) بكتاب كَلِيلة ودِمْنَة ، والدواوين مثل (١٠) ديوان أمير المؤمنين علىّ عليه السلام و (١١) ديوان سيدنا المؤيد فى الدين ، و (١٢) ديوان سيدنا على بن محمد ابن الوَلِيد ، وأما (١٣) ديوان سيدنا عبد الله و (١٤) ديوان سيدنا الخَطَّاب و (١٥) ديوان سيدنا الحسين بن عامر و (١٦) ديوان الأمير تميم

---

[١] المجدوع : المصدر السابق ٤١ ، أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١٢١ .

[٢] منه نسخة فى مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء (مصورة بمعهد المخطوطات فيما لم يفهرس) .

فلا إلّا أن يكون ثم من الأذكياء من تراه أهلا لذلك فاستخرج له الإذن من عندنا ، ثم تنيله من ذلك ما رَغِب فيه ، ثم (١٧) بكتاب التذكيرات و (١٨) كتاب بلوهر و (١٩) كتاب الهمَّة و (٢٠) كتاب تنبيه الهادى ، و (٢١) كتاب الطهارات و (٢٢) المجلد الأول من الحواشى ثم (٢٣) بكتاب افتتاح الدعوة و (٢٤) كتاب المَنَاقِب والمَثَالب و (٢٥) كتاب الوَعْظ والتشويق و (٢٦) كتاب تنبيه الغافلين ثم (٢٧) بالمجلد الأول و (٢٨) الثانى من دعائم الإسلام ، والمجلد الثانى (٢٩) من الحواش والمجلد الأول (٣٠) والثانى (٣١) من مختصر الآثار وأيضا (٣٢) من المنتخبة المنظومة ومن (٣٣) كتاب الاقتصار و (٣٤) كتاب الينبوع ، ثم (٣٥) بكتاب المَجَالِس والمُسَايرات و (٣٦) كتاب السيرة المؤيدية ، و (٣٧) كتاب سيرة الأستاذ جَوْذَر و (٣٨) كتاب شرح الأخبار و (٣٩) كتاب مجالس سيدنا حاتم و (٤٠) كتاب اختلاف أصول المذاهب و (٤١) كتاب مَعَاصم الهدى و (٤٢) كتاب الأُرْجُوزَة المختارة .

وأما (٤٣) عيوُن الأخبار و (٤٤) كتاب الأزهار و (٤٥) كتاب نُزْهَة الأفكار فإنها غير مُبَاحَة لغير مستحقيها ، وهى أيضًا محتاجة إلى استخراج الإذن فيها ، وكذلك (٤٦) كتاب إخْوَان الصَّفَا وخِلَّان الوَفَا ، فإنك مفسوح فى إباحة القسمين الأول والثانى ، دون الثالث والرابع فاعلم هذا ، وقد كَتَبْنَا إليك بهذا الترتيب فى قراءة الكتب ، فابن عليه عَملك ... (و) ليس لك أن تتعرض لكتاب من الكتب التى لم نسَمِّها لك ، سواء كان الكتاب من كُتُبِ الظاهر أم من كُتُبِ الباطن ، فإنه لافَسْح لك فيما بقى من الكتب البتَّة إلَّا أن تَرْفَع إلينا فى ذلك ، ثم تعمل على ما يَرِد به الجواب إليك ... » [1] .

---

[1] Fyzee, A.A.A., « The Study of the Literature of the Fatimid Da'wa » in *Arabic and Islamic studies in Honor of H. A. R. Gibb* (Leiden 1965), pp. 246 - 248 وقارن ، الحسن بن نوح : ك . الأزهار (منتخبات إسماعيلية) ١٩١ – ١٩٦ .

علاقة اليهود بأدب الدعوة الإسماعيلية في اليمن

كانت العلاقة بين الطائفتين اليهوديتين فى مصر واليمن قائمة منذ زمن بعيد ، وخاصة فى مجال التجارة . وكان يهودُ اليمن فى العصر الفاطمى يستَفْتُون أحبار اليهود فى مصر ، فنَجِدهم يستَفْتُون العلامة السكندرى صمويل السَافَرَادى عن فتوى شرعية خاصة بسفينة يهودية غَرِقَت فى المحيط الهندى سنة ٥٤٧ / ١١٥٢ انْتُشِلَت عند عَدَن [١] . وهذا يدُلّ على أن العلاقات بين الطائفتين كانت قائمة حتى قبل « رسَالَة اليمن » التى بَعَث بها موسى بن مَيْمُون – رئيس يهود مصر – إلى يهود اليمن عن طريق تلميذه يعقوب بن ناثانئيل الفيُّومى – أحد علماء صنعاء – وذلك نحو أواخر عصر الدولة الفاطمية فى مصر أو أوائل عصر الدولة الأيوبية [٢] .

ووضع يَعْقُوب بن نَاثَانئِيل هذا كتابًا عنوانه « بُسْتَان العُقُول » ، وإن كان يُظَنّ أن مؤلفَه شخصٌ آخر وقَّع بإمضاء « الفيُّومى بن سَعْدَيَاه » ، ويُرَجَّح أنه كَتَبه حول سنة ٥٦٧ / ١١٧٢ أو بعد ذلك بقليل حين أنهى صلاح الدين الأيوبى السيطرة الاسمية للخلفاء الفاطميين فى مصر واستولى أخوه تورانشاه على اليمن نفسها [٣] .

طُبِعَ هذا الكتابُ بطابع الفرقة الإسماعيلية باستخدامه لكثيرٍ من مصطلحات الإسماعيلية فى الصفات الإلهية ، وكلها واردَة فى مؤلفات عُلماء الدعوة

---

(١) Goitein, D. S., « A Yemenite poete in Egypt on the XVI th century » *Bulletin des études Historiques Juives* I (1946). pp. 24 - 25 .

(٢) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١١٨ – ١١٩ .

(٣) Pinens, S., « Nathanaël ben al - Fayyúmi et la théologie Ismaelienne », *Bulletin des Etudes Historiques Juives* I (1946), p. 22

الإسماعيلية مثل تفسير شهادة « لا إله إلّا الله » حيث قال إنها مكتوبة من سبعة مقاطع ، رمزا لعدد الكواكب السبعة السَّيارة ، ومن اثنى عشر حرفًا رمزًا لدائرة البُرُوج [١] . كما نَجِده يحَلِّل الرقم ١٩ بأنه يتكون من ٧ و ١٢ ، يقول إن السبعة توافق النطقاء السبعة والـ ١٢ الحُجَج الاثنى عشر ، وهذه تعبيرات إسماعيلية لا تُفْهَم فى أى مدلولٍ آخر . فالنُطَقَاء توافق الرُسُل السبعة أصحاب الديانات ، والحُجَجَ اللقب الذى يحمله ممثلو الخليفة الفاطمى المشرفون على الجزائر الاثنى عَشَر [٢] . ونجد فى « بُسْتَان العقول » تأثيرَ فلاسفة آخرين يهود أو عرب وحتى من رسائل إخْوَان الصَّفَا وعلى وجه الخصوص من « الرسالة الجامعة » وهى إسماعيلية بحتة . وعلى ذلك فإنه يُمْكِنُنَا أن نعتبر كتاب البستان – إذا ما نَظَرْنا إلى مصادره النظرية – مؤَلَّفا إسماعيليًّا استمد أفكاره من الفقه الفاطمى ، مِثْله فى ذلك مثل بعض المؤلفات اليهودية الأخرى المتأثِّرة بالكلام والفلسفة الإسلامية [٣] .

وإزاء هذا التأثير الإسماعيلى فى الكتاب يجب أن نتساءل فيما إذا كان ناثانئيل يَعِيش فى اليمن فى ظِلّ حكم الصُلَيْحِيين والزُرَيْعيين ، أو فى مِصر الخُلَفَاء الفاطميين ؟

ذهب بينس إلى أنه بالتحليل المذهبى للبستان لا يمكننا أن نَحْكُم بين هذين الفَرْضين الممكنين . لأنه إذا عاش صاحب البستان فى بلدٍ حوربت فيه الدعاية الفاطمية لم يَكُن باستطاعته الاطلاع على هذه المعلومات الدقيقة فى الفقه الإسماعيلى ، فالأجْدَر أنه عَاشَ فى ظِلّ حكومة إسماعيلية ، ولكنَّها متعدِّدة الأفكار أتاحَت له فُرْصة الاطلاع على مؤلفات المذهب [٤] .

---

(١) *Ibid.*, p. 17 .

(٢) *Ibid.*, p. 18 .

(٣) *Ibid.*, p. 19 .

(٤) Pines, S., *op. cit.*, pp. 21 - 22 .

ولكن ما هو تأثير هذا الكتاب على اليهود الخاضعين للنفوذ الإسماعيلى ؟ يُرَجَّح أن فكرة التقريب بين الأديان السائدة فى هذا الكتاب شَجَّعت يهودَ اليمن المضْطَهدين – فى رأى بينس – كما تدل على ذلك « رسالة اليمن » على تبرير اعتناقهم الدين الإسلامى فقد كان منهم من يبحث عن حُجَجٍ يمكن أن تُبَرِّر اعتناقه الحقيقى للإسلام (١) .

---

(١) *Ibid.*, p. 21 .

الباب الثالث

دول اليمن الزيدية في القرنين الخامس والسادس للهجرة

الفصل الأول

نشاط الزيدية في اليمن

حتى نهاية القرن الخامس الهجرى

أصول الزيدية

عندما خالف طَلْحَة والزبير عليًّا بن أبى طالب وأبيا إلَّا الطلب بدم عثمان ابن عفَّان ، قصدهما وقاتلهما ليفيئا إلى أمر الله ، فسُمِّى من اتبعه على ذلك « الشيعة » [١] لمشايعتهم له ؛ والمشايعة الموالاة والمناصرة [٢] .

وكانت الشيعة الذين شايعوا عليًّا على قتال طَلْحَة والزبير وعائشة ومعاوية والخوارج فى حياة علىّ ، فرقًا ثلاثًا :

فرقةٌ منهم – هم الجمهور الأعظم – يرون إمامة أبى بكر وعمر وعثمان ، إلى أن غيَّر السيرة وأحْدَث الأحداث . وفرقةٌ ثانية – أقل من أولئك عددًا – يرون الإمام بعد رسول الله ، ﷺ ، أبا بكر ثم عمر ثم عليًّا ولا يرون لعثمان إمامة [٣] . أما الفرقة الثالثة – فيسيرة العدد – يرون أن عليًّا أولى بالإمامة بعد رسول الله ، ﷺ ، وأن إمامة أبى بكر وعمر كانت من الناس على وجه الرأى والمشورة ، ويصوِّبونهم فى رأيهم ولا يخطِّئونهم إلَّا أنهم يقولون إن إمامة على كانت أَصْوَب وأَصْلَح . ولم تزل الشيعة على هذه الأقوال الثلاثة إلى أن قتل الحسين بن على ، رضى الله عنه ، سنة ٦١ / ٦٨٠ [٤] .

---

[١] ابن النديم : الفهرست ٢٤٩ .

[٢] نشوان الحميرى : الحور العين ١٧٨ .

[٣] قال نشوان الحميرى : « حكى الجاحظ أنه كان فى الصدر الأول لا يسمى شيعيًّا إلاَّ من قدَّم عليًّا على عثمان ، ولذلك قيل شيعى وعثمانى ، فالشيعى من قدّم عليًّا على عثمان ، والعثمانى من قدّم عثمان على علىّ » . (الحور العين ١٨٠) .

[٤] نشوان الحميرى : الحور العين ١٨٠ – ١٨١ .

وكان لمعركة صِفِّين [١] ، التى دارت بين أنصار على وأهل الشام بقيادة معاوية بن أبى سفيان ، نتائج بالغة الخطورة ، فقد أدَّت إلى انشقاق طائفة القُرَّاء الذين بلغوا نحو اثنى ألف رجل على علىٍّ احتجاجًا على نتيجة التحكيم مطالبين بأن « لا حُكْمَ إلَّا لله » وعُرِفوا فى التاريخ باسم « الخوارج » أو « الحَرُورية » [٢] . فقد تمكَّن معاوية وأصحابه خلال معركة صِفِّين من ابتداع حيلة حربية بارعة عدَّها أوجست ميلر A. Müller « من أشْنَع المهازل وأسوئها فى التاريخ البشرى » [٣] فقد حوَّلت المنتصر عن نصره وكانت بداية لصراعات لم تنتـه إلى اليوم بين شيعة على والخوارج من جهة وبينهم وبين سائر المسلمين الذين اغتصبوا ، فى رأيهم ، حكم العالم الإسلامى منهم .

وقد خيَّب الحسن بن على بن أبى طالب آمال أنصار أبيه بالطريقة التى تنازل بها عن الخلافة ، وبعد وفاته فى سنة ٤٩ هـ توجَّهت أنظارهم إلى أخيه الأصغر الحسين الذى انتهت حياته بطريقة مأسوية بعد أن تخلى عنه أغلب أصحابه وقتله شَمَّر بن ذى الجَوْشَنْ فى عاشر المحرم سنة ٦١ هـ[٤] .

---

(١) عن معركة صفين راجع كتاب نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، نشره عبد السلام هارون فى القاهرة سنة ١٩٦٣ وراجع رواية أبى مخنف لوط بن يحيى التى أوردها الطبرى فى تاريخه ٥ : ٥ -- ٩٣ .

(٢) راجع فلهوزن : تاريخ الدولة العربية (ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة - القاهرة ١٩٦٨) ٧٠ - ١٠٦ وأحزاب المعارضة الدينية فى صدر الإسلام : الخوارج والشيعة (ترجمة عبد الرحمن بدوى - الكويت ١٩٧٦) .

(٣) ميلر فى كتاب جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام القاهرة ١٩٤٦ ، ١٧٠ .

(٤) راجع كتاب فلهوزن : الخوارج والشيعة وكتب التاريخ العامة .

ثورة الإمام زيد
ونشأة الفرقة الزيدية

ظل الشيعة يناصبون بنى أمية العداء منذ مقتل الإمام الحسين بن على ، ويَتَحيَّنون الظروف للخروج عليهم ، فشهدت الكوفة بعض الحركات الشيعية وإن لم يَقُدْها أفراد ينتمون إلى الأسرة الهاشمية ، مثل حركة المُخْتَار بن أبى عُبَيْد الثَّقَفِى المعروفة بالكَيْسَانية والتى دَعَت إلى محمد بن الحنفية [١] ، والتى قضى عليها الأمويون ، فساد الهدوء النسبى العراق والكوفة بعض الوقت إلى أن قام زَيْد بن على بثورته فى وقت خلافة هشام بن عبد الملك ، فكان بذلك أول هاشمى يقود بنفسه ثورة ضد الأمويين ، طلبًا للخلافة ، منذ كارثة كربلاء سنة ٦١ / ٦٨٠ التى راح ضحيتها جده الحُسَيْن بن على .

وهو زَيْدٌ بن على بن الحُسَيْن ، بن على بن أبى طالب ، يُكْنَى أبا الحسين [٢] .

---

[١] انظر بتفصيل عنها كتاب وداد القاضى : الكيسانية فى التاريخ والأدب (بيروت – دار الثقافة ١٩٧٤) .

[٢] ترجمته عند ، ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٢٥ – ٢٦ ، البخارى : التاريخ الكبير ٢ : ٤٠٣ ، اليعقوبى : تاريخ ٣ : ٦٥ – ٦٦ ، الطبرى : التاريخ ٧ : ١٦٠ – ١٧٣ ، أبو الفرج : مقاتل الطالبيين ١٢٧ – ١٥١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٥٦ ، الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ٣٠٩ – ٣١٢ ، أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال (القاهرة ١٩٦٠) ٣٤٤ ، ابن قتيبة : المعارف (تحقيق ثروت عكاشة) ٢١٦ ، البلخى : المقالات ١٢ ظ – ١٣ و ، المسعودى : مروج الذهب ٤ : ٤١ – ٤٥ ، القاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٣٩ (وعنه ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ١٧) ، أبو العباس أحمد بن إبراهيم : المصابيح (مخطوطة التيمورية رقم ٢٣٤٠ تاريخ) ١١٣ – ١١٩ ، الناطق بالحق : الإفادة فى تاريخ الأئمة السادة (مخطوطة برلين رقم ٩٦٦٥) ١٣ و – ١٤ و ، حميد المحلى : الحدائق الوردية (مخطوطة المتحف البريطانى رقم ٥٣٣) ١ : ١٢٢ – ١٣٧ ، مجهول المؤلف : العيون والحدائق ٣ : ٩٢ – ١٠٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ١٢٢ – ١٢٣ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ت ٢ : ٣٥ – ٣٨ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣ : ٤١٩ – ٤٢٠ ، ابن بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٥ – ٢٥ ، Strothman, *EI²*., art. *Zaid b. ʿAlī IV*, pp. 1260 - 61, Sezgin, *GAS* I. pp. 556 - 560, Montgomery Watt, W., « Shiʿism under the Umayyads », *JRAS* (1960) pp.

ولد سنة ٨٠ / ٦٩٨ ولن أعْرِض لنشأته الأولى وحياته [١] ، فالذى يهمنا فى هذا الموضع الإشارة إلى بداية ظهوره على المسرح السياسى وسبب خروجه على الأمويين . وتفصيل ذلك أن خالدَ بن عبد الله القسرى ادَّعى مالًا قِبَل زيد بن على وبعض أصحابه فكتب فيهم يوسف بن عمر بن محمد بن الحَكَم - عامل هشام على العراق - إلى هشام ، فبعث إليهم واستقدمهم وذكر لهم ما كَتَب به يوسف فأنكروا . فبعث بهم هشام إلى يوسف ليجمع بينهم وبين خالد القسرى ، فلمّا قدموا عليه واجههم بخالد فنفى أن له مالًا قبلهم فكتب يوسف إلى الخليفة يُعْلمه بذلك ، فأجابه بأن يستحلفهم على ذلك ويُخلّى سبيلهم [٢] .

أقام زيد بعد خروجه من عند يوسف بالكوفة أيامًا ، فأخذ يوسف يُلِح عليه بالخروج حتى خَرَج وأتى القادسية فلحقته شيعة الكوفة وقالوا له أين تذهب عنّا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة ، لو أن قبيلة من قبائلهم نحو مَذْحَج أو هَمْدَان أو غيرها خرجت لأهل الشام لكفتهم ، ولم يزالوا

= 170 - 169 ، ولناجى حسن : ثورة زيد بن على (بغداد ١٩٦٦) ، وللشيخ محمد أبو زهرة : الإمام زيد ، حياته وعصره . آراؤه وفقهه (القاهرة ١٩٥٩) .

[١] عن نشأة زيد الأولى وحياته ودراسته العلمية ؛ راجع ، ناجى حسن : المرجع السابق ٢٥ - ٣٩ .

[٢] الطبرى : التاريخ ٧ : ١٦٠ - ١٦٢ ، أبو الفرج : مقاتل الطالبيين ١٣٣ - ١٣٥ .

وقد اعتمدت فى ذكر خبر زيد بن على ، عندما تختلف المصادر ، على رواية أبى مِخْنَف ، لوط ابن يحيى الذى أوْرَد وصفًا حيًا مسهبًا لتفصيلات خروج زيد وقتاله ، وهى موجودة عند الطبرى عن طريق هشام بن الكَلْبى ، وهى موجودة أيضًا عند أبى الفرج الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين بنفس الإسناد . وقد عاش أبو مِخْنَف حتى شهد سقوط خلافة الأمويين ، ويمتاز بأنه يخبرنا فى الأغلب عن فترة كان معاصرًا لها تبدأ بوقعة صفين ، ويرجع ذلك إلى أن اهتمامه اقتصر على المكان الذى كان يعيش فيه وهو العراق وعاصمته الكوفة ويلاحظ أن هوى أبى مخنف كان دائما فى جانب الشيعة على بنى أمية وفى جانب أهل العراق على أهل الشام . ومع ذلك - وكما يذكر فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ت - فإن الباحث لا يلاحظ عند أبى مِخْنَف شيئًا من الإغراض يستحق الذكر .

به حتى ردُّوه إلى الكوفة [١] . فأقبلوا يختلفون إليه ويبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل منهم [٢] فأقام بينهم ، فلما رأى ذلك ابن عمه داود بن على نصحه بأن لا يغره منهم ذلك وذَكَّره بالذى جرى على أهل بيته ليكونوا له عِبْرة ، فأخبره الشيعة بأن ابن عمه لا يحب أن يظهر هوويرى أنه أحق منه بالأمر [٣] .

لم يبال زيد بنصيحة ابن عمه وأخذ فى بث الدعاة إلى أهل الموصل والسواد وأقام بالكوفة بضعة عشر شهرًا مكث منها بالبصرة شهرين ثم عاد إلى الكوفة فأقام بها وجاء ببيعته التى يبايع عليها الناس « إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ ، وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقَسْم الفىء بين أهله بالسواء ورد الظالمين ، وإقفال المجمَّر ونصْبِ أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا ، أتبايعون على ذلك ؟ » [٤] .

فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ ، فشاع أمره بين الناس ، فانطلق سليمان بن سُراقة البَارق إلى يوسف بن عمر وأخبره خبره . فبعث يوسف يطلب زيدًا – وكان ينزل بالكوفة منازل شتى – فلم يوجد عند الرجلين اللذين قصدهما رجال يوسف فأمر بهما فلما استبان خبر زيد منهما أمَرَ فضربت أعناقهم [٥] . وكان زيد واعد أصحابه على الخروج ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢ / ٧٤٠ [٦] ولكن زيدًا اضطر أن يسارع

---

[١] الطبرى : التاريخ ٧ : ١٦٦ ، أبو الفرج : مقاتل ١٣٥ ، الناطق بالحق : الإفادة فى تاريخ الأئمة السادة (مخطوطة توبنجن رقم ٩٦٦٥) ورقة ١٣ ظ .

[٢] الطبرى : التاريخ ٧ : ١٧١ ، أبو الفرج : مقاتل ١٣٥ .

[٣] مجهول المؤلف : العيون والحدائق ٣ : ٩٥ .

[٤] الطبرى : التاريخ ٧ : ١٧٢ .

[٥] الطبرى : التاريخ ٧ : ١٨٠ ، أبو الفرج : مقاتل الطالبيين ١٣٥ .

[٦] الطبرى : التاريخ ٧ : ١٨١ ، أبو الفرج : مقاتل الطالبيين ١٣٦ ، المصابيح ١١٥ .

بخروجه قبل الأجل الذى حَدَّده بعد أن عرف يوسف بن عمر بخبره ، إلَّا أن الأمر قد فات زيدًا ، إذ أمر يوسف بجمع أهل الكوفة فى المسجد الأعظم فأتوا قبل خروج زيد ، وطلب الجند زيدا ليلة الأربعاء لسبع بقين من المحرم فى ليلة شديدة البرد . وأصبح زيد بن على فوجد كل من وافاه فى هذه الليلة مائتين وثمانية عشر رجلًا ، فقال زيد : « سبحان الله فأين الناس ؟ » قيل له هم محصورون فى المسجد . فقال : « لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر » [١] .
ودخل زيد فى معركة غير متكافئة مع أهل الشام وأبلى هو وأصحابه بلاءً عظيمًا وهزمهم فى أول الأمر ثم مضى إلى المسجد مع أصحابه يريد أن يُخَلِّص أصحابه من الحصر ، ونَصْر بن خُزَيْمة يناديهم : « ياأهل الكوفة اخرجوا من الذل إلى العِزّ وإلى الدين والدنيا » فلم يتحركوا فاضطر أن ينسحب من أمام المسجد لأن ألفين من جند الشام كانوا قد قدموا لمحاربته [٢] وقد ثبت زيد ومن معه أمام جند الشام وقتلوا منهم نحو سبعين رجلًا ، حتى إذا جنحت الشمس إلى المغيب رُمِىَ بسهم أصاب جانب جبهته اليسرى ، ولم يلبث أن قتل يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة . وله [٣] يوم قتل اثنتان وأربعون سنة [٤] . واضطر ابنه يحيى إلى الهرب إلى خراسان حيث كان أنصار أبيه يعملون لكنه لقى نفس المصير الذى لقيه أبوه سنة ١٢٥ / ٧٤٤ [٥] .

---

[١] أبو الفرج : مقاتل الطالبيين ١٣٧ ، مجهول المؤلف : العيون والحدائق ٩٨ ، الناطق بالحق : الإفادة – خ ١٣ ظ .

[٢] الطبرى : التاريخ ٧ : ١٨٤ ، أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ١٣٩ .

[٣] الطبرى : التاريخ ٧ : ١٨٥ – ١٨٦ ، أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ١٤١ ، الناطق بالحق : الإفادة ١٤ ظ (على خلاف فى تاريخ وفاته) .

[٤] ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ : ٣٢٦ ، المسعودى : مروج الذهب ٤ : ٤٣ ، أبو العباس أحمد بن إبراهيم : المصابيح ١١٧ .

[٥] اليعقوبى : التاريخ (ط . النجف) ٣ : ٦٦–٦٧ ، الطبرى : التاريخ ٧ : ٢٢٨ – ٢٣٠ ، =

وكانت نهاية زيد نهاية أئمة حقا حيث أخرجه الأمويون بعد أن حاول أصحابه إخفاء جثته وصلبوه فترة طويلة .

وكان زيد من فصحاء العرب [١] ويُعرف فى المدينة بحليف القرآن [٢] ، وقال عنه جعفر الصادق « كان والله أقرأنا لكتاب الله وأفقهنا فى دين الله وأوصلنا للرحم ، والله ما تُرك فينا لدين ولا لآخرة مثله » [٣] .

° ° °

الرافضة

أبان الجاحظ عندما قسَّم شيعة على بن أبى طالب إلى زيدية ورافضة وأنه من شذَّ على ذلك فهم بَدَدٌ لا نظام لهم [٤] وأول ما عُرف الرفض كاصطلاح يدل على الشيعة – فيما عدا الزيدية – إبّان ثورة زيد بن على ، فإنه لما خَرَج بالكوفة اجتمع إليه جماعة من رؤوس أهلها فناظروه فى أمر الشيخين أبى بكر وعمر ، وماذا يقول فيهما ؟ فأجابهم بأنه لا يقول فيهما إلَّا كَل خير ، وأنه ما سمع أحدًا من أهل بيته تبرأ منهما ، وقال : « لا أنالنى الله شفاعة جدى

= ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٥٦ ، ابن قتيبة : المعارف ٢١٦ ، الأشعرى المقالات ٦٥ – ٦٦ ، الناطق بالحق : الإفادة ١٤ ظ – ١٥ و ، أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ١٥٢ – ١٥٨ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٧ ، C. Van Arendonk, *EI.*, art. *Yaḥyā b. Zayd* IV. p. 1214 .

(١) الجاحظ : البيان والتبيين (القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٨٥) ١ : ٣٠٩ – ٣١٠ .

(٢) الناطق بالحق : الإفادة ١٣ ظ ، حميد المحلى : الحدائق الوردية ١ : ١٢٣ .

(٣) ابن بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر (وقف على طبعه أحمد عبيد ، دمشق ١٣٤٩) ٦ : ١٨ .

(٤) الجاحظ : فصل من صدر كتابه فى مقالة الزيدية والرافضة ، على هامش الكامل للمبرد (مصر ، مطبعة التقدم العلمية ١٣٢٤ هـ) ٢ : ٢٩١ ، رسالة فى بيان مذاهب الشيعة (الرسالة العاشرة ضمن مجموعة رسائل للجاحظ نشرها محمد الساسى فى القاهرة سنة ١٩٠٦ م) ١٨٧ .

إن لم أوالهما » [١] وأوضح لهم أنهما لم يكونا ظالمين لهم ولأهل البيت كالأمويين . وقال إنه إنما يدعوهم « إلى كتاب الله ليُعْمل به وإلى السنة ليُعْمَل بها وإلى البِدَع أن تطفأ ، وإلى الظَّلَمَة من بنى أمية أن تُخْلعَ وتُنْفَى ، فإن أحببتم سعدتم وإن أبيتم خسرتم ولست عليكم بوكيل » فألحّوا عليه أن يبرأ منهما وإلّا رفضوه ، فقال لهم : « إذهبوا فإنكم الرافضة » [٢] ، ففارقوه ونكثوا بيعته فغَلب عليهم هذا الاسم [٣] ، فرفضوا إمامة زيد وأرادوا مبايعة أخيه محمد الباقر بن على بن الحسين ، ولكنه كان قد توفى فى ذلك الحين ، فانصرفوا إلى ابنه جعفر بن محمد الصادق فبايعوه [٤] .

وعلى ذلك فالرافضة لا يقولون بصحَّة إمامة زيد ، إذ الأئمة عندهم الاثنا عشر وزيدٌ ليس فيهم معدودًا [٥] . وحُكِى عن زيد أنه قال : « الرافضة حربى وحرب أبى فى الدنيا والآخرة ، مَرِدَت الرافضة علينا كما مردت الخوارج على علىّ عليه السلام » [٦] .

---

[١] الطبرى : التاريخ ٧ : ١٨٠ - ١٨١ ، ابن بدران : المصدر السابق ٦ : ١٩ .

[٢] نشوان الحميرى : الحور العين ١٨٤ و ١٨٥ - ١٨٦ ، الحاكم الجشمى : شرح عيون المسائل ورقة ١٢ ظ . والرافضة من الفعل رَفَضَ ، والرفض : التَّرْك .

[٣] راجع فى هذا الموضوع الكتب التالية ، الأشعرى : مقالات الإسلاميين ١٦ - ٦٤ ، الملطى : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (القاهرة ١٩٤٩) ٢٥ و ٣١ و ١٤٨ - ١٥٦ ، الرازى : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (تحقيق على سامى النشّار ، القاهرة) ٥٢ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٦ ، الإسفراينى : التبصير فى الدين (نشره عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٥) ٣٤ ، الخياط المعتزلى : الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد (حققه نيبرج ، القاهرة ١٩٢٥) ١٣٧ - ١٣٨ و ١٤٣ و ١٥٩ - ١٦١ والفهرست ٢٣٤ - ٢٣٥ ، البغدادى : الفرق بين الفرق (القاهرة) ٢٥ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٣٥١ .

وانظر مقالة مونتجمرى وات « Montgomery Watt, W. « The Rafidites, a preliminary study » *Oriens* 16 (1963), pp. 110 - 121 .

[٤] مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣ : ٩٦ - ٩٧ .

[٥] الصفدى : الوافى بالوفيات ٤ : ١٠٢ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٦٤ ، و ٦٥ و ٦٩ .

[٦] ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣ : ٤١٩ ، ابن بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٩ .

ويذهب الرافضة إلى القول بالرَّجْعَة [١] ، وأن الإمامة لا تكون إلَّا بنص وتوقيف وأنها قرابة ، وأنه جائز للإمام فى حال التقية أن يقول إنه ليس بإمام وأبطلوا جميعًا الاجتهاد فى الأحكام ، وزعموا أن الإمام لا يكون إلَّا أفضل الناس [٢] . وغالوا فى تكفير الصحابة ، فيزعمون أن أبا بكر وعمر وعثمان وأبا عبيدة وجُلَّة المهاجرين وخيار الأنصار لم يزالوا منافقين فى حياة رسول الله ، وأنه قد نزل فى نفاقهم وعداوتهم لله ورسوله آى كثير [٣] .

الزيدية

كان السلف من أهل البيت ، قبل استقرار المذاهب ، مجتهدين مستقلين ، ويرجع بعضهم إلى بعض وإلى غيرهم من الصحابة والتابعين فى زمانهم ، وظلُّوا كذلك فترة طويلة وهم فى الأصول الدينية على قول واحد حسبما كان عليه رسول الله ﷺ ، وصحابته . وأمّا فى الفروع الفقهية فاختلفوا بحَسَب اجتهاد أئمتهم المجتهدين كزيد بن على وجعفر الصادق ومحمد الباقر . وقد أورد اجتهاداتهم هذه الإمام عز الدين محمد بن على بن الحسن فى كتابه « جامع آل محمد » المعروف « بالجامع الكافى » [٤] .

ومع قيام الإمام زيد بن على بثورته ضد الأمويين ظهرت الفرقة الزيدية من الشيعة ، وهى الفرقة السياسية الوحيدة بينهم . وسمُّوا « زيدية » نسبة إلى الإمام زيد بن على لقولهم جميعًا بإمامته وخروجهم معه بعد امتناع

---

(١) الخياط المعتزلى : الانتصار ١٣٢ .

(٢) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ١٦ - ١٧ .

(٣) الخياط المعتزلى : الانتصار ١٤٠ - ١٤١ .

(٤) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية - خ ٢و .

ومن كتاب « الجامع الكافى » نسخة فى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء (مصورة فى دار الكتب المصرية برقم ٢٣٣ ميكروفيلم) وأخرى فى الأمبروزيانا برقم C 168 .

الرافضة [١] ، وإن لم يكونوا على مذهبه فى مسائل الفروع وهم مخالفون فى ذلك للحنفية والشافعية لأنهم إنما نسبوا إلى أبى حنيفة والشافعى لمتابعتهم إياهم فى الفروع [٢] .

ويرى الزيدية أن تكون الإمامة فى أولاد فاطمة كائنًا من كان بعد أن تتوفر له شروط الإمامة [٣] . وسَار أكثر عُلَمَاء الحديث على هذا المذهب ، وكذلك قومٌ من الفقهاء المحدِّثين مثل : سفيان بن عُيَيْنَة وسفيان الثورى [٤] . لذلك عُدَّ المذهب الزيدى مذهبا خامسًا إلى جانب المذاهب الفقهية الأربعة .

وقد شاركت الزيدية فى فِتَنٍ كثيرة إلى جانب العلويين ، كما بايعوا مع المعتزلة فى سنة ١٤٥ / ٧٦٤ ، الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية [٥] . ولكنهم لم يؤلفوا قطّ جماعة متحدة إلّا بعد أن تولّى زعامتهم رجال من العلويين ممن كانوا يدَّعون الإمامة [٦] .

فرق الزيدية

يجمع مذهب الزيدية تفضيلهم الإمام عليًا على سائر الصحابة وأولويته

---

[١] انظر تسمية الزيدية عند ابن قتيبة : المعارف ٦٢٣ ، البلخى : المقالات - خ ١٤ و ، الأشعرى : مقالات الإسلاميين ٦٥ ، ابن النديم : الفهرست ٢٥٣ ، الحاكم الجشمى : العيون ٧ ظ وشرع عيون المسائل ١٢ ظ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٥ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ٢٥ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ٢ : ٣٧ ، ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٦ و ، المقريزى : الخطط ٢ : ٣٥٢ .

وذكر المسعودى (مروج الذهب ٤ : ٤٥) أنه قد أتى على السبب الذى من أجله سميت الزيدية بهذا الاسم فى كتابه « المقالات فى أصول الديانات » وهو مفقود اليوم .

[٢] ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٦ و - ٤٦ ظ .

[٣] ابن النديم : الفهرست ٢٥٣ ، الشهرستانى ، الملل والنحل ١١٥ ، وانظر فيما يلى ص ٢٢٤

[٤] ابن النديم : الفهرست ٢٥٣ .

[٥] الجندارى : تراجم الرجال المذكورين فى شرح الأزهار (القاهرة ١٣٥٧ هـ) ٣٤ .

[٦] Strothmann, R., *EI*, art. *Zaidiya IV*, p. 1264 .

بالإمامة ، وأن الإمامة بعد الإمام الحسين فى ذرية السبطين ، وأن استحقاقها إنما يثْبت بالفَضْل والطلب لا بالوراثة ، وأن الخروج على الجائرين من أهل الأمر واجب ، كذلك يرون القول بالتوحيد والعدل مثل المعتزلة [١] . فهم لا يختلفون فى هذه الأمور . أما خلافهم ففى فروع المسائل .

واختلفت الزيدية بعد ذلك فافترقوا إلى فرق اختلف المؤرخون وأصحاب كتب الملل والنحل فى عددها . فمنهم من جعلهم أربع فرق [٢] ، ومنهم من جلعهم ثمانى [٣] ، ومنهم من جعلهم ست فرق [٤] .

فافترقت الزيدية الأولى فرقًا ثلاثًا [٥] : الجَارُودِيَّة والبُتْرِيَّة (الصالحية) والجريرية (السليمانية) ، وافترق متأخرو زيدية اليمن إلى حُسَيْنية ومُخْتَرِعَة ومُطَرَّفية [٦] . بينما صار زيدية بلاد الجيل والديلم فى القرن الرابع الهجرى قاسمية [٧]

---

[١] الحاكم الجشمى : العيون ٧ ظ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٥ و ١١٧ ، ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٦ و – ٤٦ ظ .

[٢] الملطى : التنبيه والرد ٣٨ ، نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٥ – ١٥٦ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٨ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ١٩ ، وجعلهم ابن شاكر الكتبى فوات الوفيات ٢ : ٣٨ ثلاث فرق .

[٣] المسعودى : مروج الذهب ٤ : ٤٥ .

[٤] ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٦ ظ ، يحيى بن الحسين الطبقات ٢ ظ ، الأشوى : مقالات الإسلاميين ٦٦ .

[٥] نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٥ .

[٦] ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٦ ظ . ووَهم ابن المجاور حين ظنّ ان المخترعة والمطرفية هم الصالحية والجارودية . (صفة بلاد اليمن ١٨٨) .

[٧] نسبة إلى الإمام القاسم بن إبراهيم الرسِّى المتوفى سنة ٢٤٦ هـ (٨٦٠ م) وهو ينحو فيما يتعلّق بالقول فى ذات الله منحى الاعتزال . وهو المذهب الزيدى الوحيد ، الذى وسَّعَه وفَصَّله من جاؤا بعده ، والذى استمر إلى يومنا هذا . (ابن النديم : الفهرست ٢٧٤ ، الناطق بالحق : الإفادة ٢٤ ظ – ٢٩ و ، أبو العباس الحسنى : المصابيح ٢٠٩ ، حَمِيد المَحَلِّى : الحدائق الوردية ٢ : ٥٢ ، Madelung, W., *Der* Imām *al-Qāsim ibn Ibrāhīm und die Glaubenslehre der Zaiditen* (Berlin 1965); Sezgin, *GAS* I, pp. 561 - 63 .

وناصرية [١] . وكان بعض هذه الفرق بعد القرن الثانى وبعضها الآخر قبل ذلك . فالذى كان من قبل هم البُترية والجريرية ، وهو الذى كان عليه مذهب زيد بن على ويَقْرب منه ، فأما سائر الفرق فإنما حدث بعد ذلك وخالفت زيد بن على فى أصوله وفروعه ولم يوافقوه إلَّا فى النزر اليسير [٢] . وصار زيدية الجيل والديلم فى القرن الرابع الهجرى قاسمية وناصرية نسبة إلى الإمامين القاسم الرسى والناصر الأُطْروش [٣] .

وغَلَب على زيدية اليمن بعد ظهور الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين المتوفى سنة ٢٩٨ / ٩١٠ مذهبه الذى اصْطَنَعه لنفسه فى الأصول والفروع ، ثم فرَّع الزيدية بعد ذلك على مذهبه ونصوصه التى فى كتابيه « الأحكام فى الحلال والحرام » و « المنتخب فى الفقه » [٤] واستقر عليه مذهب الزيدية المتأخرين ، ولم يبق لمذهب زيد الأول فى الأصول والفروع متابع أصلًا [٥] .

أ – الجارودية

نسبة إلى أبى الجَارُود زياد بن المنذر العَبْدِى [٦] . زعم أن النبى ﷺ ،

---

(١) نسبة إلى الإمام الناصر الأُطْرُوش ، الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب المتوفى سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦) . (الصابى : المنتزع من كتاب التاجى ١٦ – ٢٧ ، الناطق بالحق : الإفادة ٣٤ ظ – ٤٠ ظ ، ابن النديم : الفهرست ٢٧٣ ، المسعودى : مروج الذهب ٧ : ٣٤٣ – ٣٤٤ و ٨ : ٢٧٩ – ٢٨٠ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٧ – ١١٨ ، حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٢٧ – ٤٠ ، Strothmann, R., *EI*, art. *al Utrūsh* IV, pp. 1117 - 1119 .

(٢) يحيى بن الحسين : الطبقات ٢ ظ .

(٣) الحاكم الجُشَمِى : العيون ٨ و .

(٤) توجد نسخة من كتاب « الأحكام » فى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم ٢٨٥ فقه الهادوية (مصورة فى دار الكتب المصرية برقم ٢٢٨ ميكروفيلم) وانظر نسخًا أخرى للكتاب وكتاب « المنتخب » عند ، Sezgin, F., *GAS* I, p. 565 .

(٥) يحيى بن الحسين : الطبقات ٢ ظ .

(٦) ابن النديم : الفهرست ٢٥٣ ، الذهبى : ميزان الاعتدال ٢ : ٩٣ – ٩٤ ، ابن المرتضى : =

نصَّ على إمامة على بالإشارة والوصف دون التسمية والتعيين ، وأنه أشار إليه ووَصَفه بالصفات التى لم توجد إلَّا فيه . وأن الأمة ضلّت وكَفَرت بصرفها الأمر إلى غيره ، فهو الإمام بعد رسول الله ﷺ ، والإمام بعده الحسن ثم الحسين بنص رسول الله ﷺ ، ثم الإمام بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص عليه ، ولكن فيمن يخرج من هذين البطنين شاهرًا سيفه داعيا إلى سبيل ربّه وكان عالمًا فاضلًا [١] .

وافترقت الجارودية فرقتين : فرقة زعمت أن النبى ﷺ ، نصّ على الحسن والحسين بعد على ليقوم واحد بعد الآخر . وفرقة زعمت أن النبى ﷺ ، نصَّ على علىّ ، وأن عليًّا نصّ على الحسن وأن الحسن نصّ على الحسين [٢] .

ب – البُتْرية (الصَّالِحية)

أصحاب الحسن بن صالح بن حىّ ، وأصحاب كُثير النوَّاء . سمُّوا بذلك لأن كُثيرًا كان يُلَقَّب بالأبتر [٣] . وذكر أبو الحسين الخياط أنهم سمُّوا بذلك لأنهم لم يجهروا ببسم الله بين السور وجهروا بها فى الفاتحة ، فقيل بتروا الجهر ،

= المنية والأمل ٤٦ و – ٤٦ ظ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٣٥٢ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ٢٣٢ ، ابن الأثير : اللباب ١ : ٢٠٣ .

[١] البلخى : المقالات ٧ و ، القاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ٢٠ ق ٢ : ١٨٤ ، الناشىء الأكبر :مسائل الإمامة ٤٢ – ٤٣ ، ابن شاكر : الفوات ٢ : ٣٨ ، نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٥ – ١٥٦ ، الحاكم الجشمى : العيون ٨ و .

[٢] البلخى : المقالات ٧ ظ ، الحاكم الجشمى : العيون ٨ و وشرح عيون المسائل ١٢ ظ ، القاضى عبد الجبار : المغنى ٢٠ ق ٢ : ١٨٤ .

وراجع ، الأشعرى : المقالات ٦٧ ، أبو الحسين الخياط : الانتصار ١٣٢ و ١٥٣ – ١٥٤ ، المسعودى : مروج الذهب ٤ : ٤٥ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٨ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ٢٢ – ٢٣ ، نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٥ – ١٥٦ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٣٥٢ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٧٢ – ٧٣ .

[٣] الأشعرى : المقالات ٦٨ ، نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٥ .

فسموا البُتْرية [١] . وفى قول آخر أنهم تسمُّوا بذلك لأنهم تبرأوا من عثمان فى الست سنين الأولى من خلافته وبتروا [٢] .

يقول البُتْرية إن عليًّا كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأولاهم بالإمامة ، وإن بيعة أبى بكر وعمر ليست بخطأ ، لأن عليًّا سلّم لهما ذلك وهذا بمنزلة رجل كان له حق على رجل فتركه له . ويتوقفون فى أمر عثمان ، ويرون تكفير من حارب عليًّا [٣] .

ويعرفون أيضا بالصالحية نسبة إلى الحسن بن صالح بن حيّ [٤] ، ويتفقون مع الجريرية السليمانية فى القول فى الإمامة [٥] ، واعتبرهم الحاكم الجشمى فرقة واحدة [٦] .

ويُكَفِّر البترية الجارودية لقولهم بتكفير أبى بكر وعمر [٧] .

جـ - الجريرية (السليمانية)

أصحاب سليمان بن جرير الرق ، أحد شيوخ الزيدية ومتكلميها وممن

---

[١] الخياط : الانتصار ، الحاكم الجشمى : العيون ٨ و وشرح العيون ١٣ و ، الناشىء الأكبر : مسائل الإمامة ٤٣ .

[٢] الناشىء الأكبر : مسائل الإمامة ٤٤ .

[٣] ابن النديم : الفهرست ٢٥٣ ، الأشعرى : المقالات ٦٨ - ٦٩ ، النوبختى : فرق الشيعة ١٨ ، القاضى عبد الجبار : المغنى ٢٠ ق ٢ : ١٨٤ - ١٨٥ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١٢٠ ، نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٥ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ٢٤ ، ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٧ و ، المقريزى : الخطط ٢ : ٣٥٢ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٥٩ .

[٤] الشهرستانى : الملل والنحل ١٢٠ - ١٢١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢ : ٢٨٥ .

[٥] الحاكم الجشمى : العيون ٧ ظ ، ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٦ ظ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٦١ .

[٦] الحاكم الجشمى : العيون ٨ و .

[٧] البغدادى : الفرق بين الفرق ٢٤ .

عاصر الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن الداعى فى بلاد المغرب [١] .
ويرى الجريرية أن الله تعالى ورسوله لم ينصا على رجل بعينه واسمه فيجعلوه إمامًا للناس ، وأن الإمامة شورى بين خيار الأمة وفضلائها يعقدونها لأصلحهم لهم ، وأنها قد تصحّ بعقد رجلين من خيار المسلمين وأنها قد تصح فى المفضول مع وجود الأفضل [٢] .

ويُثْبِت سليمان بن جرير إمامة الشيخين ويحْكُم على عثمان بالتكفير [٣] .

هذه أشهر فرق الزيدية الأوائل . واعتبر بعض المؤرخين « معتزلة بغداد » من الزيدية لأنهم كانوا مع أئمة الزيدية ، وبايعوهم ، ولقولهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، مثلما وَلّى رسول الله ﷺ ، عمرو بن العاص على فضلاء المهاجرين والأنصار فى غزوة ذات السلاسل [٤] . ولقولهم إن أفضل الأمة بعد نبيها الإمام على بتقدمه لنظرائه فى خصال الفضل والدين . فقد قال القاضى عبد الجبار إن هذا القول يقول به أكثر شيوخنا البغداديين ، وبعض البصريين [٥] .

---

(١) يحيى بن الحسين : الطبقات ٦١ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ٢٧٧ .

(٢) البلخى : المقالات ٧ ظ ، الناشئ الأكبر : مسائل الإمامة ٤٤ ، الأشعرى : المقالات ٦٨ ، القاضى عبد الجبار : المغنى ٢٠ ق ٢ : ١٨٤ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٩ — ١٢٠ ، نشوان الحميرى : الحور العين ١٤٨ و ١٥٥ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ٢٤ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٧١ — ٧٢ .

(٣) نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٥ .

(٤) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ١ : ٧ ، المسعودى : التنبيه والإشراف (ط . ليدن) ٢٣١ ، الناشئ الأكبر : مسائل الإمامة ٥٦ — ٥٨ .

(٥) نشوان : الحور العين ٢٠٥ .

شروط الإمامة عند الزيدية [*]

كان الإمام زيد يرى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل [١] . وذهب إلى ذلك أيضًا طائفة من الخوارج والمعتزلة والمرجئة وجميع أهل السنة [٢] . كذلك اشترط الإمام زيد الخروج شرطًا فى كون الإمام إمامًا ، ويرى الخوارج أيضًا هذا الشرط [٣] . وجوَّز الزيدية خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخِصَال ، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة [٤] .

وذكر الإمام زيد فى « مجموعه » أن الإمامة فى جميع قريش ، ويتَّفق معه فى هذا الرأى الفرقة « الصالحية » من الزيدية . وذهب إلى ذلك أيضًا المعتزلة بأَسْرها ، وجميع الخوارج من الإباضية إلَّا النجدات ، وذهب أبو حنيفة وأكثر المُرْجئة والزيدية من الجارودية إلى أن الإمامة لا تجوز إلَّا فى قريش فقط [٥] . أما سائر الزيدية فقالوا إنها تختص بولد الحسنين [٦] .

واشترطت الزيدية توفُّر مجموعة خِصَال فى الإمام تنحصر فى :

- أن يكون من أهل البيت دون التمييز بين أبناء الحسن وأبناء الحسين ،

---

[*] للإمام الحاكم المُحَسِّن بن كرَّامة الجُشَمى المتوفى سنة ٤٩٤ هـ (١١٠١ م) كتاب « الإمامة على مذهب الزيدية الهادوية » وهو مفقود اليوم . وفى مكتبة الأمبروزيانا بميلانو تحت رقم A 23 مخطوط لأبى الحسن شاه ساريجان بعنوان « المحيط بأصول الإمامة على مذهب الزيدية » لم أتمكن من الاطلاع عليه ، وللناصر الأطروش كتاب الحجج الواضحة بالدلائل الراجحة فى الإمامة على طريقة الزيدية (حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٢٨) .

[١] الجاحظ : رسالة فى بيان مذاهب الشيعة ١٨٢ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٦ ، ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ٢ : ٣٧ .

[٢] ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل (مصر ١٣٢١) ٤ : ١٦٣ .

[٣] الحاكم الجشمى : العيون ٧ ظ ، الأشعرى : مقالات الإسلاميين ٧٤ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٧ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ٤٥ ، ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٦ و .

[٤] الشهرستانى : الملل والنحل ١١٥ .

[٥] المسعودى : مروج الذهب ٤ : ٦٠ - ٦١ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٦٨ .

[٦] يحيى بن الحسين : الطبقات ٦٨ .

وبالتالى فلا يخلف إمام إمامًا بالوراثة .

– أن يكون قادرًا على الخروج للقتال بنفسه ، بحيث لا يلى الإمامة صبى ولا مهدى غائب .

– أن يكون على ما يقتضيه مذهب الإمامة من العِلْم . وقد أخذ الزيدية ذلك مأخذ الجد بدليل الكثرة الهائلة من الكتب التى أَلَّفها أئمة الزيدية فى جميع الفروع [١] .

– أن يكون زاهدًا ، وزاد بعضهم أن يكون صبوح الوجه وليس به آفة [٢] .

ويرى الزيدية أنه لا يمكن أن يكون « زمان بلا إمام » ، وإلى جواز وجود أئمة كثيرين فى زمان واحد يعارض بعضهم الآخر [٣] .

وعدم توفر كل شروط الإمامة يمنع من الاعتراف للإمام بالإمامة الكاملة . وفى هذه الحالة استحدثت الزيدية اصطلاح « إمام فى الحرب » أو « إمام فى العلم » . أما الرؤساء الذين لا تتعدَّى مقدرتهم المحافظة على حياة الدعوة الزيدية فقد سمى الواحد منهم : داعيًا أو مُحْتَسبًا أو مُقْتَصدًا [٤] .

* * *

ويتَّصل المذهب الزيدى اتصالًا وثيقًا بمذهبين شهيرين . ففى الأصول (العقائد) يُعد مذهب المعتزلة أكثر المذاهب اتصالًا بمذهب الزيدية ، وفى الفروع (الفقه) كان الزيدية على مذهب أبى حنيفة إلَّا فى مسائل قليلة وافقوا فيها الشافعى .

---

(١) Strothmann, R., *EI.* art. *Zaidiya* IV, p. 1264 .

(٢) المقريزى : الخطط ٢ : ٣٥٢ .

(٣) Strothmann, R., *op. cit.*, IV, p. 1264 .

(٤) *Ibid*, IV, p. 1264 .

فقد كان زيد بن على تلميذًا لواصل بن عطاء رأس المعتزلة وأخذ عنه مذهبه وصار جميع أصحابه معتزلة فى الأصول . ولم يخالف زيد المعتزلة إلَّا فى مسألة المنزلة بين المنزلتين [١] وكان كثير من معتزلة بغداد ينتسبون إلى زيد فى كتبهم ويقولون : نحن زيدية [٢] . ويمكن أن نلاحظ أن كتب العقائد الزيدية كأنها من مؤلفات المعتزلة لأنها تنقسم إلى قسمين كبيرين يندرج تحت أحدهما أبواب الوحدانية ويندرج تحت القسم الآخر أبواب العدل [٣] . كذلك فقد شرح القاضى عبد الجبار بن أحمد المتوفى سنة ٤١٥ / ١٠٢٥وأحد شيوخ المعتزلة البغداديين ، كتاب « الأصول الخمسة » للإمام القاسم الرسى المتوفى سنة ٢٤٦ / ٨٦٠ – وهو أقدم كتاب فى عقائد الزيدية [٤] .

وأقرب المذاهب الفقهية إلى مذهب زيد مذهب الإمام أبى حنيفة فكان الزيدية فى مسائل الفروع على مذهب أبى حنيفة ، إلَّا فى مسائل قليلة وافقوا فيها الشافعى [٥] .

فقد كان الإمام أبو حنيفة من الفقهاء الذين اختلفوا إلى زيد بن على وأخذوا عنه ، كما أعانه بمالٍ كثير [٦] . وعدّ مؤرخو الزيدية الإمام أبا حنيفة من رجالهم ، كما صرَّح أئمتهم أن نصوص أبى حنيفة من نصوصهم [٧] . وكان

---

[١] البلخى : المقالات ٦٤ ، القاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٣٩ ، الحاكم الجشمى : العيون ٨ و ، ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ٣٣ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٦ .

[٢] نشوان الحميرى : الحور العين ١٨٦ .

[٣] جولدتسيهر : العقيدة والشريعة ١٩٩ .

[٤] وصل إلينا هذا الشرح مع حاشية للسيد مانكديم قوام الدين أحمد بن عمر شيشديو المتوفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٦١ م) بالرى . (Brock, *GAL S* I, p. 315) ونشره الدكتور عبد الكريم العثمان (القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٦٥) .

[٥] الشهرستانى : الملل والنحل ١٢١ .

[٦] الناطق بالحق . الإفادة ١٣ و ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ٢٨٦ . وراجع مناقشة لقاء الإمام زيد بالإمام أبى حنيفة عند محمد أبو زهرة : الإمام زيد ٢٢٧ – ٢٢٨ .

[٧] ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ١٠١ .

جماعة من فقهاء أصحاب أبى حنيفة وغيرهم يقولون إن محمد بن الحسن الشَّيْبانى نقل أكثر مسائل « السِّيَر » عن كتاب « السِّيَر » للإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية [1] .

وتستَّر كثيرٌ من رجال الزيدية المنتشرين فى أمصار السنة بمذهب أبى حنيفة ، فكان عمر بن إبراهيم الزيدى ، مفتى الكوفة ، يقول : « أُفْتى بمذهب أبى حنيفة ظاهرًا ، وبمذهب زيد تدينًا » [2] .

وقد ذكر أصحاب كتب التراجم الزيدية بعض رجال الحنفية فى كتبهم لأنهم رووا عن زيد بن على [3] .

وفى الوقت نفسه كان كثير من رجال المعتزلة حنفية فى الفروع [4] ، فكان المُحَسِّن بن كرَّامة المعروف بالحاكم الجُشَمِى حنفى المذهب عدلى الاعتقاد ثم رجع إلى مذهب الزيدية [5] .

الدولة الزيدية فى اليمن

يكاد تاريخ اليمن الزيدية يُعَد من النواحى المجهولة فى التاريخ الإسلامى ، رغم أن الدولة الزيدية فى اليمن ، هى الدولة العربية الإسلامية الوحيدة التى قُدِّر لها أن تواصل حُكْمها أكثر من ألف سنة (٢٨٤ – ١٣٨٢ / ٨٩٧ – ١٩٦٢) . ولكن نفوذها كان تارة يمتد فيشمل بلاد اليمن جميعها ، وتارة أخرى يتقلَّص فى المناطق الجبلية الحصينة أمام قوة الدول السنيَّة أو الشيعية

---

[1] الناطق بالحق : الإفادة ١٦ و .
[2] يحيى بن الحسين : الطبقات ٣ و ، ٢٤ و .
[3] المصدر نفسه ٣٦ و .
[4] الجندارى : تراجم الرجال ١٣ .
[5] يحيى بن الحسين : المصدر السابق ٣٤ ظ .

الأخرى التى حَكَمت اليمن مثل : النَجاحِيين والصُلَيْحيين والأيوبيين والرَّسُوليين .

القاسم بن إبراهيم الرَّسِّى

ومؤسس هذه الدولة الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرَّسِّى حَسَنى عُرِفَ جَدّه القاسم بمذهب زيدى يُنسب إليه ويُعْرف أتباعه بالقاسمية . وقد قام الإمام القاسم بدورٍ كبير فى الدعوة الزيدية وإن لم تذكره المصادر ضمن الطالبيين الذين ثاروا على الخلافة العباسية .

وهو القاسم بن إبراهيم طَبَا طَبَا بن إسماعيل بن إبرهيم بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب [١] ، اشترك والده إبراهيم فى ثورة الحسين بن على ، صاحب فَخ ، فى عام ١٦٩ / ٧٨٦ ، وبعد فشل هذه الثورة أخذ فى التخفى والتستر ولم يَخْرُج من ستره إلّا بعد أن أعطى هارون الرشيد الأمان لأصحاب هذه الثورة . ولا توجد لدينا معلومات أكثر من ذلك عنه [٢] .

وُلِد القاسم فى عام ١٦٩ / ٧٨٥ ، إذا ما اعتمدنا على الأخبار التى تقول إنه توفى عام ٢٤٦ / ٨٦٠ عن ٧٧ عامًا [٣] ، والتى أجمع عليها مؤرخو الزيدية ، وكان له خمسة إخوة : محمد والحسن وأحمد وعلى وعبد الله [٤] .

---

[١] ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة دار المعارف ١٩٦٢) ٤٣ – ٤٤ ، ابن النديم : الفهرست ٢٧٤ ، الناطق بالحق : الإفادة ٢٤ ظ – ٢٩ و ، أبو العباس الحسنى : المصابيح (التيمورية ٢٣٤٠ تاريخ) ٢٠ ، حميد المحلى : الحدائق الوردية (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٦٧ تاريخ) ٢ : ٢ ، Sezgin, *GAS*, I, pp. 561 - 563 .

[٢] Madelung, W., *Der Imāmal-Qāsim ibn Ibrāhīm und die Glaubenslehre des Zaiditen,* Berlin 1965, p. 86.

[٣] فى أخبار أخرى يقال إنه بلغ السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين فى عام ١٩٩ هـ (٨١٥ م) إلّا أن الخبر الذى يذكر ذلك به خلط وتداخل راجع (Strothmann, R., « Die Literatur der Zaidilen », *Der) Islam* II (1911), pp. 49. 52) .

[٤] Madelung, W., *op. cit.*, p. 87 .

ولا تفيدنا المصادر فى التعرف على حياة القاسم الأولى ، ولكن يبدو أنه نشأ فى المدينة حيث كان والده يَقْطُن هناك ، كما أن نَصْر بن شبث زار أخاه محمد فى المدينة فى سنة ١٩٨ / ٨١٤ ليطلب إليه رئاسة الثورة [١] التى قام بها أبو السرايا ، كذلك فإن أستاذه فى الحديث أبا بكر عبد الحميد بن أبى أُوَيْس رجل من أهل المدينة توفى فى بغداد سنة ٢٠٢ / ٨١٧ [٢] .

ويبدأ نشاط القاسم الفعلى عندما أرسله أخوه محمد إلى مصر ليقوم بالدعوة له ويُبْعده عن أعين العباسيين [٣] . وقيل إن محمدًا اختار أخاه القاسم خليفة له قبل وفاته فى سنة ١٩٩ / ٨١٥ ، ولكن يبدو أن ذلك غير صحيح لأن مصادر العراق والكوفة بوجه خاص لا تعرف شيئًا عن دور القاسم فى هذه الفترة [٤] . ويبدو أن القاسم لم يكن بمصر وقت وفاة أخيه حيث يذكر هو بنفسه أن نَعْى أخيه محمد أتى إليه وهو بالمغرب [٥] . لذلك فإننا لا نعلم على وجه الصواب متى جاء القاسم إلى مصر ، وهل قام بثورة فيها ؟ .

تذكر المصادر الزيدية أن القاسم بعد وفاة أخيه أَخَذ يدعو لنفسه فى مصر فى سنة ٢٠٢ / ٨١٧ فأجابه قوم كثيرون وبايعه أهل مكة والمدينة والكوفة والرى وطبرستان ، وكاتبه أهل العَدْل من البصرة والأَهْوَاز يحثُّونه على الظهور وإظهار الدعوة [٦] ، ولكن ظَلَّ مقيمًا فى مصر مختفيًا عند أصحاب هَرْثَمَة

---

[١] الناطق بالحق : الإفادة ٢٤ ظ - ٢٥ و وفيه أنه وصل الكوفة يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى سنة ١٩٩ هـ .

[٢] ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦ : ١١٨ .

[٣] الناطق بالحق : الإفادة ٢٩ و وفيه أن عمر القاسم وقتذاك كان سبعا أو ستا وعشرين سنة .

[٤] Madelung, *op. cit.*, p. 89 .

[٥] أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ٥٥٣ .

[٦] الناطق بالحق : الإفادة فى تاريخ الأئمة السادة (مخطوطة برلين رقم ٩٦٦٥) ورقة ٢٧ ظ ، حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٤ - ٥ (وهو ينقل عن صاحب الإفادة) .

ابن أعْيُن نحو عشر سنوات متظاهرًا بالعمل بالمسائل الفقهية والفلسفية ووضع كتابه « الرد على المُلْحِد » الذى يجادل فيه أحد الفلاسفة [١] .

وفى أواخر عهد المأمون اشتد الطلب عليه ، حيث طلب المأمون إلى واليه على مصر عبد الله بن طاهر أن يبحث عنه ، فاضطر القاسم إلى الهرب إلى الحجاز [٢]، ولا تُحَدِّد المصادر تاريخ خروجه من مصر ، الذى يمكن أن يكون فى سنة ٢١١ / ٨٢٦ وهى سنة مجىء عبد الله بن طاهر إلى مصر .

وبعد ذهاب القاسم إلى الحجاز بايعته العترة إمامًا للزيدية فى سنة ٢٢٠ / ٨٣٥ لفضله وعلمه [٣] .

ولا نجد تفسيرًا واضحًا لمعرفة سبب تخفى القاسم الدائم فى عصر الخلفاء الذين مالوا للعلويين مثل المأمون والمعتصم والواثق ، ولماذا ترك هذا الأسلوب وعاد إلى الظهور فى الحياة العامة فى زمن المتوكل المعادى للعلويين [٤] ؟

وقد استقر أمره فى آخر حياته فى جبل الرَّسّ بالمدينة فى أرض اشتراها لنفسه ولأولاده بالقرب من ذى الحُلَيْفَة [٥] ، وأخذ يشتغل بالتدريس حيث انتشر مذهبه عن طريق الحُجَّاج إلى جميع أرجاء العالم الإسلامى .

ويُعَد القاسم ، كما سبق أن ذكرت ، من العلويين الذين لم يقودوا ثورة مسلحة بل اكتفوا بالدعوة فقط كما تدل على ذلك كتبه [٦] . وتوفى بجبل

---

[١] Madelung, *op. cit.*, p. 89 . ، وراجع I. di Matteo, « Confutazione contro i Cristiani dello Zaydita. al- Q. b. Ibr. » *RSO*, 9 (1921) pp. 301 - 364

[٢] الناطق بالحق : الإفادة ٢٧ ظ ، يحيى بن الحسين : أبناء الزمن – خ ٢١ ، غاية الأمانى ١٥٠ .

[٣] الناطق بالحق : الإفادة ٢٨ و .

[٤] Madelung, *op. cit.*, p. 92 .

[٥] الناطق بالحق : الإفادة ٢٩ و .

[٦] Madelung, *op. cit.*, p. 93 ، وانظر بيانا بها عند F. Sezgin, *GAS* I, p. 561 .

الرَّسّ فى سنة ٢٤٦ / ٨٦٠ [١] ، وله سبع وسبعون سنة كما يذكر صاحب الإفادة .

وكان القاسم من أكبر علماء الزيدية المتكلّمين فقد ذكر صاحب الإفادة فى رواية مسندة إلى أبى القاسم البَلْخى ، أن جعفر بن حَرْب الهمدانى دخل على القاسم بن إبراهيم فجاراه فى دقائق علم الكلام ، فلما خرج من عنده قال لأصحابه : « أين كنَّا من هذا الرجل ، والله ما رأيت مثله » [٢] . ويُعَدّ جعفر بن حرب من عيون المتكلمين على مذهب المعتزلة [٣] .

وللقاسم من المصنفات : كـ . « تثبيت الإمامة » نَصَر فيه مذهب الزيدية فى تقديم الإمام علىّ على الشيخين ، وكـ . « العدل والتوحيد الكبير » وكـ . « الرد على ابن المقفع » ، وكـ . « الرد على النصارى » وكـ . « الفرائض والسنن » وكـ . « سياسة النفس » [٤] وغيرها .

الإمام الهادى إلى الحق
والمذهب الزيدى فى اليمن

فى النصف الأخير من القرن الثالث الهجرى كان دعاة الإسماعيلية قد ذهبوا إلى اليمن يدعون للإمام المهدى الفاطمى ، وكان حكَّام صنعاء اليُعَافِرة يدافعون عنها من كل جانب ليحفظوا سلطانهم ولحمايتها من الدعاة الإسماعيلية .

---

[١] الناطق بالحق : الإفادة ٢٩ و ، حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٦ ، يحيى بن الحسين : أبناء الزمن ٢٢ ، غاية الأمانى ١٥٩ .

[٢] الناطق بالحق : الإفادة ٢٩ ظ ، حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٣ .

[٣] ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ٧٣ – ٧٦ . واعتبر الملطى (التنبيه والرد ٢٧) الفرقة الرابعة من الزيدية هم معتزلة بغداد الذين يقولون بقول الجعفر بن جعفر بن مبشر الثقفى ، وجعفر بن حرب الهمدانى ، ومحمد بن عبد الله الإسكافى ، وهم أئمة معتزلة بغداد .

[٤] حميد المحلى : الحدائق ٢ : ٢ – ٣ ، Brock., *GAL* I, 186 (197), *S* I, 314 - 315; Sezgin, F., *GAS* I, pp. 561 - 563 .

فى هذا الجو المضطرب استنجد أهل المناطق الشمالية الجبلية باليمن برجل حسنى من الرسّ هو الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى [١] ، الذى ولد فى المدينة فى سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) قبل وفاة جده القاسم الرسى بعام واحد [٢] .

ولا تمدنا المصادر بأى شيء عن الخمس وثلاثين عامًا الأولى من حياته ، حتى إن كاتب سيرته لم يذكر عنها أى شيء تقريبًا [٣] ، ونعرف فقط أنه نشأ فى المدينة وجذب إليه الانتباه بفضل ذكائه المبكر ، وتذكر المصادر بعض الأخبار عن كراماته وقوته العضلية فى هذه الفترة [٤] .

وكانت أسرته تنظر إليه بكثير من التقدير والاحترام لما كان يتميَّز به من العلم والزُهْد والوَرَع ، وتزوَّج وهو بالمدينة من ابنة عمه فاطمة بنت الحسن ابن القاسم [٥] . وكان ذووه ينتظرون منه الشيء الكثير ، وتَذْكر المصادر أخبارًا عن أحاديث تذكر الهادى وأنه سيظهر أمره باليمن ويُعْلى كلمة الحق بها ، وهى كلها لاتعدو أن تكون من الأخبار الموضوعة المثبتة فى كثير من كتب الفرق والمذاهب [٦] .

---

[١] ابن النديم : الفهرست ٢٧٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٤٤ ، الناطق بالحق : الإفادة ٤٠ ظ – ٤١ و ، حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ١٢ – ٢٤ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٢٢ و – ٢٣ ظ وأنباء الزمن (ماضى) ٧ وغاية الأمانى ١٦٦ .

[٢] حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٢ .

[٣] على بن محمد العلوى : سيرة الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين (حققها ونشرها سهيل ذكّار – بيروت ١٩٧٢) وانظر Van Arendonck, C., *Les débuts de l'Imamat Zaidite au Yémen,* traduction frnçaise par Jacques Ryckmans, Leiden 1960, p. 127 ، كما أن الطبرى لم يذكره بالاسم وإن تعرَّض لجده فى موضع واحد (التاريخ ١٠ : ٨٤) ، أما المسعودى فقد ذكر فى مروج الذهب ٥ : ١٦٧ و ٢٠٦ شيئًا من خبره وأضاف أنه أتى على ذكر خبره تفصيلًا فى كتابه « أخبار الزمن » وخبر ولده إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

[٤] الناطق بالحق : الإفادة ٣٧ ظ ، Van Arendonck, C., *op. cit.*, p. 127 - 128 .

[٥] المصدر نفسه ٤٠ ظ .

[٦] Van Arendonck, C., *op. cit.*, pp. 127 - 128 .

وفى سنة ٢٧٠ / ٨٨٣ قدم الهادى ومعه أبوه وبعض عمومته إلى مدينة آمل [١] . ولكن يبدو أن هذه الرحلة لم تَجْذب انتباهه إلى المنطقة الشمالية من العالم الإسلامى بل نجده يمضى بقية حياته فى جنوب العالم الإسلامى فى اليمن .

فقد كانت منطقة « صَعْدة » فى جهات اليمن الشمالية حيث تسكن قبيلة خَوْلان شديدة الاضطراب والفوضى ، ومنقطعة الصلة تقريبًا بدولة الخلافة العباسية وعمالها باليمن ، كما أن سكَّانها من خَوْلان لم يتَّفِقوا فيما بينهم على اختيار زعيم منهم ليحكم فيهم . فلأجل ذلك ، ولأنهم كانوا على صلة بأهل البيت فى الحجاز ومن المتشيعين لهم ، وقع اختيارهم على الهادى إلى الحق يحيى ابن الحسين ليخرج إليهم ويجمع أمرهم [٢] . فذهب إليه وفد من بنى فُطَيْمة من خَوْلَان صَعْدَة وهو بالرَّسّ لاستدعائه للخروج معهم ليَمْلك أرضهم [٣] .

الخروج الأول للهادى إلى اليمن

خرج الهادى إلى الحق إلى اليمن فى سنة ٢٨٠ / ٨٩٣ فوصل إلى بلدة الشَّرَفة من بلاد نَهَم ، وأطاعه أهل تلك النواحى ، لأن خروجه إليهم كان باستدعائهم ، و لم يلبث الهادى بينهم سوى فترة يسيرة تبيَّن له خلالها مخالفة الناس « لأوامره الموافقة لأمور الشريعة ، فانقلب عائدًا إلى الحجاز » [٤] بعد أن وصل إلى مشارف مدينة صنعاء .

---

(١) المصدر نفسه ٤٠ و ، حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٦ ، أحمد بن إبراهيم : المصابيح ٢١١ .
(٢) محمد عبد الله ماضى : « دولة اليمن الزيدية » ٣م – ٢٤ .
(٣) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن (نشرة ماضى) ٨ .
(٤) على بن محمد العلوى : سيرة الهادى ٣٦ ، حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ١٨ ، يحيى بن الحسين : أنباء ٧ ، غاية الأمانى ١٦٦ – ١٦٧ .

وبعد عودته وقعت باليمن فِتَنٌ وقَحْطٌ كثير ، فأخذ أهل الناحية فى مكاتبة الهادى ليعود إليهم فعاد إليهم فى سنة ٢٨٤ / ٨٩٩ [١].

الخروج الثانى للهادى إلى اليمن

كان وصول الهادى إلى الحق إلى صَعْدَة فى صَفَر سنة ٢٨٤ / ٨٩٩ فَحَسم الفِتّنة التى كانت بين أهل خَوْلَان صَعْدَة ، وأمر بتفريق رُبْع زكاة الطعام فى الفقراء والأيتام ، واستقر بصعدة مدة يسيرة [٢] .

وجّه الهادى نشاطه بعد ذلك إلى بلاد اليمن كلها فدعى الناس إلى الجهاد فى سبيل الله . فقصد نَجْران بجموع كثيرة من خولان وغيرهم حيث استبشر بقدومه وبايعه أهل وَادِعَة وشاكر ويَام الذين جرت بينهم وبين بنى الحارث أهل نَجْران حروبٌ شديدة فأصلح الهادى بينهم وأخذ عليهم المواثيق على أن يتفقوا ويتركوا الشقاق [٣] .

ولما عاد إلى صَعْدَة وضع الهادى عهدًا لأهل الذمة من نَصَارى نَجْران وغيرهم فيما شروه من المسلمين التُسْع ، وما شروه من الجاهلية فلا عليهم فيه شىء ، وقرَّرهم على الجزية فى نجران وصعدة وسائر ما استفتحه [٤] .

---

[١] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن (ماضى) ٨ ، حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٨ ، المصابيح ٢١٢ .
ويرى حسين همدانى أن سبب رجوع الهادى إلى اليمن هو رغبة اليمنيين فى أن يتولى أمر دينهم ودنياهم أحد أئمة أهل البيت ، كما يظن أن نجاح سفارة منصور اليمن وتأسيسه فى اليمن دولة موالية للأئمة الفاطميين شجعه على قبول دعوة اليمنين . (الصليحيون ٢٦) .

[٢] على العلوى : سيرة ٤١ ، حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٣ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ١٠ ، غاية الأمانى ١٦٧ – ١٦٨ .

[٣] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن (ماضى) ١٠ – ١١ ، غاية الأمانى ١٦٨ .

[٤] على العلوى : سيرة ٧٢ ، يحيى بن الحسين : أنباء ١١ ، Van Arendonck, C., *op. cit.*, p. 142 - 143

وقد أمضى الهادى وقتا طويلا بعد ذلك فى تأديب أهل النواحى القريبة وفتحها ففتح مدينة بَرَط وخَيْوان وولى العمال على تلك النواحى [١] .

ويرجح صاحب « فاكهة الزمان » أن أهل اليمن لم يستدعوا يحيى بن الحسين إلّا بعد أن ظهرت فتنة القرامطة باليمن [٢] .

ودخل الهادى فى صراع طويل فى اليمن لتثبيت دولته ، يعاونه أبو العتاهية صاحب صنعاء [٣] . فقد ثار عليه أهل أَثافِت وبنو الحارث بنجران وبعض قبائل خَوْلان ، فحاربهم وقضى على ثورتهم . ونجح فى الاستيلاء على المخاليف القريبة من صنعاء ثم تمكن من الاستيلاء على صنعاء نفسها ، ولكنها سرعان ما خرجت من يده [٤] .

أما الصراع الكبير الذى دخل فيه الهادى فى اليمن فكان مع القرامطة وعلى رأسهم على بن الفضل ، ونجح القرامطة فى تحقيق بعض الانتصارات فى سنتى ٢٩٤ هـ و ٢٩٥ هـ حيث نكّلوا بأهل صنعاء وغزوا مدينة زبيد [٥] . ولكن الزيدية لم يتمكنوا من الانتصار على القرامطة إلّا فى أيام الناصر أحمد بن الهادى .

الهادى إلى الحق ومذهبه

كان شيخ الهادى فى الأصول أبو القاسم البَلْخى الكَعْبى المعتزلى ، أخذ عليه الأصول وعلم الكلام . لذلك فإن أقوال الهادى فى الأصول متابعة لأقوال

---

(١) يحيى بن الحسين : أنباء ١٢ ، Ibid., p. 146 .

(٢) الأشرف الرسولى : فاكهة الزمن ٧٦ – ٧٧ .

(٣) المصابيح ٢١٣ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ١٧ .

(٤) يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ١٧ – ٣٠ ، Van Arendonck, C., *op. cit.*, p. 153 .

(٥) المصدر نفسه ٣١ – ٥٢ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٢٢ و – ٢٢ ظ .

البَلْخى [١] . أما فى الفروع فقد استقلّ فيها باجتهاده فخالف زيدَ بن على فى مذهبه و لم يتقيَّد بأقواله التى تضَّمنها « مجموع الفقه الكبير » لزيد و « الجامع الكافى لأقوال زيد بن على » [٢] . ثم فرَّع الزيدية بعد ذلك وحَصَّلُوا على مقتضى مذهبه ونصوصه التى فى كتابيه « الأحكام » و « المنتخب » واستقر مذهب الزيدية المتأخرين عليه و لم يبق لمذهب زيد بن على الأول فى الأصول والفروع منهم متابع [٣] وسار بعض أهل اليمن على مذهب جدّه القاسم وهو وسط بين مذهب زيد ومذهب الهادى [٤] .

وبلغ يحيى بن الحسين من العلم مبلغا كبيرًا حتى أنه بدأ فى التصنيف وله من العمر سبع عشرة سنة [٥] . فمن مصنفاته « الأحكام » فى الفقه ، و « المنتخب فى الفقه » ، و « أصول الدين » و « الإمامة وإثبات النبوة » و « المنزلة بين المنزلتين » و « التوحيد » وغيرها [٦] .

وكانت وفاة الهادى إلى الحق فى شهر ذى الحجة سنة ٢٩٨ / ٩١٠ [٧] ونعرف من السكة أنه تلقّب « بأمير المؤمنين » فيوجد بمتحف الفن الإسلامى

---

[١] يحي بن الحسين : الطبقات ٢ ظ ، ١٨ و ، ٩٠ ، الجندارى : تراجم الرجال ٢٨ و ٣٨ و ٤١ .

[٢] يحيى بن الحسين : الطبقات ٢ ظ .

[٣] المصدر نفسه ٣ و .

[٤] المصدر نفسه ١٨ و .

[٥] الناطق بالحق : الإفادة ٢٩ و ، المحلى : الحدائق ٢ : ١٤ .

[٦] الناطق بالحق : الإفادة ٢٩ و – ٣١ و ، وانظر قائمة بها عند : Van Arendonk, C., *Les débuts de l'Imàmat Zaiditeau Yémen,* pp. 265 - 305; Brock. *GAL* I, *S* I, 315; Sezgin, *GAS* I, pp. 563 - 566 .

[٧] المسعودى : مروج الذهب ٥ : ٢٠٦ ، المحلى : الحدائق ٢ : ٢٤ ، الناطق بالحق ، الإفادة ٤١ و ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ٥٣ .

بالقاهرة ديناران ضربا فى صعدة سنة ٢٩٨ هـ جاء فيهما اسمه « الهادى إلى الحق أمير المؤمنين ابن رسول الله » [١]

خلفاء الهادى

وبعد وفاة الهادى بادر الناس إلى مبايعة ابنه محمد المرتضى الذى احتفظ بصَعْدَة حاضرة له ، وامتد حكمه على نجران وهَمْدان وخَوْلان . ولكنه اعتزل الحكم بعد أربع سنوات فى سنة ٣٠١ / ٩١٣ ، فخلفه أخوه الناصر أحمد الذى قام بدور كبير فى محاربة القرامطة وزعماء محليين آخرين . وقد ظل الناصر أحمد إمامًا فى صَعْدة إلى أن هزمه اليُعَافِرة سنة ٣٢٢ / ٩٣٤ وتوفى هو نفسه فى أعقاب ذلك ، وتمكن اليعافرة من احتلال صَعْدَة لمدة أربعة أشهر .

وفى خلال هذه الاضطرابات ادَّعى أحد أبنائه ، الحسن بن أحمد ، الإمامة إلَّا أن الزيدية لم يعترفوا بإمامته وبايعوا ابنا آخر للناصر يدعى القاسم المختار . ونتيجة لذلك نشب خلاف مستمر بين الأخوين أدّى فى النهاية إلى عزلهما . وفى أثناء ذلك نجح القاسم المختار فى الاستيلاء على صنعاء سنة ٣٤٥ / ٩٥٦ إلَّا أنه اغتيل قبل نهاية هذا العام بينما كان أخوه الحسن قد قتل قبل ذلك بقليل [٢] .

---

[١] عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود الإسلامية (القاهرة ، مط . دار الكتب المصرية ١٩٦٥) برقمى ٢٤٦٢ - ٢٤٦٣ .

[٢] Tritton, A. S., *EI.*, art. *Rassides* III, p. 1309 .

القاسم بن على العيانى

يُعَدُّ الإمام المنصور بالله أبو محمد القاسم بن على بن عبد الله بن محمد العيانى [١] ، من أهم أئمة الزيدية فى اليمن إبّان دولتهم الأولى بها .

ولد القاسم فى سنة ٣١٠ / ٩٢٢ وأخذ العلوم رواية عن أبيه عن جَدّه [٢] . ووصل إلى اليمن قادمًا من الشام عندما استدعاه أهلها لما هاجمهم الجراد وأكل ثمارهم وزرعهم ، ويقال إن الله تعالى صَرَفها عنهم عند وصوله إليهم [٣] . وأقام وهو فى اليمن فى أرض خَثْعَم وجعل ولاته يتصرفون فيما يليه من الجهات والنواحى وخاصة أرض سخان وأرض الجنيب وبلاد يام [٤] . وبدأ دعوته فى شهر شوال سنة ٣٨٨ / ٩٩٨ بإرسال رسله إلى نواحى اليمن لاستنهاض أهلها وحَمْل ما اتفق من الأعشار إليه [٥] ، فتوافد إليه الناس من صَعْدة والبون وبايعوه وهو فى حصن بيشة [٦] . واستطاع بمساعدة قبيلة خَثْعم أن يمكِّن لنفسه فى صَعْدة ، ثم دخل إلى صنعاء وأحكم أمره فى مخاليفها وأقيمت له الخطبة فى نواحى مخلاف جعفر وكحلان وما يليه فى ربيع الأول سنة ٣٨٩ / ٩٩٩ [٧] .

---

(١) الحبسى : تتمة الإفادة فى تاريخ الأئمة السادة (مخطوطة توبنجن رقم ٩٩٦٤) ورقة ٤٨ ظ ، المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٥٦ – ٥٩ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ورقة ٢٨ ، محمد زبارة : أئمة اليمن (تعز ١٩٥٢) ٧٥ – ٨٢ ، وللحسين بن أحمد بن يعقوب كتاب فى سيرته (منه نسخة فى المتحف البريطانى برقم ٥٣٢) ، Strothmann, *EI.*, art. *al - Manṣūr bi'llāh,* III, p. 265, Madelung, *op. cit.*, pp. 194 - 196; Sezgin *GAS* I, pp. 568 - 69 .

والعيانى نسبة إلى مدينة عِيَان : التى قُبِر بها فى الجهة الشمالية من صنعاء .

(٢) محمد زبارة : أئمة اليمن ٧٥ .

(٣) المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٥٧ .

(٤) المصدر نفسه ٢ : ٥٧ .

(٥) الحبسى : تتمة الإفادة ٤٨ ظ ، المحلى : الحدائق ٢ : ٥٧ .

(٦) المحلى : الحدائق ٢ : ٥٧ .

(٧) المصدر نفسه ٢ : ٥٧ ، Tritton, *EI.*, art. *Rassides* III, p. 1205 .

وكان الإمام القاسم يُخالف الهادى فى مسائل الفروع [١] . وكانت الزيدية فى وقته يعتقدون « أن المصيب فى الاجتهادات واحد والحق معه » ، وظلُّوا كذلك إلى زمن المتوكل على الله أحمد بن سليمان ، وكذلك كان على هذا زيدية الجيل إلى زمن أبى عبد الله الداعى ، الذى أحدث القول « بأن كل مجتهد مصيب » [٢] . وفى أيامه بدأ ظهور أقوال الفرقة المطَرِّفية فى اليمن ، والفرقة المُخْتَرِعة .

وتوفى القاسم العيانى أول يوم الأحد لسبع خَلَوْن من شهر رمضان سنة ٣٩٣ / ١٠٠٣ ودفن فى عِيانَ ومشهده بها مشهور مزور [٣] .

وبعد وفاته خَلَفه ابنه المهدى لدين الله أبو عبد الله الحسين بن القاسم [٤] فملك من منطقة أَلْهَان إلى صَعْدة وصنعاء [٥] . وبرز الإمام المهدى فى العلم ، فيروى أنه فاق فى ذلك أهل زمانه ووضع تصانيف كثيرة فى علم الكلام وفى الرد على مخالفى العترة النبوية بلغت نحو ثلاثة وسبعين تصنيفًا [٦] . وقتل الحسين فى ناحية البون فى أحد حروبه وكانت وفاته سنة ٤٠٤ / ١٠١٣ وقُبِر بمدينة رَيْدة وعمره نيف وعشرون سنة [٧] . ويرى مسلم اللحجى أن الإمام

---

[١] يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ٣٨ ظ .

[٢] المصدر نفسه ٣٨ ظ .

[٣] المحلى : الحدائق ٢ : ٥٩ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٤٩ و ، محمد زبارة : أئمة اليمن ٨٢ . ولحسين بن أحمد بن يعقوب ، من علماء القرن الرابع كتاب فى « سيرته » من نسخة فى المتحف البريطانى برقم ٥٣٢ وأخرى بمكتبة ليدن .

[٤] المحلى : الحدائق ٢ : ٥٩ – ٦٠ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٤٩ و ، محمد زبارة : أئمة اليمن ٨٣ ، Modelung, *op. cit.*, pp. 198 - 200

[٥] المحلى : المصدر السابق ٦٠ .

[٦] المصدر نفسه ٥٩ ، وراجع بيانها عند Sezgin, *GAS* I, pp. 569 - 570 وهى عنده ٢٤ مصنفا كلها فى مكتبة برلين فى مجموعة جلازر Glazer .

[٧] المحلى : الحدائق ٢ : ٦٠ ، نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٧ .

المهدى الحسين بن القاسم ووالده المنصور كانا يريا أشياء تقضى بمخالفتهما لمذهب أسلافهما ، وأنهما ربما يسترجحان أشياء من مذهب الفاطميين [١] .

وإلى الإمام المهدى تُنْسب الفرقة الحُسَيْنية من الهادوية الذين يقولون إنه حىّ لم يَمُت ، وإنه لا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا ، إذ هو المهدى المنتظر فى زعمهم [٢] .

وتعتقد الفرقة الحُسَيْنية أن الحسين بن القاسم أَفْضَل من رسول الله ﷺ ، وأن كلامه أَبْهَر من كلام الله . ومعنى أبهر عندهم من كلام الله : أى أقطع لخصوم الملحدين من كلام الله ، ويرون أن من لم يقل بقولهم هذا فيه فهو كافر من أهل النار .

ثم افترقوا فرقتين : فرقة تزعم أنه يأتيهم فى السر ولا ينقطع عن زيارتهم ، فى حال مغيبه ، ولا يفعلون شيئًا إلّا بأمره . وأخرى تُبْطل ذلك وتقول : إنه لا يُشَاهد بعد الغيبة ، إلى وقت ظهوره وقيامه ، وإنما يعملون بما وَضَع فى كتبه [٣] . ولهم غير ذلك أقوالٌ باطلة كثيرة منها فى الفروع صحة التيمم مع وجود الماء [٤] .

ودامت فتنة الحُسَيْنية فى اليمن إلى عصر الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٧ / ١٣٤٦ [٥] . وبلغ من انتشار فتنتهم أن الشريف محسن ابن محمد الحسنى القادم من طبرستان إلى شَهَارة باليمن فى جمادى الأولى سنة

---

[١] محمد زبارة : أئمة اليمن ٨٥ (نقلا عن اللآلى المضية للسيد أحمد الشرفى) .
[٢] نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٦ ، المحلى : الحدائق ٢ : ٦٠ ، ابن المرتضى . المنية والأمل ٤٧ و . ووضع حميد المحلى رسالة عنوانها « الرسالة الزاجرة لذوى النهى عن الغلو فى أئمة الهدى » ويبدو أنه على اعتقادهم .
[٣] نشوان الحميرى : الحور العين ١٥٧ .
[٤] ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٧ و ، يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ٥٨ ظ .
[٥] تراجم بنى الوزير ١٤٢ .

٤٨٥ / ١٠٩٢ تحدَّث معه أهل اليمن فى شأن الحسينية ، فقال : إن بطبرستان ونواحيها من الحسينية زهاء ستة عشر ألفًا وعندهم من كتبه « المُعْجز » و « التفسير » [1] .

وبوفاة الحسين بن القاسم انتهت دولة الأئمة الزيديين الأولى فى اليمن ، ولم تعد تنطبق هذه الصفة على أمراء هذه البلاد .

افتراق زيدية اليمن إلى مخترعة ومطرفية

كانت الزيدية فى اليمن عند قيام الإمام الهادى إلى الحق ، فرقة واحدة تتبع زيد بن على وتسلك منهاجه فى الاعتقاد فى التوحيد والوعد والوعيد والقول بإمامته وإمامة أهل البيت ، فهم متابعون له فى الأصول . أما فى الفروع فقد سار زيدية اليمن على مذهب الهادى فى الفروع [2] التى ذكر أدلتها وسندها إلى جده رسول الله ﷺ ، فخرَّج له وقاس على نصوصه وفرَّع له الأئمة من بعده كما فعل أصحاب الأئمة الأربعة ، فعلى ذلك فالنسبة إلى الهادى كالنسبة إلى الشافعية والحنفية وغيرهما وهى فى الفروع [3] . وكذلك فعل كثير من الرجال الزيدية فى أقاليم أخرى فقال أهل الديلم بمقالة الناصر الأطروش فى الفروع ، وقال أهل الجيل بمقالة القاسم الرَّسِّى فى الفروع أيضًا [4] .

ولا تسعفنا المصادر فى التعرف على بداية افتراق زيدية اليمن إلى مخترعة ومطرفية . فبينما تذكر بعض المصادر أن ذلك كان فى أواسط القرن الخامس

---

(١) ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٤ : ٤١٤ .

(٢) يحيى حميد : نزهة الأنظار فى ذكر أئمة الزيدية الأطهار (مخ . الجامع الكبير بصنعاء رقم ٩٠ مجاميع) ورقة ١٥ ظ .

(٣) المصدر نفسه ١٦ و .

(٤) المصدر نفسه ١٥ ظ .

الهجرى [١] ، تشير مصادر أخرى إلى أن ذلك كان فى زمن الإمام المنصور القاسم بن على العِيَانى (٣٨٨ - ٣٩٣) [٢] ، ويبدو أن هذا أقرب إلى الصواب .

فقد كان اليمن فى الفترة بين وفاة الإمام القاسم العِيَانى سنة ٣٩٣ / ١٠٠٣ ونهاية القرن الخامس « فيه اختلافٌ شديد فى المذاهب واضطراب وفِتنٌ وشُبَه يوردها كل فريق . وكان فيه الزيدية فريقين : مُخْتَرِعة ومُطَرِّفِيّة ، وسائر اليمن الأسفل حَنَابِلَة وشافِعيَّة [٣] .

وتُرْجِع المصادر الزيدية سبب افتراقها إلى مُخْتَرِعَة ومُطَرِّفِيَة أن مُنَاظَرة وَقَعَت فى زمن الإمام القاسم العِيَانى بين رجلين عالمين هما : على بن شُهْر ، وكان ببيت أُكْلَب ، وعلى بن محفوظ وكان بَرَيْدَة ، ظَهَر فيها من الخلاف بين الرجلين حول وجود الأعراض ما أدَّى إلى افتراق الزيدية الهادوية إلى فرقتين : مُخْتَرِعَة ومُطَرِفِية . المخترعة يقولون بقول على بن شُهْر ، والمطرفية يقولون بقول على ابن محفوظ [٤] .

وسُمِّيت المُخْتَرِعَة بذلك لقَوْلهم بإمامة على بالنص الخفى ، وخطأ المشائخ بالتقديم عليه ومُخَالفة ذلك النص والتوقف فى تفسيقهم ، ولقولهم بأن الله تعالى اخْتَرَع الأعراض فى الأجسام وأنها لا تَحْصُل بطبائعها كقول المطرفية [٥] وسَلَكُوا فى ذلك مَسْلَك البَصْرية من المُعْتَزِلَة [٦] .

---

[١] ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٤ : ٣٩٢ .
[٢] يحيى بن الحسين : الطبقات ٣٨ و ، ٤١ و .
[٣] يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ٥٧ .
[٤] مسلم اللحجى : كتاب فيه شىء من أخبار الزيدية فى اليمن (مخطوطة برلين رقم ٩٦٦٤) ورقة ٥٠ ، ابن الوزير : تاريخ بنى الوزير ١٠٢ و .
[٥] ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٧ و ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٣٨ و .
[٦] يحيى حميد : نزهة الأنظار ١٠ و .

أما المُطَرِّفِيّة فسموا بذلك نسبة إلى أحد مقدميهم مُطَرِّف بن شِهَاب بن عمرو بن عباد الشهابى [1] . كان يروى أصول الدين عن على بن حرب عن على بن محفوظ ، وكان مُعَلِّم الزيدية العدلية باليمن [2] وكان مقيمًا ببيت حَنْبَس موجودا فى زمن على الصليحى الداعى الفاطمى ، وهو أحد الذين طَلَبهم للخروج معه عندما خرج إلى الحج سنة ٤٥٩ / ١٠٦٧ [3] .

ويأتى فى مرتبة مطرّف بالنسبة للمطرفية الفقيه الشيخ نَهْد بن الصباح العَنْسِى . قال مُسلم اللّحْجى : « لم أسْمَع أحدًا ممن أدركت ممن يعرف له خبرًا يُنْقصه عن درجة مطرف فى العلم والزهد والعبادة والتعليم وقَلّ ما يذكرهما الهادوية إلّا معًا » [4] .

وتاريخ هذه الفرقة غَامِض ورغم أنها تعتقد أقوالًا توجب تكفيرها فإنها تُذْكر فى كتب الزيدية كأحد فرقها يقول ابن المرتضى :

« المُطَرفية أصحابُ مطرف بن شهاب ، فارقوا الزيدية بمقالات فى أصول الدين كفَّرهم كثير من الزيدية بها . والحُسَيْنِية اختصت بأن زَعَمَت أن الحسين بن القاسم بن على المقتول بَرَيْدَة لم يُقْتَل وأنه لابد أن يَظْهرقبل موته . وقد انقرضت هاتان الفرقتان » [5] .

وقد وصلت إلينا مؤلفات ورسائل فى الرد على هذه الفرقة [6] ، ولكنها

---

(١) راجع ، ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٧ و ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٤ : ٣٩٢ ، يحيى ابن الحسين : الطبقات ٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ٨٢ .

(٣) يحيى بن الحسين : الطبقات ٤١ و ، وانظر أعلاه ص١٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ٤٨ و .

(٥) ابن المرتضى : المنية والأمل ٤٧ و .

(٦) انظر قائمة بهذه المؤلفات فى ملاحق الرسالة .

لم تَتَعرَّض كثيرًا لتاريخها . وأهم مصدر أخَذَت عنه الكتب المتأخرة معلوماتها عن هذه الفرقة هو « تاريخ مُسَلَّم اللّحْجِى »[١] الذى ألَّف كتابه سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) وكان على مذهب المطرفية[٢] ، ووَصَلت إلينا منه قطعة صغيرة محفُوظَة فى مكتبة برلين[٣] ، ونقولٌ هامة فى مؤلفات ابن الوزير ويحيى بن الحسين وابن أبى الرِّجَال .

وتأتى أهمية مُسَلّم اللحجى فى أنه أخذ مُبَاشَرة عن تلميذٍ لمُطَرِّف يقول

---

[١] انظر أعلاه ص ٣٦ .

[٢] أول من تَنَبَّه إلى هذه الفرقة من العلماء المحدثين المستشرق الإنجليزى هنرى كاسل كاى H. C. KAY الذى لاحظ أن اصطلاح « المُطَرِّفية » كثيرًا ما يَتَرَدّد فى تواريخ الزيدية فى اليمن ، ولم يجد له تفسيرا فى موضع آخر . وذَهب إلى أنها تسمية تُطلَق على المسلمين من أهل السنة . (Kay, H. C. *Yaman its early mediaeval history* (London 1892), p. 318)

ويُوافِق سعيد عبد الفتاح عاشور كاى فى هذا التفسير ، ويرى أنه الأقرب إلى الحقيقة والصواب (يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٣٧١ - ٣٧٢ هـ٢ .

ثم تَوَصَّل شتروطمان إلى أن المطرفية فرقة من الزيدية تُعَارض المذهب الزيدى الأم (Strothmann, R., « Die Literature der Zaiditen », *Der Islarm* II (1911), pp. 68 - 69) .

ثم كتب فان آرندونك بحثا عن المطرفية كفرقة يمنية سنة ١٩٢٧ Van Arendonk, C., « De Jemenitische Secte der Mutarrifiten ». in Verslag van het vÿfde congres, Gehouden te Leiden (Brill 1927), pp. 23 - 24 .

وفى سنة ١٩٥٠ نشر تريتون أول بحث علمى فى عقائد المطرفية اعتمادا على كتاب « الهاشمة لأنف الضلال » (Tritton, A. S. « The Mutarrifia », *Le Muséon* 63 (1950), pp. 59 - 67) وبعد ذلك درس مادلونج عقائد المطرفية فى كتابه Madelung, W., *Der Iman al - Qasim ibn Ibrahim* (Berlin 1965), pp. 201 - 204

وفى مقال عن مخطوط مطرفى هو « البرهان الرائق المخلص من ورط المضائق » Madelung, W., « A Mutarrifi manuscript » in *Prooceedings of the VI Congress of Arabic and Studies* (Stockholm 1972), pp. 75 - 83 .

ووَهِم ابن المجاور المتوفى بعد سنة ٦٣٠ هـ فى وصف المطرفية ، يقول « ...... وينسلخ من الزيدية المخترعة والمطرفية وهم الذين يقال لهم الصالحية والجارودية » . (صفة بلاد اليمن ١٨٨) .

[٣] كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية باليمن . (مخ بمكتبة برلين رقم ٩٦٦٤) وانظر أعلاه ص ٣٦ .

مسلم : « أَخَذْت المذهب عن محمد بن إبراهيم بن رقاد الصنعانى بوَقْش فى سنة عشر وخمسمائة » [١] و « هو أخذ هذا الدين عن شَيْخه إبراهيم بن الهيثم ابن كَهْلان وهو أخذه عن مُطَرِّف بن شهاب ، وأخذه مطرف عن على بن محفوظ بَرِيْدَة ... وعلى بن محفوظ أخذ من طريقين : أحدُهما عن الشيخ أحمد ابن موسى الطَبَرى عن المرتضى محمد بن الهادى ، والأخرى عن إبراهيم بن بالغ الوزيرى عن أبيه عن الهادى » [٢] . وكان مُسَلم يسمع من أَدْرك مشائخه يقولون « أَخَذْنا القول بالعدل والتوحيد وأن الأعراض تُعلم بالدليل من المَحْسُوسَات من الأجسام ... وأن ليس بين الله وبين خلقه من الأجسام واسطة (كذا) الله مراده وخِلْقه مخلوقة ، وصنعته مصنوعة وتدبير مدبرة وفعله مفعولة » [٣] .

وكان مُطَرِّف رجلًا صابرًا متواضعا جَذَبَ الناس إليه عن طريق تَرْكه وأصحابه الدنيا وميلهم عن شهواتها ، ومعاملتهم لأنفسهم وإخوانهم وجيرانهم بالمعاملة العجيبة من الاحتمال والتوصيل والتشافق كأنهم جميعًا إنسان واحد مع وَرَع وعبادة . كذلك جَذَبُوا الناس إليهم لقُرْب مقالاتهم من عقول الجهَّال يقول مطرف فى انخداع العامة : « لو جاء رجلٌ يَدَّعى أن الشمس طَلَعت من المغرب ، ما غابت الشمس ذلك اليوم إلّا وله أتباع » [٤] .

وذكر الإمام أحمد بن سليمان فى كتاب « الحكمة الدرية » [٥] أن سَبَبَ

---

(١) يحيى بن الحسين : الطبقات ٣٢ و .

(٢) المصدر نفسه ٣٢ ظ .

(٣) المصدر نفسه ٣٢ ظ .

(٤) ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٤ : ٣٩٣ .

(٥) من هذا الكتاب نسخة فى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم ١٠٢ علم كلام قامت البعثة المصرية إلى اليمن سنة ١٩٥٢ بتصويرها ، فغضب لذلك رجال الحكومة اليمنية المسئولون حينئذ ، وطلبوا إليها =

خروجهم أن مطرف بن شهاب ذَهَب وصاحبين معه إلى مَوْضع يقال له سَنَاع بأرض صنعاء وابتنوا فيه هِجْرَة وبنوا فيها مَسْجِدًا ومَطَاهِر وجعلوا قواعد دينهم وأساسه فان . وذهبوا إلى أن العالم يَحِيل ويَسْتَحِيل وأن الخَلْق تساووا فى ست خِصَال هى الخَلْق والرِزْق والموت والحياة والبعث والمجازاة ، ونفوا جميع الأفعال عن الله [1] .

عقائد المطرفية

ويُوَافِق المطرفية الزيدية الهادوية فى الفروع والإمامة ، ويُخَالِفُونهَم فى العقيدة [2] . فيَعْتَقِد المطرفية فى فَلْسَفَةٍ طبيعة ويقولون بحدوثِ العالم وأن الله فاعلٌ مختار خَلَق الأصُولَ الأربعة وهى : الماء والنار والهواء والثرى وهى التى تُدَبِّر العالم ، ثم خَلَق منها كل شيء . وجَعَلَها الله مختلفة ومُضَادة كل منها للأخرى لكى تؤثر بعضها على بعض وتُحْدث التغيير أى (الإحالة) ، وتُغَيِّر نفسها بنفسها أى (بالاسْتِحَالة) [3] وعلى ذلك فإن « الحَوَادِثَ اليومية كالنباتات والمولودات والآلام ونحوها حادثة من الطبائع الحاصلة فى الأجْسَام ولا تأثير للقديم فيها أصْلًا » [4] .

ونَظَرًا لاعتقادهم بأن هذه الأصول الأربعة هى التى تُدَبِّر العالم ، ذهبوا إلى أن الله تعالى لا يَجب أن يُوصَف بصفات : « القَادِر والعَالِم والحَىّ والمَوْجُود والسَمِيع والبَصِير » [5] .

= كتابة إقرار تستلزم فيه تسليم النسخة المصورة بعد تحميضها إلى المفوضية اليمنية فى القاهرة . ومن الكتاب نسخة أخرى فى الأمبروزيانا برقم D 291 (راجع ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ١٠٧ - ١٠٨) .

(١) يحيى بن الحسين : الطبقات ٤١ ظ .

(٢) المصدر نفسه ٤١ ظ و .

(٣) يحيى بن الحسين : الطبقات ٣١ ظ . أى تأثير الله تعالى فى أصول الأشياء دون فروعها .

(٤) المصدر نفسه ٣٨ و .

(٥) شرح الثلاثين مسألة (مخطوطة برلين رقم ٢٣٦٥) ١٣٠ و .

ومن أهم مبادئ المطرفية مبدأ (الهِجْرَة) حيث خرجوا إلى الوديان وكَوَّنُوا مجتمعًا متميزًا له تعَالِيمه وعَقَائِده الخاصة به ، التى عَدَّها عُلَماءُ الزيدية خروجًا على الدين توجب تكفيرهم . فقد دعاهم رؤساؤهم إلى التخلى عن الصلاة مع الظالمين والهِجْرة مع صحابتهم . وأشاروا إلى أن هذه الدعوة وُكِّل بها أوائل الصحابة فى مكة ضد مجتمعهم القرشى [١] .

ويُرْجِع المُطَرِّفية سند مذهبهم إلى الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين ، والهادى أخذ على أبى القاسم البَلْخِى المعتزلى . غير أن الأصول التى أخذوا بها من أقوال الهادى بعيدة فيما يَسْتَدِلُّون به على الإحالة والاستحالة ، فإن أقوال الهادى مُجْمَلة لا يُصَرِّح فيها بما يَذْهَب إليه المطرفية ، وإنما أحْدَث هذا الرأى مطرف بن شهاب بفكرته ونَظَره وتَوَهَّم أنه يوافق أصول الهادى [٢] . ويرى سائر الزيدية أن أقوالهم خارجة على مقتضى الكتاب جارية مجرى الرأى [٣] .

يقول ابن الوزير نقلًا عن أحد الفقهاء : « وَقَفْتُ بالرجو [٤] مع بعض أهله – وكان الرجو من ديار التطريف – على كُتُبٍ عديدة فيها خُلاصة مذهبهم وتحقيق قواعد عَقَائِدهم ، فلم أجد فيها شيئًا من الموجبات لتكفيرهم ، وإنما اعتقادهم اعتقاد أبى القاسم البَلْخى . قال وهم عندى أئمة محاريب » [٥] .

فما هى مقالة المُطرفية ؟

يقول يحيى بن الحسين « إنهم لا يَعْتَقِدُون « عقيدة الطبائعية » نفسها لأن الطبائعية الذين يَنْفُون التأثير لله تعالى وأصول الأشياء يحكمون بالطبع لنفيهم

---

(١) Madelung, W., « *A. Mutarrifi manuscript* », p. 77

(٢) يحيى بن الحسين : الطبقات ٤٧ و .

(٣) المصدر نفسه ٥٤ و .

(٤) الرجو قرية فى ناحية أرحب .

(٥) ابن الوزير : تاريخ بنى الوزير ١٠٢ و .

الصانع سبحانه وليس كذلك المطرفية ، فإنهم حكموا بأن التأثير لله تعالى فى أصُول الأشياء ، لولا أنه تعالى خير الأصول على ما يتولد ويستحيل لما حَصَل شىء منها من التوالد والاستحالات ، وجعلوا التأثير من الأصول بالتوالد والاستحالة حقيقة ومن الله مَجَازًا . وأهلُ الحق قالوا بالعكس وهو أن الله تعالى هو المُخْتَرِع للفروع والاستحالات حقيقة لا كما يقول المطرفية المبتدعة » [1] .

وفيما يلى مقارنة بين أقوال المطرفية وأقوال الزيدية فى بعض المسائل كما جَاءَت فى كتاب « المصباح اللائح فى الرد على المطرفية » لعبد الله بن زيد [2] .

١) قالت المطرفية : ما خَلَقَ الله بقصده وإرادته إلَّا الأصول الثلاثة التى هى الماء والثرى والهواء ، وربما زاد بعضهم معجزات الأنبياء ، وكذَّبوا قول الله تعالى ﴿ أفرأيتم ما تحْرُثون أأنتم تزْرَعونه أم نحن الزارعون ﴾ [3] إلى قوله تعالى ﴿ أفرأيتم النار التى تورون ﴾ [4].

وقالت الزيدية : إن الله تعالى هو الخالق لجميع العالم من الأرض والسماء وما بينها وما تحت الثرى وإنه الذى أحدث النبات وأموت الأموات وأنشأ السحاب واخترع الثريات من غير سبب من الأسباب بل كَفَت فى ذلك قدرته وأثرت فيه إرادته ومشيئته كما قال تعالى ﴿ إنمَّا قَوْلُنا لشىء إذا أَرَدْناه أَنْ نَّقُولَ له كُن فيكون ﴾ [5] .

---

(١) يحيى بن الحسين : الطبقات ٥٤ و .
(٢) يحيى بن الحسين : الطبقات ٣٩ ظ - ٤١ و .
(٣) الآية ٦٤ سورة الواقعة .
(٤) الآية ٧١ سورة الواقعة .
(٥) الآية ٤٠ سورة النحل .

٢) قالت الزيدية : إن حراسات الأرض كالجَراد والديدان والخنَافِس والجُعْلان والعَقارب والحَيَّات هى خلق الله وإرادته وقصده .

وقالت المطرفية : ليست من خلق الله ولا من إرادته وإنها قبيحة وكذَّبوا قول الله تعالى ﴿ والله خَلَق كل دَابة من مَاء فمنهم من يمشى على بَطْنِه ومنهم من يمْشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع ﴾ [١] .

٣) قالت الزيدية : إن مَرَض الأجساد ومَوْت الأولاد وحدوث العاهات وجميع الآفات من خلق بارى البريات .

وقالت المطرفية : ليس ذلك من خَلْق الله ولا قَصْده وكذَّبوا قول الله تعالى هو ﴿ الذى خلق الموت والحياة ﴾ [٢] .

٤) قالت الزيدية وسائر علماء الإسلام : إن الله تعالى هو الرازق للأبرار والفُجَّار والأشرار والكُفَّار .

وقالت المطرفية : إن الله تعالى لا يَرْزقهم فى حالٍ من الأحوال ، وكذَّبوا قول الله تعالى ﴿ إن قتلهم كان خطئًا كبيرًا ﴾ [٣] وكذَّبوا قول الله تعالى ﴿ أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونُفُور ﴾ [٤] .

٥) قالت الزيدية : إن القحط والخير والشر والصحة والمَرَض كله من خلق الله وبإرادته .

---

[١] الآية ٤٥ سورة النور .
[٢] الآية ٢ سورة الملك .
[٣] الآية ٣١ سورة الإسراء .
[٤] الآية ٢١ سورة الملك .

وقالت المُطَرفية : ليس ذلك بإرادته وقَصْده وخَلْقه وكَذَّبوا قول الله تعالى ﴿ ونبلُونكم بالشر والخير فتنة ﴾ (١) .

٦) قالت الزيدية : الغيث والبَرَد من اختراع الله تعالى وإرادته .

وقالت المطرفية : من الطبائع لا بمشيئة وكَذَّبوا قول الله تعالى ﴿ ويُنْزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عَن مَّن يشاء ﴾ (٢) .

هذه بعض أقوالهم مُقابَلة بأقوال الزيدية المُختَرعة الذين يرون أن المطرفية يتتبعون فى آرائهم جُمْلَة من آراء فرق الأمة المختلفة ، وبَعْض مذاهب المُلْحِدة والدهرية والمَجُوس وعَبَدَة الأوثان واليهود والنصارى فيما يتعلق بالهَرْطَقَة (٣) . ولا ينبغى أن نَبْحَث عن تأثير كبير لتأثير الفَلْسَفَتَيْن اليونانية والإسماعيلية لَدَى المطرفية (٤) ، الذين وَصَل إلينا كتاب واحد فى عقائدهم هو « البُرْهَان الرَائِق المُخَلِّص من وُرَط المَضَائِق » لسُلَيْمان بن محمد المَحَلِّى احتج فيه على قواعدهم وَرَّد على مخالفهم وعَزَا أصولهم إلى نصوص يَنْقُلها عن الهادى والقاسم ويأخذ معتقدهم منها (٥) . وقد تَوَفَّر على دَرْس هذا الكتاب مَادِلُونج ويرى أنه لا توجد فى هذا المؤلف ، أثناء عرضه لتعاليم المطرفية ، أى آثار لمفردات يونانية أو إسماعيلية (٦) .

وفى الفترة بين بداية القرن الخامس وأواسط القرن السابع نستطيع أن نَلْحَظ

---

(١) الآية ٣٥ سورة الأنبياء .

(٢) الآية ٤٣ سورة النور .

(٣) Tritton, A. S. « The Mutarrifiya » *Le Muséon* 63 (1950) p. 64 نقلا عن الخاتمة لأنف الضلال لأحمد بن سليمان .

(٤) Strothmann, R., « Die Litteratur der Zaiditen », *Der Islam* II (1911), p. 69 .

(٥) يحيى بن الحسين : طبقات ٦٧ .

(٦) Madelung, *op. cit., p. 79* .

مقاومة عنيفة من الزيدية المخترعة ضد المطرفية . فَذَهَب بعض رجال الزيدية إلى حَدّ تكفيرهم ومنهم من توقف فى ذلك .

فقال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة أنهم كُفَّار تصريحًا ، ولا يُفَرِّق فى ذلك بين دار الحرب ودار الكفر [١] .... وإنهم زادوا على كفَّار المجوس والنصارى والمُجْبِرَة » [٢] . أما الأمير المنتصر محمد بن المفضل فلا يعتقد تكْفير المطرفية ولا المُجْبرة بناء على رأى من لم يُكَفِّر بالإلزام والتأويل كالمؤيد فى الدين الهَارُونى . فالإلزام نوع من القياس وهو ظَنِّى لا يُكفَّر به [٣] إذ يؤدى إلى تكفير أهل الإسلام .

وقد صرَّح بعض رجال المطرفية بالكفر تصريحًا بيِّنًا ليس بالإلزام ، فقال رجل منهم « إنه كافر برَب يُميت الأطْفال » ، فهذا تصريحٌ بَكُفْره لأن الله تعالى هو المميت للأطفال . وكما قال شيخ من شيوخهم للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان : « ما عَدَل الله فى أن يُميت أخى صغيرًا فيُدْخله الجنة ، ويُعَمِّرنى شيخًا كبيرًا حتى يُدْخِلنى النار » فهذا تصريحٌ بالكُفْر لا من طريق الإلزام [٤] .

وبسبب ضَيَاع كُتُب العقائد المطرفية عن طريق خصومهم ، فإننا لا نستطيع أن نُقَيِّم الفرقة تقييمًا حقيقيًا . فيرى من وَقَف على مؤلفاتهم أن اعتقادهم هو اعتقاد أبى القاسم البلخى [٥] وأنهم يقولون أيضا بمقالة النَّظَّام

---

(١) دار الكفر التى تظهر فيها المعاصى جهارًا ، أو لا يستطاع القول بكلمة الشهادتين فيها . ودار الحرب التى للمسلمين حق غزوها وأن تغزونا ، أى ليس بيننا وبينهم عهد ولا ميثاق .

(٢) يحيى بن الحسين : الطبقات ٣٨ ظ .

(٣) المصدر نفسه ٣٩ و .

ومن تعريف الإلزام « أن يلزم الغير على ما لا يقول به فيقوله » . (ابن الوزير : تاريخ بنى الوزير ١٠٤ و) .

(٤) يحيى بن الحسين : الطبقات ٣٩ ظ .

(٥) ابن الوزير : تاريخ بنى الوزير ١٠٢ .

والجاحظ من المُعْتَزِلَة فقد كان النَّظَّام يقول إن الله تعالى خَلَق الموجودات دَفْعة واحدة على ماهى عليه الآن ، معادنًا أو نباتًا أو حيوانًا أو إنسانًا ولم يتقدم خَلْق آدم على خلق أولاده غير أن الله أكمن بَعْضها فى بعض [١] .

ويتَّفق المطرفية مع مدرسة المعتزلة البغدادية التى تأثر بها كثيرًا الإمام الهادى إلى الحق نفسه ، حتى أن سليمان المحلى مؤلف كتاب « البُرْهَان الرائق » كثيرًا ما نجده يؤيد آراء البغداديين فى مسائل الخلاف بين معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد ، وكثيرا ما يَذْكُر اتفاق آرائه مع آراء المعتزلة البغدادية [٢] ، ويَعْتَمد فى ذلك كثيرًا على كتاب « المقالات » لأبى القاسم البَلْخى الكَعْبِى المتوفى سنة ٣١٩ / ٩٣١ ، أحد شيوخ المعتزلة البغداديين [٣] . وهو يؤيد آراء المعتزلة البغداديين فى أن أول واجبات الإنسان تكون فى معرفة الله وليس فى النظر الذى يؤدى إلى معرفة الله كما يقوله معتزلة البصرة [٤] .

وتَخْتَلف المطرفية مع المعتزلة البغداديين عندما يُخَالِفُون تعاليم الهادى فَيَذْكر سليمان المحلى « أن المَعْدُوم ليس شيئًا » ، وهذا عكس رأى معتزلة بغداد ، كما يوافقون الهادى فى القول بأن الصفات الإلهية متساوية كلها بالأخرى ومع الذات ، وهذا رأى لا يتفق عليه المعتزلة [٥] .

كذلك يَرْفُض المطرفية تَفْكير المُعْتَزِلة فى (النظرية الذَرِّية) ، فَرَفَضُوا وجود الذرات ، حيث أن الجَوهْر عندهم جزء لا يتجزأ ، ويعتقدون أن أعراض الأجسام ليست إلَّا أوصافها (أى الصفات والأحوال التى تَمُرّ بها) ،

---

(١) ابن نباتة : سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤) ٢٢٦ .

(٢) Madelung, *op. cit.*, p. 76 .

(٣) *Ibid.*, pp. 76 - 80 .

(٤) Madelung, *op. cit.*, p. 76 .

(٥) *Ibid.* p. 77 .

فالحوادث لا تَحْدُث إذًا كما يقول المعتزلة بِصَفة عفوية مُخْتَارة من الله ، إنما تنتج من تغير العوامل على طَبِيعتِها ، كذلك يختلفون مع المعتزلة فى أن الحوادث يمكن أن تُرَى وتُسْمَع أو تُدْرَك بالحواس ، فالأجسام فقط هى التى يمكن أن تدرك بالحواس [١] .

ولا نعرف ما هو منشأ هذه الآراء الطبيعية للفرقة المطرفية ، والتى تعارض آراء الفرق الإسلامية المعاصرة كالمعتزلة والأشاعرة !

يبدو أن المطرفية أرادوا أن يمثلوا تيارًا متدينًا يستمد تَعَالِيمه من أصول الإمام الهادى مؤسس الزيدية فى اليمن ، ويَجْذِبُون إليهم عوام الناس ، ولكنهم بعدوا فيما أخذوا به عن أصول الهادى ، وكان الهادى فى الأصول بغداديًا لأنه قرأ على أبى القاسم البلخى فقال بمذهبه [٢] . ويرى مادلونج أن المطرفية لم تَنْحَرف إلَّا بعد قدوم دعوة أئمة الزيدية من بلاد الجيل والديلم إلى اليمن فى أواسط القرن الخامس الهجرى ، الذين تَشَبَّعوا تمامًا بآراء المعتزلة البصريين ، واعترف بهم وبآرائهم الأئمة اليمنيون وخاصة المتوكل على الله أحمد بن سليمان والمنصور بالله عبد الله بن حمزة [٣]. وعلى ذلك فليس بغريب أن تَتَمَتَّع المطرفية بتأييد عريض فى عدة مناطق يمنية . وقد كان منهم كثيرٌ من علماء الزيدية الذين عادوا إلى مذهب الاختراع مثل القاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام .

وَتَرَكَّز نشاط المُطَرفية فى اليمن فى مناطق غَرْب صنعاء ، وفى مُدُن وَقْش وَلهِنَاع والرَّجْو وفى بعض مدن تِهَامَة ، حيث انتشرت الهِجَر التى لجأ إليها علماءُ المطرفية ونَشَرُوا منها تعاليمهم [٤] .

---

(١) *Ibid.*, p. 78 .

(٢) يحيى حميد : نزهة الأنظار ٩ ظ - ١٠ و .

(٣) Madelung, W., *Der Imām al-Qāsim ibn Ibrāhīm* (Berlin 1965), p. 203 .

(٤) Madelung, *Mutarrif Ms.* p. 78 .

وكانت مدينة وقَش هى مركزهم الرئيسى وكانوا يَلْتَقُون بها مرة كل عام ، ويأتون إليها من كل مكان [١] .

القاضى جعفر بن عبد السلام
ودخول كتب المعتزلة إلى اليمن

كان الإمامُ زَيْدُبن على ، الذى تَنْتَسِبُ إليه الزَيْدِيَّة ، تلميذًا لواصل بن عَطَاء رأس المعتزلة ، فأَخَذَ عنه مذْهَبَه وصَار جميعُ أصحابه معتزلة فى الأصول [٢] . ولم يُخَالِف زيدٌ المعتزلةَ إلَّا فى مسألَةِ المَنْزِلَة بين المَنْزِلَتَيْن [٣] . ويرى ابن أبى الحديد أن المعتزلةَ ، أهلِ التوحيد والعدل ، تلامذةُ على بن أبى طالب ، لأن كبيرَهُم واصلَ بن عَطَاء تلميذُ الإمام على ! [٤] فلذلك كان كثيرٌ من معتزلةِ بَغْدَاد ينْتَسِبُون إلى زَيد فى كُتُبِهم ، ويقولون : « نحنُ زَيْدِية » [٥] .

أما الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين ، مؤسس الدولة الزيدية فى اليمن ، فقد أَخَذَ أصولَ الدين على أبى القاسم البَلْخِى الكَعْبِى أحدِ شيوخِ المعتزلة البغدادية [٦] . لذلك كان يوافِقَهُم فى مسائل الأصول .

---

[١] Madelung, *Der Imām*.. p. 204 .

[٢] البلخى : المقالات ٦٤ ، القاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٣٩ ، الحاكم الجشمى : العيون ٨ و ، ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ٣٣ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١١٦ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ٢ :٣٧ ، الجندارى : تراجم الرجال ٤ .

[٣] ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ٣٤ .

[٤] ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٥ م) ١ : ١٧ ، القاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال ١٦٤ و ٢١٥ ، نشوان الحميرى : الحور العين ٢٠٦ .

[٥] نشوان الحميرى : الحور العين ١٨٦ .

[٦] يحيى حميد : نزهة الأنظار ٩ ظ .

كانت هذه الصِّلَةُ الكبيرة بين مذْهَبَى الزيدية والمعتزلة سببًا فى أن حَفَظَ لنا اليمنُ تراث المعتزلة الكبير بعد أن عَمَد أهلُ السنة إلى إتلافه والقَضَاء عليه على يدِ الأَشَاعِرَة والسَّلاجِقَة السنِّيين .

ولكن كيف وَصَل هذا التراثُ الكبير إلى اليمن ؟

كان كثيرٌ من دعاة الزيدية فى الجيل والدَّيْلَم والعراق يَصِلُون إلى اليمن على هيئة أفرادٍ ووفودٍ للقاء الزيدية بدءا من أواسط القرن الخامس الهجرى [١] . منهم داود بن محمد الجِيلَانى الواصل إلى اليمن قادمًا من العراق [٢] ، والعَلَّامة عبد الله بن زَيْد العَنْسِى « الذى وَصَلَ بالكتبِ النفيسة من العراق ورَدَّ على المُطَرِّفِيَّة بِدْعَتَهُم » [٣] فى سنة ٥٠١ / ١١٠٧ [٤] . والعلَّامة محمد بن عيسى العراق القادم من الجيل والدَّيْلم إلى اليمن فى أواسط القرن السادس الهجرى وكان يَرَى رأى المؤيد فى الدين الهَارُونِى البَطْحَانى « عارفًا بالموجزات من الكتب مطَّلِعًا على خَبَايا بَسَائِطها ... وَوَصَل إلى مدينة وَقْض – وهى يومئذ مملوءة بالتطريف – فقامت سوق الحقّ مَعَه » [٥] .

وفى سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) قدم إلى اليمن الإمام زَيْد بن على بن الحسين الخُرَاسانِى الزيدى البَيْهَقِى [٦] . وكان شَيخَه فى الأصول والفروع الإمام الفضل بن الحاكم أبى سعيد المُحَسِّن بن محمد بن كَرَّامَة الجُشَمِى ، وقيل إنه

---

[١] ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ١٨١ .
[٢] المصدر نفسه ٢ : ٢١٣ .
[٣] يحيى بن الحسين : الطبقات ٥٦ و .
[٤] حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ١٠٧ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٣ : ٣٩ .
[٥] ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٤ : ٣٩٣ – ٣٩٤ .
[٦] حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٠٦ – ١٠٨ ، ابن الوزير : تراجم بنى الوزير ١٥١ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ٢٣٧ – ٢٣٨ .

قرأ على الحاكم نفسه [١] . وكان الشريُف عُلَىّ بن عيسى بن حمزة السُّلَيْمَانى [٢] . عالم مكة المشرفة ، بعث كتابًا إلى الإمام المتوكل على الله أحمد بن سُلَيْمَان يُخْبره بقدوم الفقيه زيد ويُثْنى عليه . فوَصَل إلى الإمام المتوكل على الله ومعه « كتبٌ غريبة وعلومٌ حسنة عجيبة » فأحْسَن المتوكل استقباله والاحتفاء به ، فأقام سنتين ونصفًا مجاورًا لقبر الهادى إلى الحق ، يروى الأخبار فما أعاد خبرًا مرتين [٣] . ويُقَال إن الشريف عُلَىّ بن عيسى استدعاه من العراق لما ظهر مذهب التَطْرِيف ببلاد اليمن ، فَخَرج إليها « أَنَفَة للشرع وغَضَبًا لله » ولقى شدائد فى طريقه حيث نُهِبَت أكثرُ كتبه بين مكة والمدينة [٤] .

ومن بين من لقوا الفقيه زيد القاضى جَعْفَر بن أحمد بن عبد السلام [٥] الذى كان فى بادىء أمره يعتقد أقوال المُطَرِّفِيَّة ، فلما قرأ على الفقيه زيد رَجَع عن مذهب التطريف إلى الاختراع [٦] فكان عالمَ الزيدية المخترعة وإمامَها وأحَدَ كبار معاونى الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان ضد المُطَرِّفية الذين استَقْوت بدعتهم فى هذا الوقت [٦] .

---

[١] ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ٢٣٧ .

[٢] عُلَىّ بضم العين المهملة وفتح اللام تصغير على قال الفاسى : وهذا بعيد أن يقع من الأشراف لفَرْط حبهم على رضى الله عنه ، فلا يُصَغِّرون اسمه (الفاسى : العقد الثمين ٦ : ٢١٧ – ٢٢١ و ٢٢٠) العماد الأصفهانى : خريدة القصر (قسم الشام) ٣ : ٣٢ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٣ : ١٥١) ولأجل هذا الشريف صنف الزَمَخْشَرِى كتاب الكشّاف فى التفسير (الفاسى : العقد الثمين ٦ : ٢٢٠ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ٢٧٧ .

[٣] ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ٢٣٧ .

[٤] المصدر نفسه ٢ : ٢٣٧ ، حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٠٧ .

[٥] ترجمته عند ابن الوزير : تراجم بنى الوزير ١٥٠ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ١ : ٣٧٧ – ٣٨٢ ، يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ٦٥ .

[٦] ابن الوزير : تراجم ١٥١ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ١ : ٣٧٧ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٦٧ .

[٧] ابن أبى الرجال : مطلع البدور ١ : ٣٧٧ .

وقرأ على هذا الفقيه أيضًا العلامة الحسين بن حسن بن شبيب الشهابى ، كان اعتقد شيئًا من مذاهب المطرفية ، فَرَجَعَ عنه بعد أن قرأ عليه ، ورَجَع من أتباعه خمسمائة رجل صاروا زيدية مُخْتَرِعَة [1] .

وأراد القاضى جَعْفر المسيرَ بصُحْبَة الإمام زيد حين عودته إلى العراق ليطَّلِعَ على ما تقوله الزيدية فى هذه النواحى . وفى طريقهم إلى مكة توفى الفقيه زيد فى تِهَامَة فى موضع يقال له السحيان فى المِخْلاف السليمانى ، وكان ذَلك الموضع خلاءً فأصبح مأهولًا وقبره به مشهور مزور [2] . وتقَدَّم جعفر إلى العراق فلقى تلميذًا للفقيه زيد أخذ عنه ، ولم يجد إلّا مذاهب المعتزلة منتشرة هناك ، وبواقى من بَقِي من الزيدية هناك قد صارُوا على عقائد المُعْتَزِلَة ، فأخذ على المعتزلة البَهْشَمِية [3] ، وأخرج معه كثيرًا من كتب المعتزلة إلى اليمن يحْتَجّ بها على المُطَرِّفية ويُنَاظِرهم فى مذاهبهمالتى اعتقدوها [4] . « فمن ذلك الوقت ظَهَر واشتهر مَذْهَب المعتزلة وكتبهم فى اليمن » [5] وكان يقال فى شأن القاضى جعفر « سَارَ وهو أعلمُ أهل اليمن ، ورَجَع وهو أعلمُ أهل العراق » [6] .

ولما وَصَل القاضى جعفر إلى اليمن سأله الإمام المتوكل على الله فيما إذا كان عَلمَ أحدًا ممن لقيه بالعراق يقول شيئًا مما يَقُولُه المُطَرّفية ، أو وَجَد ذلك فى كتاب فأجَابَه بالنفى . فأمره الإمام أن يرُدَّهم عن جَهْلِهم ويُنْكر بدَعِهم لأن رسول الله ﷺ ، يقول : « إذا ظَهَرَت البدع من بعدى فليُظْهِر العالم عِلْمَه ، فإن لم يَفْعل ، فعليه لعنة الله » [7] . فأجابه القاضى جعفر بأنه

---

(1) المصدر نفسه ٢ : ١٣٥ .

(2) ابن الوزير : تراجم ١٥١ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ١ : ٣٨٠ و ٢ : ٢٣٨ .

(3) ابن الوزير : تراجم ١٥١ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٦٤ و .

(4) يحيى بن الحسين : الطبقات ٦٤ و .

(5) يحيى بن الحسين : أبناء الزمن ٢٢٣ .

(6) ابن الوزير : تراجم ١٥١ (عنه ابن أبى الرجال : مطلع البدور : ١ : ٣٨٠) .

(7) ابن أبى الرجال : مطلع البدور ١ : ٣٧٨ ، يحيى بن الحسين : الطبقات ٦٤ ظ .

يَعْرف ما يقوله ولكن القوم أصبحوا ملء اليمن ، فلو أنْكَر عليهم أمرًا « لرموه عن قَوْسٍ واحدة » [١] فوَقَع كلام الإمام فى نَفْسِ القاضى جعفر فأظْهَر كُتُبَه التى جاء بها من العراق ، وقام للتدريس فى سَنَاع . فتربَّص به المُطَرِّفية وأخذوا يُبْعِدُون عنه الناس ويقولون لهم إنه باطنى ابن باطنى . فَطَلب إليهم المناظرة وهم يجادلونه ويؤذنه . فلما بَلَغ الإمام المتوكل ما يلقاه القاضى جعفر من المُطَرِّفية ، أَخَذَ يطوفُ البلاد ينهى الناس عن مذهبهم ويحذِّرهم منه حتى أثَّر ذلك فى أكثر الناس ونَفَروا منهم إلَّا القليل [٢] .

ووَضَع القاضى جعفر عِدّة مصَنَّفَات كان عليها اعتماد الزيدية فى وقته واستفادوا منها وأفادوا ، وصاروا أئمة يُضْرب بهم المثل حتى قيل لهم « مُعْتَزِلةُ اليمن » [٣] .

ووَقَعت مناظرةٌ بين القاضى جعفر والإمام يحيى بن أبى الخَيْر العمرانى الشافعى فى مدينة إب فالقاضى جَعْفَر زيدى معتزلى بينما ابن أبى الخير شافعى فى الفروع [٤] .

* * *

كان سَفَرُ القاضى جعفر إلى العراق سببًا فى نَقْل تراث المعتزلة إلى اليمن ، وفى الوقت الذى ضاعت فيه أغْلَب كتُبهم على يدِ خصومهم من أهل السنة حَفَظَ لنا علماءُ اليمن هذه المصنفات .

---

(١) يحيى بن الحسين : الطبقات ٦٤ ظ .
(٢) ابن أبى الرجال : مطلع ١ : ٣٨٠ .
(٣) يحيى بن الحسين : الطبقات ٥٤ .
(٤) انظر أعلاه ص ٥٣ — ٥٤ .

ولم يَتَنبَّه العلماءُ المُحْدَثُون إلى وَفْرَة تراث الاعتزال فى اليمن إلَّا منذ نحو ثلاثين عامًا فقط عندما أوفدت الحكومة المصرية بعثة علمية إلى اليمن لتصوير المخطوطات العربية الموجودة فيها [١] ، فصوَّرت الكثير من نفائس مصنفات المعتزلة هناك مثل :

- المغنى فى أبواب التوحيد والعدل — للقاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى المتوفى سنة ٤١٥ هـ .
- فَضْلُ الاعتزال وطبقات المعتزلة — " " " " " "
- المَجْمُوع المحيط بالتكليف — " " " " " "
- المُعْتَمَد فى أصول الفقه — " " " " " "

---

[١] عملت هذه البعثة فى اليمن فى الفترة من ديسمبر ١٩٥١ إلى مارس ١٩٥٢ ، وأعقبتها بعثة أخرى فى سنة ١٩٦٤ صورتا الكثير من نفائس كتب المعتزلة والفقه الزيدى وعقائد الباطنية ، ووضعت مصوراتها جميعا فى دار الكتب المصرية . (راجع ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ٤١٩ - ٤٢٩) .



الفصل الثانى

الدولة الزيدية الثانية فى اليمن

نَشَأت الدولَةُ الزيدية الأولى فى اليمن سنة ٢٨٤ / ٨٩٨ مَعَ القُدُوم الثانى للإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن [١] . واستمرت الدولة الزيدية الأولى بعد وفاة الهادى سنة ٢٩٨ / ٩١١ وحتى وفاة الإمام الحسين ابن القاسم بن على العِيَانِى سنة ٤٠٤ / ١٠١٣ . فَبَعْد وَفَاتِهِ لم تَعُد تَنْطَبق صفة الأئمة على خلفائه لعَدَم توفّر شروطها فيهم وكان خلفاؤه إما دعاة أو محتسبين أو مقتصدين[٢] . ففى سنة ٤١٨ هـ (١٢٠٧) قدم داع من الحجاز

---

[١] راجع على بن محمد العلوى : سيرة الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين ، تحقيق سهيل ذَكَّار (بيروت ، دار الفكر ١٩٧٢) ، ابن النديم : الفهرست ٢٧٤ ، الناطق بالحق : الإفادة ٢٩ و – ٣٤ ظ ، يحيى بن الحسين : أبناء الزمن (ماضى) ٧ – ٥٣ ، ماضى : « دولة اليمن الزيدية » ، المجلة التاريخية المصرية ٣ (١٩٥٠) ٢٣ – ٣٢ . ,Strothmann, R., *Der Islam* I (1910) p. 350; II (1911), p. 63; Van Arendonk, *Les débuts de l'Imamat Zaidite au Yemen* (Leyde . 1960), pp. 127 - 135; Brock. *GAL* I, 198.*S* I, 315; Sezgin, *GAS* I, 563 - 566 .

[٢] المُحْتَسِب لا ولاية له على شيء من أموال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز له قبضها إلا أن يأذن له أربابها ويأمروه بذلك Strothmann, *op. cit.*, p. 77 n. 3 نقلا عن مخ . برلين رقم ٤٩٤٤ ورقة ٧٣ و) .

والفرق بين الإمام والمُحْتَسب . أن الإمام يختص بأربع خِصَال : إقامة الجُمَع ، وأخذ الأموال كرها ، وتجييش الجيوش لفض الظالمين ، وإقامة الحدود على من وجبت عليه وقتل من امتنع من الانقياد لها . أما المحتسب فيقوم بالنهى عن المنكر بلسانه وسيفه على مراتبه والأمر بالمعروف بلسانه دون سيفه ، وسد الثغور وتجييش الجيوش للدفع عن المسلمين وحفظ ضعيفهم ... وحفظ الأوقاف وتفقد المناهل والمساجد والسبيل والمنع من التظالم . (Strothmqnn, R. *op. cit.*, p. 77 n.3 نقلا عن مخ برلين ٤٩٤٤ ورقة ٧٣ ظ) .
=

هو : أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى [١] الذى دَخَل صنعاء سنة ٤٢٦ / ١٠٣٥ وأقام بها محتسبًا وتَلَقَّب بالنَّفْسِ الزَّكِيَّة ودَخَل فى صراعٍ مع القائد مرجان الحَبَشِي ، صاحب الكَدْرَاء بتِهَامَة ، وحَلَفَت له هَمْدان سوى بنى حماد ، وخَرَج من صَنْعَاء إلى رَيْدَة بعد أن عَارَضَه حسين بن مَرْوَان ، وأقام بها إلى حين وفاته سنة ٤٣١ / ١٠٤٠ [٢] بنَاعِط من بلاد حَاشِد ، ومشهده بها مشهور مزور . ممن أنكروا مذهب المطرفية [٣] .

وقام بالأمر بعده حَمْزَة بن الحسن مُحْتَسِبًا وليس بإمام ، وشَهِد بفَضْلِه المُوَالف والمُخَالف ، وأنكر أشياء كثيرة على المُطَرِّفِيَّة ، وكانت له مع بنى الصُّلَيْحى وَقَعاتٌ مشهورة ، وقُتِل سنة ٤٥٩ / ١٠٦٧ فى أحد حروبه مع الصليحى [٤] .

وكانت الدعوة فى بلاد اليمن بعد ذلك للإمام أبى الفتح الناصر بن الحسين الدَّيْلَمِى . وَصَل إلى اليمن قادمًا من بلاد الدَّيْلَم سنة ٤٣٠ هـ فمَلَكَ صَعْدَة ودعى لنفسه بها سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٦ م) وخَرَّب بعض دورها لما وجده من جور وانتهاك للشرائع . ثم سَار قَاصِدًا صَنْعَاء فمَلَكَها وقبض منها الزكاة والأعْشَار وولَّى عليها رجلين من أولاد الشريف القاسم بن الحسين الزيدى ،

= ويجب على المحتسب أن ينعزل عند ظهور الإمام ، لأن الإمامة رئاسة عامة لشخص فى الدين والدنيا . ولكن يجوز قيام جماعة محتسبين فى وقت واحد ولكن لابد من تباين الديار . (Strothmann, R., *op. cit.*, p. 100 n. 1 نقلًا عن مخ برلين ٤٩٤٤ ورقة ٧٣ ظ) .

(١) الحبسى : تتمة الإفادة ٥٢ ظ .

(٢) حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٨ ؛ الحبسى : تتمة الإفادة ٥٢ ظ – ٥٣ و .

(٣) ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٢ : ١٨٣ .

(٤) حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٨٣ .

ثم صار إلى مدينة ذِى بِين حيث اختَطَّ بها حِصْن ظَفَار وأقام بها إلى سنة ٤٣٨ / ١٠٤٧ [١] .

وفى أيامه كان ظُهُور الداعى الإسماعيلى على بن محمد الصليحى سنة ٤٣٩ / ١٠٤٧ فتَقَاعَد الناسُ عن مُنَاصَرة الإمام أبى الفتح خوفًا من سلطان الصليحى ، فأخذ يتنقل من بلدٍ إلى بلد حتى استقر فى بلاد خَوْلَان ثم فى عَنْس ، وحارب الصليحى فى بلاد مَذْحَج حتى قَتَلَه الصليحى سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢ [٢] .

ولأبى الفَتْح الدَيْلَمِى عِدّةُ مُصَنَّفات منها فى الرد على المُطَرِّفِيَّة « الرسالة المُبْهِجَة فى الرد على الفِرْقَة المُتَلَجْلجة » [٣] .

وكان أهلُ صنعاء ، بعد ظهور الصليحى ، يَجْتَمِعُون فى المساجد ويتذاكرون قُبْح سيرته وأنه سيُعِيدُ مَذْهَب على بن الفضل فتألَّم من ذلك وأمر بتَسْمير أبواب المَسَاجد [٤] .

فقام الشريف حَمْزَة بن أبى هاشم لمُحَارَبَة الصليحى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) ، فوَقَعَت بينهما حروب انتهت بقتل الشريف حمزة وأصحابه [٥] . كذلك دَخَل المُكَرَّم أحمد بن على الصليحى ذى بين سنة ٤٦٠ / ١٠٦٨ فأخرج عنها الشريف القاسم بن جَعْفر بن الإمام القاسم العِيَانِى بعد أن تقاعدوا عن نُصْرَته [٦] وفى سنة ٤٦٣ / ١٠٧١ أراد أهلُ

---

(١) حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٩١ – ٩٥ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٥٣ و – ٥٣ ظ .

(٢) الحبسى : تتمة الإفادة ٥٣ و Tritton, *EI*, art. *Rassides* 3, p. 1209 يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٥٠ . وفى كتاب الصليحيين للهمدانى أن ذلك كان فى سنة ٤٤٠ هـ .

(٣) الحبسى : تتمة الإفادة ٥٣ و .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٥٤ والمقصود الزيدية لأنه ينقل هذا الخبر عن مسلم اللحجى .

(٥) المصدر نفسه ٢٥٥ – ٢٥٦ ، حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٢٥ .

(٦) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٦١ – ٢٦٢ .

صَعْدَة منع الخُطْبَة لأولاد الهادى وجَعْلَها للصليحيين فَبَلغ ذلك الأشراف فقام الشريف القاسم بن إبراهيم من شَهَارَة واسترد دار الإمارة بصَعْدَة وأعاد الخطبة للهادويين [١] . واستطاع الأشراف أن يكسبوا بعض الجولات مع الصليحيين فاستعادوا مُدُن ثَلا وبَكُر وذى مَرْمَر سنة ٤٦٥ / ١٠٧٣ [٢] .

ظل أمرُ زيدية اليمن فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى وأوائل القرن السادس الهجرى فى أيدى بعض الأمراء المحلّيين الذين لم يَبْلُغُوا دَرَجة الإمَامَة والذين دَخلوُا فى صراع غير متكافىء مع القوة الصليحية .

وفى سنة ٥١١ / ١١١٥ وصَلَت إلى اليمن دعوة الإمام أبى طالب الأخير يحيى بن أحمد بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله ، فتلقَّاها الأمير المُحَسِّن بن الحسن بن عبد الله بن محمد وقام بها أَحْسَن قيام ودعا الناس إليها فأَجَابَه لها أهلُ نَجْرَان وصَعْدَة والجُوفين - موضع قرب نَجْرَان - . ثم قَتَله أهل صعدة هو وولده غَدْرًا ، فقام بثأره جَمَاعَةٌ منهم شيخ الشيعة فى وَقْته محمد بن عُلَيَّان ابن سعد البُحْتُرى ، ورَسُول الإمام أبى طالب نصر بن أبى جعفر ، وأَمَدَّهم الأمير غَانم بن يحيى بن حَمْزَة السليمانى بمالٍ كثير [٣] . وتوفى الإمام أبو طالب فى سنة ٥٢٠ / ١١٢٦ [٤] .

وكان القاضى أبو طالب نصر بن أبى طالب بن أبى جعفر ، رسول الإمام أبى طالب الأخير ، فقيه الزيدية فى عَصْرِه وعَالِمُهُم اجتمع فى خَزَائِنه من فنون العلم اثنا عشر ألف كتاب [٥] .

---

[١] يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٦٢ - ٢٦٣ .
[٢] المصدر نفسه ٢٦٦ .
[٣] حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ٩٩ - ١٠٦ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٥٣ ظ - ٥٤ و ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٨٧ .
[٤] حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٠٦ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٥٤ و .
[٥] حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٠٠ ، الحبسى : تتمة ٥٣ ظ .

الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان

يُعَدّ الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان مؤسس الدولة الزيدية الثانية فى اليمن . دَرَس أصول الفقه وأصول الدين على الفقيه زَيْد بن الحسن البَيْهَقِى الخُرَاسانِى – الذى قدم إلى اليمن سنة ٥٤٠ / ١١٤٥ – كما دَرَس على الفقيه عبد الله العَنْسى اليمانى الواصل من جهة الجيل والديلم بعلوم أهل البيت سنة ٥٠١ / ١١٠٧ ، كذلك دَرَس على الشيخ إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث ، وهو أحد من صنَّفُوا كثيرا فى الرد على المُطَرِّفية [١] .

وكان قيام الإمام المتوكل على الله ودعوته فى سنة ٥٣٢ / ١١٣٨ يدعو الناس إلى الرشاد ويبايعهم حتى انتظم له الأمر فى صَعْدَة وأعمالها ، ونَجْرَان ثم فى بلاد الجوف ، واستدعاه أهل صنعاء إليهم سنة ٥٤٥ / ١١٥٠ فبايعوه وقرر أمورها وأقام الحدود بها [٢] . وكانت المُطرِّفية لا تعتقد إمامته لتشددهم فى أمر الإمامة [٣] .

وجرت بين الإمام المتوكل على الله والسلطان حَاتِم بن أحمد صاحب صَنْعَاء حروب فى سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) أجابته إليها القبائل كافة فاستقر بحصن بوش أياما وأطاعه بنو شهاب وكافة أهل حضور ثم جَمَع قَبَائِل مَذْحَج وخَوْلَان ثم سار للقاء السلطان حاتم بن أحمد [٤] . فكتب إليه السلطان حاتم يطلب الدخول فى طاعته ، فلم يقبل المتوكل على الله منه ذلك [٥] . إلَّا أن

---

(١) حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ١٠٦ و ١٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ١٠٦ – ١١٧ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٥٤ و ، يحيى بن الحسين ، أبناء الزمن ٢٩٦ .

(٣) يحيى بن الحسين : الطبقات ٥٨ و .

(٤) مسلم اللحجى : تاريخ ٢٤٧ ظ ، الخزرجى : الكفاية والإعلام ٦٣ – ٦٤ ، ابن أبى الرجال : مطلع البدور ٤ : ٣٨٨ .

(٥) حميد المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ١٠٨ .

أمورًا استدعت عودة المتوكل إلى بلاد جنب ، فعاد السلطان حاتم إلى صنعاء وظَلّ بها إلى أن توفى سنة ٥٥٦ / ١١٦٢ [١] .

وكانت بدعة المطرفية قد بلغت ذروتها فى أيام المتوكل على الله فاستعان فى القضاء عليها بالقاضى جعفر بن عبد السلام الذى أتى بكتب المعتزلة من العراق يناظرهم ويجادلهم بها [٢] . ووضع بنفسه عدة مصنفات يرد بها دعوة المطرفية منها : « الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الضلال الجهال » و « الرسالة الواضحة الصادقة فى تبيين ارتداد الفرقة المارقة المطرفية الطبيعية الزنادقة » وفى هذه الرسالة جمع بين المطرفية وكل فرقة من فرق الضلال الخارجين على الملة ، وذكر لهم أقوالا تفردوا بها عن جميع الأمم موحدها وملحدها [٣] وكانت وفاته فى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧١ م) [٤] .

° ° °

انتظم أمر الزيدية بعد سقوط دولة الصليحيين بوفاة السيدة الحرة سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) وتهيأ الأمر ليقوم الزيدية باسترجاع مكانتهم بعد أن دخلت الدولة الصليحية فى دور الستر حيث كانت هى القوة السياسية الوحيدة التى تحارب دعاة الزيدية ومحتسبيها .

---

(١) الخزرجى : الكفاية والإعلام ٦٧ .
(٢) انظر أعلاه ص ٢٢٣ .
(٣) المحلى : الحدائق ١٠٨ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٥٤ ظ .
(٤) المصدرين السابقين ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٣١٨ .

الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة

ولد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان [١] بعَيْشان ظاهر هَمْدان فى شهر ربيع الآخر لإحدى وعشرين ليلة خلت سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥م) [٢] وأخذ العلم على الشيخ حسام الدين أبى محمد الحسن بن محمد الرصاص عالم الزيدية فى عصره [٣] وأقام فترة بالجوف وقدم منها إلى هجرة دار معين سنة ٥٩٣ هـ - (١١٩٥ م) يناظر العلماء . وفى يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٦ م) تقدم ومن معه من أصحابه إلى المسجد الجامع فبايعه الناس بعد أن تثبتوا من صلاحيته للإمامة [٤] . وبعد ذلك أرسل دعاته إلى نواحى بلاد الجيل والديلم فبايعه جميع من بها من الزيدية وخُطب له فى مساجدها ، كذلك اعتقد الزيدية فى جهات الرى إمامته ، ولما علا ذكره كتب يدعو ملك خوارزم علاء الدين شاه لمبايعته [٥] . وفى هذا الوقت أقام المطرفية عليهم محتسبًا الإمام العفيف ليدافع عنهم ضد ما وقع من الإمام المنصور عليهم من قبضه ما كانوا يأخذونه من أهل وَقْش ونواحيها من زكاة ووصايا وأوقاف ونحو ذلك [٦] .

وفى سنة ٦٠٠ / ١٢٠٢ عمَّر المنصور بالله حصن ظَفَار وأقام به ، فانتظم

---

[١] قامت الباحثة الفرنسية مادلين شنيدر بدراسة للنقوش التاريخية الموجودة فى المجموعة الأثرية بظفار ذى بين وكلها خاصة بالإمام عبد الله بن حمزة وقدَّمت لذلك بدراسة جيدة عن حياة هذا الإمام ، راجع : Schneider, M., « Les inscriptions arabes de l'ensemble architectural de Zafàr - Di Bin au Yemen du Nord », *Comptes rendus de l'Academie des inscriptions et Belles - lettres* (juillet - octobre 1979), pp. 556 - 577; *JA* 273 (1985), pp. 61 - 137, 293 - 369 .

[٢] حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٢٣ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٥٦ و .

[٣] حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٥٤ .

[٤] المصدر نفسه ٢ : ١٥٤ .

[٥] المصدر نفسه ٢ : ١٥٤ .

[٦] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ٢٨١ .

أمره هناك ، ثم جرت بينه وبين المطرفية فى سنة ٦٠٣ / ١٢٠٥ مراسلات كثيرة وحكم بكفرهم وسبيهم واستباحة أموالهم وتوعدهم إن لم يتركوا مذهبهم بالسيف والقتل [١] .

وقد قام الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بدور كبير فى الحفاظ على تراث المعتزلة يحاجج به الفرقة المطرفية ، استكمالًا لما بدأه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان والقاضى جعفر بن عبد السلام . فأخذ فى محاربة المطرفية وعد دورهم دار حرب ، وأخذ فى مناظرتهم أولا بالدليل والبرهان ، فلما لم يرجعوا حاربهم بالسيف وأخرب دورهم [٢] . ورجع بفضله عن هذا المذهب خلق كثيرون كانوا يقولون بمقالة المطرفية [٣] .

وفى سنة ٦١٠ / ١٢١٢ قام رجل من المطرفية يدعى محمد بن منصور ابن مفضل بن الحجاج ، من أهل وقش ، مدافعًا عنهم منكرًا على الإمام ما وقع منه من تكفير المطرفية ، فحارب أهل عران والمَصْنَعة - وهما حصنان للإمام - وأجابه كثير من بلاد حِمْير ، فجهز الإمام لمحاربته جيشًا جعل على رأسه أخاه يحيى بن حمزة تمكن من هزيمتهم وقتلهم وسبى عددًا كبيرًا منهم . وذلك لأنهم لم يقولوا بإمامة المنصور بالله ، فاستحل الإمام حرمتهم وجعل حكمهم حكم الكفار المحاربين [٤] .

وفى السنة التالية أمر الإمام المنصور بالله بإخراب مسجد المطرفية بسَنَاع وإخراب مدينة وقش، دورها ومساجدها ، فأخربت وحُمِلَت أخشابها إلى حصن ظَفَار . فخرج أهل وَقْش إلى بلاد آنس وخولان وذهبوا كل مذهب [٥] .

---

[١] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ٣٠١ ، وانظر ملاحق الرسالة .
[٢] المحلى : الحدائق الوردية ٢ : ١٦٥ .
[٣] المصدر نفسه ٢ :١٨٨ .
[٤] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ٣٠٨ ، غاية الأمانى ٣٩٧ - ٣٩٨ .
[٥] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ٣١١ - ٣١٢ ، غاية الأمانى ٤٠٠ .

فلما عظمت البلية على المطرفية أنشأ رجل منهم يعرف بابن النسَّاخ رسالة إلى خليفة بغداد الناصر أحمد يحرضه على محاربة الإمام المنصور بالله ويحثه على إرسال العساكر إلى اليمن [١] .

استجاب الخليفة الناصر لرسالة ابن النسَّاخ فأمر الملك الكامل الأيوبى ، ملك مصر بالتجهيز إلى اليمن فبعث ولده الملك المسعود صلاح الدين يوسف المعروف بالأقسيس وبعث معه جيشًا كثيفًا رحل من القاهرة فى ١٧ رمضان سنة ٦١١ / ١٢١٤ ووصل مكة أولًا ثم توجه بعد أن حج إلى اليمن فوصلها فى صفر سنة ٦١٢ هـ فهرب المنصور بالله من حصنه إلى الجبال وملك الملك المسعود البلاد [٢] .

وظلت الحرب قائمة بينهما حتى اتفقا على التصالح يوم الأربعاء غرة شعبان سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) [٣] .

وفى آخر هذه السنة انتقل المنصور بالله إلى حصن كَوْكَبان ، حيث كانت وفاته فى الثانى عشر من المحرم سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) ودفن بحصن ظَفَار [٤] .

---

(١) حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٥٧ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ٣١٥ - ٣١٦ وغاية الأمانى ٤٠٠ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٥٩ ظ .

وصاحب هذه الرسالة هو الحسن بن محمد بن النساخ عاش فى أوائل القرن السابع الهجرى . ولعل هذه الرسالة هى التى دفعت بعض الباحثين إلى الظن بأن المطرفية كانوا من أهل السنة لاستنجادهم بالخليفة العباسى .

وذكر هذه الرسالة حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٥٧ - ١٦٢ ، يحيى بن الحسين : أبناء الزمن ٣١٥ - ٣١٨ . ومن الرسالة نفسها عدة نسخ فى الأمبروزيانا بميلانو ، ودار الكتب الوطنية ببيروت ، ومكتبة الجامعة الليبية ببنغازى ، ونشر قسمًا منها محمد زبارة : أئمة اليمن ١ : ١٣٦ - ١٣٧ (راجع ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ١١٧ - ١١٨) .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب (تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠) ٣ : ٢٢٧ ، الفاسى : العقد الثمين ٧ : ٤٩٢ ، يحيى بن الحسين : أبناء الزمن ٣١٩ .

(٣) حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤) المصدر نفسه ٢ : ١٦٥ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٥٩ ظ .

وتُجْمع المصادر الزيدية على أن الإمام المنصور بالله صنَّف من المؤلفات مالا يوجد لإمام ممن قام باليمن من أئمة الزيدية . منها فى الرد على المطرفية : « الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة فى الكلام على المطرفية » ، وله فى دعوة بلاد الجيل والديلم « الرسالة الناصحة لأهل الإيمان ببلاد الجيل وديلمان والعراقين وخراسان » و « الكاشف للإشكال فى الفرق بين التشيع والاعتزال » [١]

---

[١] حميد المحلى : الحدائق ٢ : ١٦٦ ، الحبسى : تتمة الإفادة ٥٧ و .

الملاحق

مشجر الأئمة الإسماعيلية

هاشم

عبد المطلب

عبد الله — أبو طالب — عباس

محمد — علي

فاطمة — محمد بن الحنفية

الحسن — الحسين — أبو هاشم

علي زين العابدين

زيد — محمد الباقر — الخلافة العباسية "بواسطة أبو هاشم"

يحيى — جعفر الصادق

اسماعيل — موسى الكاظم

محمد — علي الرضا

عبد الله الرضا — محمد الجواد

علي الهادي

أحمد — حسن العسكري

محمد "المهدي المنتظر"

الحسين

عبد الله المهدي "مؤسس الخلافة الفاطمية"

القائم

المنصور

المعز "مؤسس الخلافة في مصر"

العزيز

الحاكم

الظاهر

المستنصر

نزار "الاسماعيلية الشرقية" الحشيشية — محمد — المستعلي "الاسماعيلية الغربية"

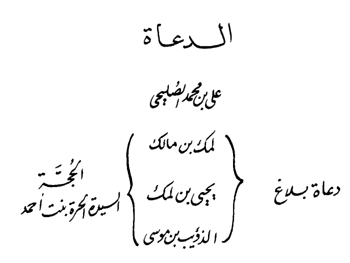
الحافظ — الآمر

الظافر — يوسف — الطيب "الاسماعيلية الطيبية"

الفائز — العاضد

HODGSON, M.G.S. The Order of Assassins (Netherlands, 1955) facing p. 160





المدافعون عن الدولة

المكرم أحمـد

سبأ بن أحمد - عامر بن سليمان

المفضَّل بن أبي البركات

أسعد بن أبي الفتوح

علي بن نجيب الدولة

علي بن عبد الله الصليحي



الأسرة الصليحية

موسى الصليحي — جعفر — محمد — أحمد — السيدة الحرة

علي الصليحي — القاضي محمد — الداعي علي — المكرم أحمد — عبد المستنصر

القاضي محمد — عبد الله — علي

(المكرم أحمد ــ ــ ــ السيدة الحرة)

* * *

مراتب الدعوة الرئيسية

الحجة العظمى

الأبواب

دعاة البلاغ

الداعي المطلق

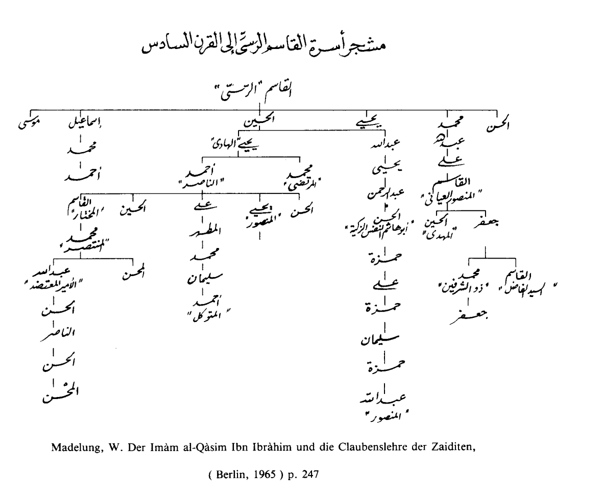
المأذون أو المأذون المطلق

المكاسر أو المأذون المحدود أو المأذون المحصور

المؤمن البالغ

المؤمن المستجيب





Madelung, W. Der Imàm al-Qàsim Ibn Ibràhim und die Claubenslehre der Zaiditen,

(Berlin, 1965) p. 247



الملحق الخامس
صفات "الإمام" عند الزيدية

كتاب « السِيَر » لأبى طَالِب الناطق بالحق المتوفى سنة ٤٢٤ هـ (١٠٣٣ م) مخطوطة برلين رقم ٤٨٧٧ ورقة ١٨٤ و – ١٨٥ و [١] .

بابُ صِفَةُ الإمام الذي تَجِبُ طاعته . الإمام الذى تَلْزَم المسلمين طاعته يجب أن يكون بعد أمير المؤمنين على عم من ذرية رسول الله ﷺ ، وذريته هم الحسن والحسين . هذا إذا لم يَكُن الإمام منصوصًا عليه كأمير المؤمنين على عم فأما إذا كان منصوصا عليه فإن النص لا يُعْتَبر معه النَسَب ويَجِب أن يكون عالمًا بما يحتاج إلى معرفته من أصول الدين وفُرُوعِه والمراد بهذا أن يكون مع عِلْمه بأصول الدين من أهل الاجتهاد فى الفروع ويجب أن يكون ورعًا تقيًا والمَرَاد به أن يكون مؤديًا للواجبات كافًا عن المُحَرّمات عَدْلًا مرضيا فى طريقته ، ويجب أن يكون شُجاعًا سائسًا ، والمراد به أن يكون له من ثَبَات القلب والعِلم بتدبير الحروب وسياسة الجمهور ما يَصْلح معه أن يكون مدَبِّر الجيوش وزعيمهم فى الحروب مستقلًا بتدبير أمر الرعية ويجب أن يكون سخيًّا بوضع الحقوق فى مَواضِعها ولا يشح ببذل الأموال فى الجهات التى تقتضى مصالح المسلمين بذلها فيها ، ولا يَمْنع شيئا منها فمن جمع هذه الخصال يصلح للإمامة فإذا باين الظالمين وتَرَشّح للقيام بما يقوم به الأئمة من أمر الأمة ودعا إلى نُصْرته ومُبايَعَته لينهض بذلك على الوجه الذى يمكن فقد انعقدت إمامته ولزم المسلمين أن يبايعوه ويُطيعوه فيما تلزم المأموم طاعة الإمام فيه .

باب ذكر ما على الإمام أن يسير به فى رعيته وما له فِعْله بعد انعقاد إمامته وما ليس له فعله يجب على الإمام أن يسير فى الأمة بالأمر بالمعروف والنَهْى

---

(١) نقلا عن . Strothmann, R., *Das Staatarecht der Zaiditen* (Strassburg 1912), pp. 104 - 106 .

عن المنكر والانتصاف للمظلوم من الظالم وإقامة الحدود على من وَجبَت عليه من شريف أو دنى قريب الرحم أو بعيدها وأن يشتد غَضَبه على مَنْ عَصَى الله ولو كان أباه أو ابنه أو غيرهما من قريب أو بعيد وعليه أن يَأْخذ أموال الله من كل من وجَبَت عليه ويضعها فى مواضعها غير خائف ولا محاب وان يحكم فى رعيته بأحكام الله تعالى ويَعْدِل فى الحكم ويُسَاوى بينهم فى قَسْم الفىء والمراد به أن يساوى بين المستحقين فيما استحقوه ولا يَبْخس أحدًا منهم حقه وأن يقرب أهل الدين والفضل ويتعهد أهل المسكنة والفقر ويعينهم ويعلمهم ما يحتاجون إليه فى الدين وأن يسهل حجابه على رعيته ولا يحتجب عنهم احتجابا يؤدى إلى الإضرار بهم فى مصالحهم . ويجوز للإمام أن يستعين بالمخالفين والفاسقين الذين يتّبعونه اتباعا يتمكن معه من إجراء أحكام الله فيهم وإقامة حدوده عليهم على من يمتنع عليه ولايلتزم طاعته من الكفار والبغاة إذا كان معه طائفة من المؤمنين قال القاسم عم يجوز للإمام أن يستعين بالمشركين على جهاد من يباينه ولا يجوز للإمام أن يتنحى عن النظر فى أمر الأمة ويعتزل التصرف فيما يتصرف فيه الأئمة وهو يجد من يعينه على القيام بأمره ويجاهد معهد ويأتمر له ويَغْلب على ظنه أنهم يستقلون بمعاونته ونُصرته فإن لم يجد من يستقل بذلك جاز له أن يعتزل الأمر وإلّا سير إذا ظفر به الإمام فإن كان قتل أحدا من المسلمين قتل به وإن جرحه اقتص منه له و إن لم يكن فعل شيئا من ذلك حبسه الإمام إلّا أن يظهر منه قبل حبسه كيد للمسلمين وقصد إلى الإضرار بهم والحرب قائمة بينه وبين أعدائه منه يجوز له قتله والجاسوس إن ثبت أنه قتل بجساسته أحدا قتل وإلا حبس .

باب ذكر ما يلزم الرعية للإمام ويجب على الأمة أن ينصروا الإمام بمؤازرته ويعينوه على أمره ويحرم عليهم أن يخذلوه ويلزمهم أن يطيعوه فيما وجب الله عليهم طاعته فينقادوا لأحكامه وينهضوا إذا استنهضهم لقتال أعدائه ويقاتلوا من يأمرهم بقتاله ويسالموا من يسالمه ويعادوا من يعاديه ولا يكتموه شيئا يحتاج

إلى معرفته وأن ينصحوه سرا وجهرا وأن لا يمتنعوا عن بيعته ومن امتنع من بيعة الإمام طرحت شهادته وأسقطت عدالته وحرم نصيبه من الفيء ومن ثبط غيره عن بيعته وجب أن يؤدب ، فإن انتهى وإلَّا حبس أو نفى من بلدان المسلمين على ما يراه الإمام ولا يحل أحد الفرار من الزحف ولا الانحراف عن العدو إلا تحرفا لقتال أو تحيزا فى فئة ومن نكث بيعة إمام فهو فاجر محكوم عليه بالفسق والخروج من ولاية الله إلى عداوته .



الملحق السادس
مقالة المطرفية

فى كتاب الهَاشِمَة لأَنف الضُلَّال من مَذَاهِبِ المُطَرَّفِية الجُهَّال بعد ذكر مخالفتهم لجميع العقلاء وبعد ذكر خطئهم الزائد على خطأ المُلْحِدَة والدَهْرِيّة وعلى خطأ المُجْبِرَة القَدَرِيّة وبين ذلك فى عشر مسائل . وبعد حكاية مذاهبهم التى ينقض بعضُها بعضًا وذَكَر منها خمس عشرة خِصْلة ، وبعد ذِكْر موافقتهم للمُلْحِدة والطبيعية فى عَشْر خِصَال ، وبعد ذكر موافقتهم للمجوس والثنوية فى أربع خصال ، وبعد ذكر موافقتهم لليَهُود فى سَبْع خِصَال ، وبعد ذكر موافقتهم للنَصَارى فى خِصْلَتَين ، وبعد ذكر موافقتهم لعَبَدَة الأوثان من الكُفَّار فى خَمْس خِصَال ، وبيَّن جميع ذلك بيانا يُشفى غليل الصدر ويُوَضّح مُلْتَبَسَات الأمور . فقال : ومن ذلك مقالات شاركوا فيها أهل الضلال من غير الأمة وهى سبع عشرة خِصْلة فمنها : أربع خِصَال من مقالات البَاطِنِية ومن جَرَى مَجْرَاهم شاركوهم فيها مع مشاركتهم لهم فى العشر الخصال شاركوا فيها الطبيعية لأن مذهب الكل فى ذلك واحد .

فالأولى من هذه الأربع إنكارهم بعث البهائم يوم القيامة وإنكارهم لذلك ظاهر منهم وفيه رد لما ورد به القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿ وإذا الوُحوش حُشِرَت ﴾ وغير ذلك .

والثانية تأويلهم آيات القرآن الكريم الذى يُخَالف مذهبهم على غير التأويل الصحيح الذى يَشْهَد به الظاهر كما تَفْعَله الباطنية ، وفى ذلك الأدلة ووقوع التلبيس العظيم .

والثالثة قولهم أن الإمام يجب أن يكون أعلم الناس وأَزْهَدَهم وأَشْجَعَهم ،

إلى غير ذلك من الصفات التي يسدون بها باب الإمامة على الناس كما تقوله الباطنية .

والرابعة قولهم بجواز شيء من الكذب نحو أن يُجْلَب به نفع أو يُدْفع به ضَرَر كما تقوله الخَطَّابية ، وهم فرقة تقرب من الباطنية ، بل ربما تقول المطرفية بوجوب شيء من الكذب ويُزيدون على الخطابية في هذا الباب ويخالفون القرآن ويُجَانبُون الإيمان .

ومن ذلك خِصْلَتَان تَمَسْكوا بهما من مذاهب المُشَبِّهة الأولى إيثار التقليد على النظر في الدليل وهذا ظاهر بينهم بل ربما تلزم أحدهم الحجة فلا يدفعها إلَّا بقوله قد كان مشائخنا المتقدمون على هذا المذهب فلا يخرج عنه وهي طريقة المُشَبِّهَة . والثانية قولهم إن أسماء الله هي ذات الله وذلك ظاهر بينهم وهو مذهب الكَرَّامية وهم قوم من المُشَبِّهة فجَعَلُوا لله أسماء معدودة وأبطلوا التوحيد بذلك .

ومن ذلك ثماني خِصَال تمسكوا بها من مقالات المُجْبِرة القَدَرِيَّة . الأولى منها قولهم إن جميع ما وُجِد في المظلوم من الجِرَاح والآلام عند ضرب السيف وطَعْن الرُمْح وما نحو ذلك فِعْل الله لقولهم إن فعل العبد لايعدوه فأضافوا إلى الله الظلم القبيح ووافقوا المُجْبِرة في ذلك .

والثانية قولهم إن الله قد يفعل كثيرا من الكذب الصريح وهو ما يوجد في الكهوف والجبال إذا قال كاذب بقرب بعضها الله ثالث ثلاثة فسمع من جانب الجبل هذا الكلام وهو عندهم فعل الله كما تقول ذلك المجبرة فينسبون إلى الله فعل القبائح .

والثالثة قولهم إن جميع أفعال البَهَائم فعل الله نحو نهاق الحمير ونُبَاح الكلاب وما يُشْبه ذلك فَنَسبُوا إلى الله العَبَث القبيح ووافقوا المُجْبِرَة على ذلك .
الرابعة قولهم إن الله قد قضى على العاصي بفِعْل الواجبات على معنى أنه

أمر بها وهى عندهم معاص باطلة ويكون الله قد قضى بالباطل كما تقوله المجبرة ، تعالى الله الذى لا يقضى إلّا بالحق والعَدْل والإحسان .

والخامسة قولهم إن الله مريد لما حَدَث فى المظلوم من الجراح وضَرْب السيف وطَعْن الرمح من حيث إنه فعله عندهم وكل فِعْل له فهو مُراد له فيكون مريدا للظُلْم على أصلهم الخبيث .

والسادسة نفيهم للعوض على ما أصاب المؤمنين والأطفال من المَضَار فى النفوس والأموال كما تنفيه المجبرة وفى ذلك إضافة الظلم إلى الله .

والسابعة تجويزهم أن يأخذ الله الوَلَد بذَنْب والده كما يقولون فى ضَرْب الله الرق على أولاد المشركين فإنه عندهم عقوبة بذنوب آبائهم ولا عوض للأولاد على ذلك كما تقوله المجبرة ، وفى ذلك إضافة الظلم إلى الله .

والثامنة قولهم إن الله لم يَقْصد كافرا بنِعْمَة أبدًا بل أكثرهم يقول لم يقصد مُسْلِما بذلك أيضا وإنما حَصل ذلك بالفِطْرة والتركيب وإحالة الأجسام بعَضَها لبعض وإذا لم يَقْصد ذلك لم يكن منعما على أحدٍ فهذا أكبر ما ألزمت المجبرة على مذهبهم الفاسد فألزمته الأشعرية منهم وفى ذلك سقوط التعبد عن الكفار لأنهم إذا لم يكن عليهم نعمة لم يجب عليهم شكر ولا عبادة .

ومن ذلك ثلاث خصال من طرائق الخوارج شاركوهم فيها فمنها اعتراضهم على إمام الحق وطعنهم فى سيرته وطلبتهم أن يصير إلى رأيهم فإن امتنع من ذلك نكثوا بيعتهم وخرجوا عن طاعته وقد ظَهَر لنا ذلك منهم فيما بيننا وبينهم كما فعلته الخوارج مع أمير المؤمنين فشاركوهم فى إثم ذلك وعَاره .

والثانية تجويزهم لأنفسهم بتجييش الجيوش لمُحَاربة من تولى من الأئمة والتزم بحَبْل طاعتهم وقد فَعَلوا ذلك بأهل الحجيان والجاهلى كما فعلته الخوارج مع أصحاب أمير المؤمنين .

والثالثة بغضهم لأهل البيت واستخفافهم لحقهم فإنى لا أعلم فرقة من الفرق أشد بُغْضًا لأهل بيت النبوة من تلك الفرقة المُطَرِّفِية وذلك معروف بينهم وهو من طرائف الخوارج . ولا شك أن بغضهم طريق إلى النار ولكنهم قرود لا يَعْقِلُون فكمُلت الخِصال سبعين خِصْلَة من خبائث الخِصَال جمعت المطرفية بينها فكذلك صاروا مخالفين للبرية لأن أحدًا من البرية ما جمع ذلك .
ولما كانت هذه الخصال أخبث خصال الأشرار من تلك الفرق التى ذكرناها صحّ ما قلناه فيهم من أنهم أخذوا من كل مذهب أخبثه فلهذا قُلْنا إنهم قد خرجوا من جُمْلة المسلمين وفَارقُوا أهل ملة الإسلام فلا يَحِلّ مناكحتهم ولا ذبائحهم ولا رطوباتهم ولا تُقْبل شهادتهم ولا يجوز دَفع الزكاة إليهم وغيرهم من حقوق الله إلى أحد منهم ولا يجوز دفنهم فى مقابر المسلمين ولا الصلاة على أحدٍ من موتاهم ويُحْكم فيهم بأحكام الكفار ويُحْكم فى هِجَرِهم وأماكنهم التى غَلَبُوا عليها وحَكَمُوا فيها على ساكنيهم باتباعهم فى مذاهبهم بأحكام دار الحرب ﴿ وسيَعْلَم الذين ظَلَمُوا أى منْقَلَب يَنْقَلِبُون ﴾ وهذا آخر كتاب « الهاشمة لأنف الظُّلال » .

عن (Tritton, A. S., « The Mutarrifiya », *Le Muséon* LXIII (1950), pp. 64 - 67,) .

الملحق السابع
المطرفية في زمن المنصور بالله

ولقد كانت المُطَرِّفِيَّة الشَقِيَّة الكَفَرة الغوية تسَعَّرت نارهم وطَلَع نهارهم وأظهروا الكُفْر فى دار الإسلام ونَسَبُوه إلى العترة الكرام ودَرَّسُوه فى كنائسهم ودعوا إليه نَظْمًا ونثرًا حتى طَبَق مذهبهم كثيرًا من الآفاق وخَدَعُوا الآنام بحب العترة عليهم السلام ، فلم يَزَل عليه السلام ساعيا فى إبادة جُرْثُومَتهم واقتلاع أُرُومتهم أولًا بالدليل والبُرهُان وثانيا بالهِنْدِى والسِنَان ، حتى فَرَّق الله عَزّ وعلا جمُوعَهُم وأَخْرَب رُبُوعهم وحَصَل ذلك على يديه سلام الله عليه . ولقد حُكِيَ أن القاضى العالم شمس الدين جَعْفَر بن أحمد بن أبى يحيى رضى الله عنه ، رأى فى النوم أنه كتب مذهب المُطَرِّفِيَّة فى لوحٍ أعْطَاه شريفًا يَمْحُوه فكان عليه السلام هو الذى طَمَس آثارهم وأباد دِيَارَهم وحَكَم فيهم بالأحكام النبوية من القتل وسبى الذرية وأجْراهم مجرى الحربيين عملا بما انعقد عليه إجماع الصحابة الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين بعد الرسول ﷺ من قتل بنى حَنِيفة وغيرهم وسبى ذَرَاريهم وتَغَنُّم أموالهم لأنهم كَفَروا بعد الإسلام وصَارَت لهم شوكة فانتقل حكمهم إلى حكم الحربيين ، وأين الأمر من الأمر إنما كَفَرَت بنو حنيفة بأمور يسيرة والمُطَرِّفِيَّة كفرت بأشياء يطول ذِكْرُها . وهى إنكارهم أن يكون الله تعالى يُمْرِض عباده ويُسْقِمهم ويُؤْلِمهَم ويمُيت الأطفال الصغار وغير ذلك من كُفرهم ، وأنكروا أن يَقْصِد الله تعالى بالصَّوَاعق والبَرَد المُسْلِمين وزَعَمُوا أن ذلك إنما يقع على وَجْه المُصَادَفَة لا بِقَصْد من الله وإرادة . فحَكَّمَهم عليه السلام إلى الكتاب الكريم والسنة فحكما له عليهم بالقتل وتَغَنّم الأموال ، فأعمل فى هامهم الصفاح وثَقَّف لنحورهم الرماح وقاد

إليهم الجنود بعد الجنود ، ونَظَم إليهم حينًا بعد حين العسكر المَحْشُود حتى نال المراد وأرضى رب العباد . ولقد خَرَج ببركته من الكفر إلى الإسلام خلق لا يُحْصيهم عددًا إلَّا الله تعالى وهى قبائل ضَخْمَة كانت تَدِين بدين المطرفية ، أقماها الله تعالى ، فشَمَلتهم بَركَته فتابوا إلى الله تعالى وصَارُوا سيوفًا على المطرفية الشقية وأضْحَى مذْهَبهم بعد تلك النَضَارة والبهجة التى كانت له عند الناس ذاويا بعد أن كان عندهم عاليًا ساميا ، وكان ذلك بحَمِيد سعيه ولَطِيف تدبيره ، سلام الله عليه بعد توفيق الله تعالى ، وكذلك الجَبْرية القَدَرِية فإنه عليه السلام أجْرَى فيهم ما أجراه على المطرفية من القَتْل وسَبْى الذرية لقضائهم بقدم القرآن ، فخرجوا بذلك عن التوحيد ومن خرج عن التوحيد كان كافرًا وكذلك فإنهم حملوا على الله تعالى الكذب والظلم والجور وسائر القبائح وأخْرَجوه تعالى عن أن يكون حكيمًا ومن قضى بأنه ليس بحكيم ولا عَدل فلا شُبْهَة فى كفره فكذلك إذا قضى بأنه يفعل سائر القبائح وفنون الفضائح وقالوا بأنه تعالى يُريد الفَوَاحش وكافة القبائح ومن الظلم والعبث وأنواع الكفر وهذا مذهب المشركين الذى حكاه الله تعالى بقوله حاكيا ﴿وقالوا لو شَاءَ الرَحْمَـٰن ما عَبَدْنَاهم مالَهُم بذلك من عِلْم إن هُم إلا يَخْرُصُون﴾ وقال ﴿ سيَقُول الذين أشْرَكُوا لو شاء الله ما أشْرَكنْا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قَبْلهم حتى ذَاقُوا بأسَنا قل هل عندكم من علم فتُخْرِجُوه لنا إن تَتَّبِعون إلَّا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ فلما تَحَقَّق عليه السلام كُفْرَهُم علم جواز قتلهم وسبى ذراريهم وبغنم أموالهم . وابْتُلِى عليه السلام بحَرْب العَجَم والعَرَب من أهل المذاهب الردية وغيرهم من طُغَاة البرية فشَفَى اللهُ به قلوب المؤمنين وكَثَّر به سواد المسلمين .

(من ترجمة الإمام المنصور عبد الله بن حمزة فى الحدائق الوردية ورقة ١٨٨ مخطوطة المتحف البريطانى رقم ٥٣٣) .

الملحق الثامن
مؤلفات فى الرّد على المطرفية

	الكتاب	مكان النسخة
١ –	« أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية وأحكامها وغير ذلك » لم يعلم مؤلفها	المتحف البريطانى ٢١٠
٢ –	«رسالة التوقيف على توبة أهل التطريف» لعبد الله بن زيد العنسى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ	برلين ١٠٢٩١
٣ –	« الرسالة الحاكمة بتحريم مناكحة الفرقة المطرفية » لعبد الله بن زيد العنسى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ	برلين ١٠٢٨٨
٤ –	« رسالة فى الرد على المطرفية » لجعفر بن أحمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٣ هـ	دار الكتب ٢١٥٣ (ميكرو فيلم)
٥ –	« الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة فى الكلام على المطرفية » . للمنصور بالله عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ هـ	(الحدائق الوردية : ٢ : ١٦٦)

٦ - « الرسالة المبهجة فى الرد على الفرقة الضالة المتلجلجة » .
لأبى الفتح ناصر بن الحسين الديلمى . (نفسه)

٧ - « الرسالة الناطقة بضلال المطرفية الزنادقة »
لم يعلم مؤلفها . برلين ١٠٢٨٩

٨ - « الرسالة الناعية على مصارمة الكفار من المطرفية الكفرة الأشرار » .
لم يعلم مؤلفها . برلين ١٠٢٩٠

٩ - « الرسالة الهادية بالأدلة البادية فى بيان أحكام أهل الردة فى زمن مولانا ومالكنا الإمام الأجل المنصور بالله » . المتحف البريطانى ٢١٠

١٠ - « الرسالة الواضحة الصادقة فى تبيين ارتداد الفرقة المارقة المطرفية الطبيعية الزنادقة »
للمتوكل على الله أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٥٦٦ هـ (الحدائق الوردية : ٢ : ١٠٨) .

١١ - « شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة »
للمنصور بالله عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ هـ المتحف البريطانى ٢١١

١٢ - « عقائد أهل البيت والرد على المطرفية
لعبد الله بن زيد العنسى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ برلين ١٠٢٩٢

١٣ - « العمدة فى الرد على المطرفية المرتدة » للمتوكل على أحمد بن سليمان المتوفى ٥٥٦ هـ	برلين ٢٠٧٧
١٤ - « الفتاوى النبوية المفصحة عن أحكام المطرفية » ، لعبد الله بن زيد العنسى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ	برلين ١٠٢٨٦
١٥ - « مجموع رسائل السيد حميدان بن القاسم بن حميدان »	المتحف البريطانى٢١٢، ٢١٣ ودار الكتب ٢٢١٩ ميكروفيلم .
١٦ - « المصباح اللائح فى الرد على المطرفية » لعبد الله بن زيد العنسى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ	(طبقات الزيدية ٧٦و)
١٧ - « الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال » . للمتوكل على الله أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٥٥٦	المتحف البريطانى ٢١١



ثبت المصادر والمراجع وبيان طبعاتها

المصادر العربية (*)

ابن االأثير (عز الدين أبو الحسن على بن محمد) المتوفى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م .
« الكامل فى التاريخ » ١ - ١٣ (بيروت ، دار صادر ١٩٦٥ - ١٩٦٧)
« اللّباب فى تهذيب الأنساب » ١ - ٣ ، نشره حُسَام الدين القُدْسِى (القاهرة ، مكتبة القدسى ١٣٥٧ - ١٣٦٩ هـ) .

الأُدْفُوى (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب) المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٦ م .
« الطَالِعُ السَعيد الجَامِع أسماء نجَبَاء الصعيد » تحقيق سعد محمد حسن (القاهرة ، سلسلة تراثنا ١٩٦٦) .

الإسْنَوى (جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن) المتوفى سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م .
« طبقَاتُ الشافعية » ١ - ٢ ، تحقيق عبد الله الجبورى (بغداد ، رئاسة ديوان الأوقاف ١٣٩٠ - ١٣٩١ هـ) .

ابن أَسير (محمد بن محمد بن منصور) المتوفى بعد سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م .
« الجَوْهَرُ الفَرِيد فى تاريخ مدينة زَبِيد » مخطوط بمكتبة المتحف البريطانى برقم ١٣٤٥ .

الأَشْرَف الرسولى (الملك أبو العباس إسماعيل بن الأفضل عباس) المتوفى سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م .

(*) ليس هذا ثبتًا بكل المصادر والمراجع المستخدمة فى الكتاب وإنما أذكر فقط المصادر والمراجع التى استخدمت دائمًا فيه . أما المصادر والمراجع التى استخدمت مرة واحدة أو ذكرت لزيادة توضيح مسألة فقد ذَكَرْت كل المعلومات الببلوجرافية الخاصة بها فى موضعها .

« فَاكِهَةُ الزمن ومُفَاكَهَة ذوى الآداب والفِطَن فى أخبار من مَلَك اليمن » مخطوط بالمكتبة التيمورية برقم ١٤٠٩ تاريخ .
الأَشْعَرى (أبو الحسن على بن إسماعيل) المتوفى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٢٦ م .
« الإبَانَة عن أصُول السنة والديانة » القاهرة ١٣٤٨ هـ .
« مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » تحقيق هلموت ريتر (النشرات الإسلامية ١ ، إستامبول ١٩٦٣) .
ابن أَيْبَك الدَوَادَارِى (أبو بكر عبد الله بن أيبك) المتوفى بعد سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م .
« كَنْزُ الدُرَر وجَامِعُ الغُرَر » ج ٦ المسمى « الدرَّة المُضِيّة فى أخبار الدولة الفاطمية » تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة ، المعهد الألمانى للآثار ١٩٦١) .
بَامَخْرَمَة (أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله) المتوفى سنة ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م .
« تاريخ ثغر عدن » ١ - ٣ ، حققه أوسكر لوفجرين (ليدن ١٩٣٦)
« قِلَادَةُ النَحْرِ فى وفيات أعيان الدهر » مخطوطة فى مكتبة يكنى جامع فى إستامبول برقم ٨٨٣ (مصورة فى دار الكتب المصرية برقم ١٦٧ تاريخ) .
البُخَارِى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) المتوفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .
« التاريخ الكبير » ١ - ٤ ، حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٦١ - ١٣٧٧ هـ .
البَغْدَادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر) المتوفى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م .
« الفَرْقُ بين الفِرَق » (القاهرة ١٩٤٤) .
البَلخِى (أبو القاسم عبد الله بن أحمد الكَعْبى) المتوفى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م
« المقالات » = « مقالات الإسلاميين » مخطوطة فى مكتبة السيد على بن إسماعيل المؤيد .
الجِنْدَارِى (أحمد بن عبد الله) المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م .
« تراجم الرجال المذكورين فى شرح الأزهار » (القاهرة ١٣٥٧ هـ) .
الجَنَدِى (بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف) المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م
« أخبار القرامطة باليمن » قطعة من كتاب السلوك أعاد نشرها حسن سليمان محمود مع كتاب « تاريخ اليمن » لعمارة (القاهرة ١٩٥٧) .
« السلوك فى طبقات العلماء والملوك » مخطوطة بمكتبة كوبريلى بإستامبول برقم

١١٠٧ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٦٩٨ تاريخ) .
ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازى) المتوفى سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م .
« آداب الشافعي ومناقبه » تحقيق عبد الغنى عبد الخالق (القاهرة ١٩٥٣) .
« الجَرْح والتعديل » ١ - ٤ ، حيدر آباد - الدكن - الهند ١٩٥٢ - ١٩٥٣ .
حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى) المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م .
« كَشْفُ الظنون عن أسامى الكُتُب والفنون » ١ - ٢ (إستامبول ٤١ - ١٩٤٣) .
الحَاكِم الجُشَمى (أبو سعد المُحَسِّن بن محمد بن كَرَّامَة) المتوفى سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠١ م .
« شرح عيون المسائل » مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .
« العيون » مخطوط بمكتبة الأمبروزيانا برقم D 446
الحَامِدِى (إبراهيم بن الحسين) المتوفى سنة ٥٥٧ / ١١٦٢ م .
« كَنْز الولد » تحقيق مصطفى غالب (النشريات الإسلامية ٢٤ ، بيروت ١٩٧١) .
الحَامِدِى (حاتم بن إبراهيم بن الحسين) المتوفى سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م .
« تُحْفَةُ القلوب وترتيب الهداة والدعاة فى الجزيرة اليمنية » مخطوطة عباس همدانى وقسم متضمن فى كتاب « الأزهار » للحسن بن نوح نشره صمويل شتيرن Stern, S., *Oriens* IV (1951), pp. 233 - 234
الحَبْسِى (يحيى بن على بن محمد) المتوفى سنة ١١٠٤ هـ / ١٦٩٢ م .
« تتمة الإفادة لتاريخ الأئمة السادة » الكتاب الثانى فى مجموعة مخطوطة بمكتبة برلين برقم ٩٦٦٥ .
ابن حَجَر العَسْقَلَانى (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على) المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م .
« تَهْذِيب التَهْذِيب » ١ - ١٢ ، حيدر آباد - الدكن - الهند ١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ .
« رَفْعَ الإصر عن قضاة مصر » ١ - ٢ تحقيق حامد عبد المجيد وآخرين

(القاهـرة - الإدارة العامـة للثقافـة ، وزارة التربيـة والتعـليم ١٩٥٧ - ١٩٦١) .

ابن حَمَّاد (أبو عبد الله محمد بن على بن حماد) المتوفى بعد عصر الموحدين وقبل ابن خلدون) .
« أخبار ملوكِ بنى عبيد »
Histoire des rois Obaidites, les Califes Fatimides, ed. et tr. par M. Vonderheyden
(Publ. de la Faculté de Lettres d'Alger, 1927 .

حَمِيد المَحَلِّى (حميد بن أحمد بن محمد الشهيد) المتوفى سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م .
« الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية » ١ - ٢ مخطوطة بالمتحف البريطانى برقم ٥٣٣ (مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٨٦٧ تاريخ) .

ابن حَوْقَل (أبو القاسم محمد بن حوقل) المتوفى بعد سنة ٨٦٧ هـ / ٩٧٧ م .
« صورة الأرض » نشره J.H. Kramers (ليدن ١٩٣٨ - ١٩٣٩) .

ابن خُرْدَاذْبَة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) المتوفى فى حدود سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م .
« المسالك والممالك » نشره De Goege (ليدن ١٨٨٩) .

الخَزْرَجى (موفق الدين أبو الحسن على بن أبى بكر) المتوفى سنة ٨١٢ هـ / ١٤١٠ م
« الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من ملوك الإسلام »
مخطوط بمكتبة خدا بخس بتنة بالهند برقم ٢٨٨٣ تاريخ (مصور بمعهد المخطوطات العربية برقم ١١٨٢ تاريخ) .

الخَطِيبُ البَغْدَادى (أبو بكر أحمد بن على) المتوفى سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م .
« تاريخ بغداد » ١ - ١٤ (القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٣١) .

ابن خَلِّكَان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) المتوفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م
« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١ - ٨ تحقيق إحسان عباس (بيروت دار الثقافة ١٩٦٩ - ١٩٧٢) .

ابن الدَّيْبَع (وجيه الدين عبد الرحمن بن على الشَّيْبَانِى) المتوفى سنة ٩٤٤ هـ / ١٥٣٣ م
« قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون » مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٤

تاريخ ، ونشرة محمد بن على الأكوع (القاهرة ١٩٧٧) .
الذَّهَبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن قَايْمَاز) المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م
« تذكرة الحفاظ » ١ - ٤ حيدر آباد الدكن - الهند ١٩٥٥ - ١٩٥٨ .
« العِبَر فى خبر من غبر » ١ - ٥ تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد (الكويت ، سلسلة التراث العربى ١٩٦٠ - ١٩٦٦) .
« ميزان الاعتدال فى نقد الرجال » ١ - ٤ تحقيق على محمد البجاوى (القاهرة ، مط . عيسى البابلى الحلبى د . ت .) .
الرَّازى (أبو العباس أحمد بن عبد الله) المتوفى بعد سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م
« تاريخ مدينة صَنْعَاء » تحقيق عبد الجبار زكَّار وحسين العمرى (دمشق ١٩٧٤) .
ابن أبى الرجال (صفى الدين أحمد بن صالح بن محمد) المتوفى سنة ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م
« مَطْلَعُ البُدُور ومَجْمَعُ البُحُور » ١ - ٤ مخطوطة فى مكتبة رضا رامبور بالهند برقم ٢٢٤ (مصورة فى دار الكتب المصرية برقم ٤٣٢٢ تاريخ) .
الرشيد بن الزبير المتوفى سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م .
« الذخائر والتحف » تحقيق محمد حميد الله (الكويت ، سلسلة التراث العربى ١٩٥٩) .
سِبْط ابن الجَوْزِى (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغْلى) المتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م .
« مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » مخطوطة مصورة فى دار الكتب المصرية برقم ٥٥١ تاريخ .
السُّبْكِى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على) المتوفى سنة ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م .
« طبقات الشافعية الكبرى » ١ - ١٠ تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو (القاهرة ، مط . عيسى الحلبى ١٩٦٣ - ١٩٧٦) .
السجلات المستنصرية = «سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، إلى دعاة اليمن وغيرهم ، قدس الله أرواح جميع

المؤمنين » تحقيق عبد المنعم ماجد (القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٤) .

السَّخاوى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) المتوفى سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م .

« الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ » نشره فرانز روزنتال ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين (ترجمة صالح أحمد العلى ، بغداد ١٩٦٣ ، ص ٣٧١ - ٧٢٥) .

ابن سَعْد (محمد بن سعد بن منيع الزهرى ، كاتب الواقدى) المتوفى سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م .

« الطبقات الكبرى » ١ - ٨ (بيروت ، دار صادر ١٩٥٧ - ١٩٥٨) .

ابن سَمُرَة (عمر بن على بن سمرة الجعدى) المتوفى بعد سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م

« طبقات فقهاء اليمن » تحقيق فؤاد سيد (القاهرة ، مط . السنة المحمدية ١٩٥٧) .

السَّمْعَانى (عبد الكريم بن أبى بكر بن محمد) المتوفى سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م

« الأنساب » (*GMS* XX, Leiden 1912 - with qn Introduction by Margoliouth)

ابن شاكر الكُتُبى (صلاح الدين ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن) المتوفى سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م

« فوات الوفيات » ١ - ٥ تحقيق إحسان عباس (بيروت ، دار صادر ١٩٧٤) .

الشَرَجى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد) المتوفى سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م .

« طَبَقَاتُ الخَوَّاص أهل الصدق والاخلاص » (القاهرة ، المطبعة الميمنية ١٣٢١ هـ) .

الشَّهْرِسْتَانِى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م .

« المِلَل والنحل » نشره وليم كورتون (لندن ١٨٤٦) .

الصَّابى (أبو إسحاق إبراهيم بن هلال) المتوفى سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ هـ .

« المنتزع من الجزء الأول من الكتاب المعروف بالتاجى فى أخبار الدولة الديلمية » ، حققه محمد صابرخان (طهران ١٩٧٦) .

الصَّفَدِى (صلاح الدين خليل بن أيبك) المتوفى سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م

« الوافى بالوفيات » ١ - ٩ و ١٥ تحقيق مجموعة من العلماء (النشرات الإسلامية ٦ ، إستامبول - بيروت ١٩٤٩ - ١٩٧٩) .

ابن الصَّيْرَفى (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن مُنْجِب) المتوفى سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م .

« الإشارة إلى من نال الوَزَارة » تحقيق عبد الله مخلص *BIFAO* 25 (1924) pp. 42 - 112; 26 (1925), pp. 49 - 70

طَاشْكُبْرى زَادَة (عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى) المتوفى سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦١ م .

« مُفْتَاح السَعَادَة ومِصْبَاحُ السيادة » ١ - ٣ حيدرآباد الدكن - الهند ١٣٥٦ هـ .

الطَبَرى (أبو جعفر محمد بن جرير) المتوفى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م .

التاريخ = « أخبار الرسل (الأمم) والملوك » ١ - ١٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٠ - ١٩٦٩) .

ابن ظَافِر (جمال الدين على بن ظافر الأزدى) المتوفى سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م .

« أخبار الدول المنقطعة » دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب أندرية فريه (المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٢) .

ابن عبد المجيد (تاج الدين عبد الباق بن عبد المجيد) المتوفى سنة ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م .

« بَهْجَةُ الزمن فى تاريخ اليمن » نشره مصطفى حجازى (القاهرة ١٩٦٥ م) .

ابن عِذَارِى المَرَّاكِشِى (أبو عبد الله محمد بن محمد) المتوفى نحو سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م .

« البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب » ١ - ٤ تحقيق ج . س . كولان وإ . ليفى بروفنسال (ليدن ١٩٤٨) .

أبو العلاء المعرى = المعرى

ابن العِمَاد (عبد الحى بن أحمد بن محمد الحَنْبَلى) المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م .

« شَذَرَاتُ الذهب فى أخبار من ذهب » ١ – ٨ نشره حسام الدين .

عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله الأنف المتوفى سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م .

عيون الأخبار = « عيون الأخبار وفنون الآثار فى ذكر النبى المصطفى المختار ، ووصيتة على بن أبى طالب قاتل الكفار وآلهما الأئمة الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار » الجزء السابع (مخطوطة بمكتبة عباس همدانى أطلعنى عليها) .

نزهة الأفكار = « نُزْهَةُ الأفكار وروضة الأخبار فى ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار » (مخطوطة بمكتبة عباس همدانى أطلعنى عليها) .

العِمَاد الأصفهانى (أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبو الفرج الكاتب) المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م .

« خَرِيَدةُ القَصْر وجَرِيَدةُ العَصْر » قسم شعراء مصر ، ١ – ٢ ، تحقيق أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس (القاهرة ١٩٥١) .

قسم شعراء الشام ، ج ٣ تحقيق شكرى فيصل (دمشق ، المجمع العلمى العربى ١٩٦٤) .

عماد الدين الأصفهانى (؟)

« البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان » حقَّقه كلود كاهن .

Cahen Cl., « Une chronique Syrienne du VI/XII siécle », *BEO* VII - VIII (1937 - 38), pp. 113 - 158 .

عُمَارَة اليمنى (نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على الحكمى) المتوفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

« تاريخ اليمن » نشره حسن سليمان محمود (القاهرة ، مكتبة مصر ١٩٥٧) .

« النُكَتُ العصرية فى أخبار الوزارة المصرية » تحقيق هرتويج درنبرغ (شالون ١٨٩٧) .

العَيْدَرُوس (محيى الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله) المتوفى سنة ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م .

« النور السافر عن أخبار القرن العاشر » صحَّحَه وضَبَطَه محمد رشيد الصَفَّار

(بغداد ١٩٣٤ م) .

الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد المكى) المتوفى سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م .
« العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين » ١ - ٧ حققه فؤاد سيد (القاهرة مط . السنة المحمدية ١٩٥٩ - ١٩٦٧) .

أبو الفِدا (المؤيد إسماعيل بن على ، صاحب حماة) المتوفى سنة ٣٣٢ هـ / ١٣٣١ م
« المختصر فى أخبار البشر » ١ - ٤ (مصر ١٣٢٥ هـ) .

ابن الفُرَات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) المتوفى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م
« تاريخ الدول والملوك » مخطوط فى مكتبة فينا برقم ٨١٤ (مصورة فى المكتبة التيمورية برقم ٢١١٠ تاريخ) .

أبو الفرج الأصفهانى (على بن الحسين بن محمد) المتوفى سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م
« مقاتل الطالبيين » تحقيق السيد أحمد صقر (القاهرة ١٩٤٩) .

القاضى عبد الجبار (عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد) المتوفى سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م .
« تثبيتُ دلائل النبوة » تحقيق عبد الكريم العثمان (بيروت ١٩٦٦) .
« فَضْلُ الاعتزال وطبقات المعتزلة » تحقيق فؤاد سيد (تونس ، الدار التونسية للنشر ١٩٧٤) .

القاضى النعمان (النعمان بن محمد بن منصور بن حيُّون) المتوفى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م
افتتاح = « رسالة افتتاح الدعوة » تحقيق وداد القاضى (بيروت ١٩٧١) .

ابن أبى القبائل (محمد بن مالك الحمادى) المتوفى نحو سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م
كشف = « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » نشره عزت العطار الحسينى مع مقدمة للشيخ محمد زاهد الكوثرى فى مجلد واحد مع كتاب « التبصير فى الدين » **للإسفراينى** (القاهرة ١٩٥٩) .

ابن القَطَّان (.. ابن أبو الحسن على بن محمد الكُتامى) عاش فى القرن السابع .
جزء من كتاب « نَظْم الجُمَان » حقَّقَه محمود على مكى (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس - الرباط د . ت .) .

قُطْبُ بن سليمان (قطب الدين بانْ بن سليمان برهانبورى) عاش فى القرن الثانى عشر .
« مُنْتَزع الأخبار فى أخبار الدعاة الأخيار » ج ٢ مخطوطة بالمكتبة الأصفية بالهند برقم ٢٥٢٣ تاريخ مصورة بمعهد المخطوطات برقم ١٢٦١ تاريخ .

القِفْطى (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف) المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م
« أنباه الرواة على أنباه النحاة » ١ - ٤ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ - ١٩٧٣) .

القَلْقَشَنْدى (أحمد بن على بن أحمد الفزارى) المتوفى سنة ٨٢١ هـ / ١٤٨١ م
« صُبْح الأعشى فى صناعة الإنشا » ١ - ١٤ (القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩١٢ - ١٩٣٨) .

ابن القَلَانِسِى (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمى) المتوفى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م
« ذَيل تاريخ دمشق » حققه آمدروز (بيروت ١٩٠٨) .

ابن القُمّ (أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد) المتوفى سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م
« مجموعة رسائل كتبها بلسان الصليحيين إلى الفاطميين فى مصر وغيرهم » (مخطوطة عباس همدانى وأمدنى بصورة منها) .

ابن مَاكُولَا (أبو نصر على بن هبة الله) المتوفى سنة ٤٧٥ هـ / ١٠٩٥ م .
« الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب » ١ - ٣ حيدر آباد - الدكن - الهند ١٩٦٢ - ١٩٦٣ .

ابن المُجَاوِر (... بن محمد بن مسعود بن على النَّيْسَابُورى) كان حيا سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م .
« صِفَةُ بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز » المعروف بتاريخ المستبصر حققه أوسكر لوفجرين (ليدن ١٩٥١) .

المَجْدُوع (إسماعيل بن عبد الرسول الآجينى) من علماء الإسماعيلية فى القرن ١٢ هـ
« فهرسة الكتب والرسائل ولمن هى من العلماء والأئمة والحدود والأفاضل » حققه علينقى منزوى (طهران ١٩٦٦) .

مجهول المؤلف
« العيون والحدائق فى أخبار الحقائق » ج ٣ نشره دى خويه (ليدن ١٨٧١) ج ٤ نشره عمر السعيد (المعهد الفرنسى للدراسات العربية ، دمشق ١٩٧٢ - ١٩٧٣) .

أبو المَحَاسن (جمال الدين يوسف بن تَغْرِى بَرْدِى) المتوفى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م
« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ١ - ١٢ (القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٩ - ١٩٥٥) .

محمد بن حاتم اليَامِى (بدر الدين محمد بن حاتم) المتوفى بعد سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٣ م .
« السِّمْطُ الغَالِى الثَمَنِ فى أَخْبَارِ المُلُوكِ من الغُزّ باليمن » حققه ركس سميث (GMS XXVI, 1974)

محمد بن محمد اليمانى ، عاش أواسط القرن الرابع الهجرى .
سيرة جعفر الحاجب = « سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سَلَمْيَة إلى سِجِلْمَاسَة وخروجه منها إلى رقادة » تحقيق و . ايفانوف (مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية ٤ (١٩٣٦) ١٠٧ - ١٣٣ .

ابن المُرْتَضَى (أحمد بن يحيى بن المرتضى) المتوفى سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٧ م .
« المنية والأمل شرح الملل والنحل » مخطوط بمكتبة أحمد الثالث برقم ١٨٦٨ .
« طبقات المعتزلة » تحقيق سوسنة ديفيلد فلرز ، النشرات الإسلامية ، ٢١ (بيروت ١٩٦١) .

المَسْعُودى (أبو الحسن على بن الحسين) المتوفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م
« مُرُوجُ الذهب ومَعَادِن الجَوْهَر » ١ - ٨ طبعة بربية دى مينار وبافيه دى كورتاى وتصحيح شارل بلا (بيروت - الجامعة اللبنانية ١٩٧٠ - ١٩٧٤) .

مُسَلَّم اللَّحْجى (مُسَلَّم بن محمد بن جعفر اللحجى) المتوفى سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م .
« تاريخ مسلم اللحجى » مخطوطة باريس رقم ٥٩٥٢ .
« كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية فى اليمن » مخطوطة برلين رقم ٩٦٦٤ .

المَعَرِّى (أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخى) المتوفى سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م .
« رسالة الغفران » تحقيق بنت الشاطئ (القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٩)

المَقْدِسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البَشَارى) المتوفى نحو سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م .

« أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ، نشرة دى خوية (ليدن ١٩٠٦) .

المَقْريزى (تقى الدين أحمد بن على) المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م .

اتعاظ = « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » ١ - ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد حلمى محمد أحمد (القاهرة ١٩٦٧ - ١٩٧٣) .

« إغاثة الأمة بكشف الغمة » تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٤٠) .

الخطط = « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ١ - ٢ (بولاق ١٢٧٠ هـ) .

« الذهب المسبوك فى ذكر من حَجَّ من الخلفاء والملوك » تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٥٥) .

« المقفى الكبير » مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٢١٤٤ (مصور بدار الكتب المصرية برقم ٥٣٧٢ تاريخ) .

المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م .

« ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة » تقديم وتحقيق محمد كامل حسين (القاهرة ، دار الكاتب المصرى ١٩٤٩) .

« سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة - ترجمة حياته بقلمه » تقديم وتحقيق محمد كامل حسين (القاهرة ، دار الكاتب المصرى ١٩٤٩) .

ابن مُيَسَّر (تاج الدين محمد بن يوسف بن جَلَب رَاغِب) المتوفى سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٣٨ م .

« المنتقى من أخبار مصر » حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨١ .

ناصر خسرو المتوفى بعد سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م .

« سَفَرْ نَامَهْ » ترجمة يحيى الخشاب (بيروت ، دار الكتاب الجديد ١٩٧٢) .

الناطق بالحق (أبو طالب يحيى بن الحسين البَطْحَانى) المتوفى سنة ٤٢٤ هـ / ١٠٣٢ م .

« الإفادة فى تاريخ الأئمة السادة » مخطوطة برلين رقم ٩٦٦٥ .

ابن النديم (محمد بن إسحاق) المتوفى سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م تقريبا .
« الفهرست » (القاهرة ، المطبعة التجارية ١٣٤٨ هـ) .

نَشْوَان الحِمْيَرى (نشوان بن سعيد بن سلامة) المتوفى سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م .
« الحور العين » تحقيق كمال مصطفى (القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٤٨) .

النُوَيْرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) المتوفى سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م .
« نهاية الأرب فى فنون الأدب » مج ٢٦ مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ معارف عامة .

الهَمْدَانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) المتوفى بعد سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م .
« صِفَةُ جزيرة العرب » تحقيق محمد بن على الأكوع (بيروت ١٩٧٣) .

ابن الوزير (أحمد بن عبد الله بن الوزير) المتوفى سنة ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م .
تاريخ بنى الوزير = « تاريخ السادات العلماء الكمَّل النبلاء » مخطوطة بمكتبة رضا رامبور بالهند برقم ٣٦٨٤ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٩٥٦ تاريخ) .

اليَافِعِى (عبد الله بن أسعد بن على) المتوفى سنة ٧٦٨ هـ / ١٢٦٦ م .
« مرآة الجنان وعبرة اليقظان » ١ - ٤ حيدرآباد الدكن - الهند ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ .

ياقوت الحَمَوِى (ياقوت بن عبد الله الرومى) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م .
« معجم الأدباء » ١ - ٢٠ نشرة أحمد فريد رفاعى (القاهرة ١٩٣٦) .
« معجم البلدان » ١ - ٦ تحقيق وستنفلد (ليبتسج ١٨٦٦ - ١٨٧٠) .

يحيى بن الحسين بن المنصور بالله القاسم بن محمد المتوفى نحو سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م .
« أنباء الزمن من أخبار اليمن » القسم الأول من سنة ٢٨٠ إلى سنة ٣٢٢ هـ ، حقَّقَه محمد عبد الله ماضى (برلين - ليبتسج ١٩٣٦) ومخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ تاريخ .
« طبقات الزيدية » المعروف بالمستطاب فى تراجم رجال الزيدية الأطياب

(مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٥٦٣٢ ح).
« غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى » ١ - ٢ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة ١٩٦٨) .

يحيى حميد (يحيى بن محمد بن الحسن المَذْحَجِى) المتوفى سنة ٩٩٠ / ١٥٨٢ م .
« نُزْهَةُ الأنظار فى ذكر أئمة الزيدية الأطهار » مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم ٩٠ مجاميع (مصورة فى دار الكتب المصرية برقم ٣٥٨ ، ميكروفيلم) .

المراجع العربية

أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى (مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٤) .

إيفانوف ، و : « مذكرات فى حركة المهدى » مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية ٤ (١٩٣٦) ٨٩ - ١٣٣ .

جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، القاهرة ١٩٤٦ .

حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - فى المغرب ، ومصر ، وسورية ، وبلاد العرب (القاهرة ١٩٥٨) .

حسن أحمد محمود : « محنة الشيعة بإفريقية فى القرن الخامس الهجرى » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٢ (١٩٥٠) ٩٣ - ٩٩ .

زَامْبَاوَر ، ادوارد فون : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ١ - ٢ ، ترجمة زكى محمد حسن وآخرين (مط . جامعة فؤاد الأول ١٩٥١ - ١٩٥٢) .

زاهر رياض : « دولة حبشية فى اليمن - دولة بنى نجاح » ، المجلة التاريخية المصرية ٨ (١٩٥٩) ١٠١ - ١٣٠ .

زُهْدِى حسن جار الله : المعتزلة (القاهرة ١٩٤٧) .

سرور ، محمد جمال الدين : سياسة الفاطميين الخارجية (القاهرة ١٩٦٧) .

الشَّيَّال ، جمال الدين : مجموعة الوثائق الفاطمية (الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٥٨) .

فلهوزن : أحزاب المعارضة السياسية فى صدر الإسلام : الخوارج والشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، الكويت ١٩٧٥ .

تاريخ الدولة العربية ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٦٨ .

لويس ، برنارد : أصول الإسماعيلية (نقله إلى العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب ، وقدَّم له عبد العزيز الدورى) ، بغداد ١٩٤٧ .

ماجد ، عبد المنعم : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر (الإسكندرية ، دار المعارف ١٩٦٨) .

ماضى ، محمد عبد الله : « دولة اليمن الزيدية ، نشأتها - تطورها - علاقاتها » ، المجلة التاريخية المصرية ٣ (١٩٥٠) ١٥ - ٣٥ .

محمد أبو زَهْرَة : الشافعى ، حياته وعصره - آراؤه وفقهه (القاهرة ١٩٤٥)

الإمام زيد ، حياته وعصره - آراؤه وفقهه (القاهرة ١٩٥٩) .

محمد أبو الفرج العش : « مصر ، القاهرة على النقود العربية الإسلامية » ، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة (القاهرة ١٩٧١) ٢ : ٩٥١ .

محمد أمين صالح : دولة الخوارج فى اليمن - بنو مهدى فى زبيد ، المجلة التاريخية المصرية ٢٥ (١٩٧٨) ١٢٧ - ١٤٧ .

محمد عبد العال أحمد : دراسة حول أقوال المؤرخين عن الفتح الأيوبى لليمن » ، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٣ (١٩٦٧) ٣١٩ - ٣٣٨ .

« الفتح الأيوبى لليمن ، نص من مخطوط » ، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٠ (١٩٦٤) ١٣٧ - ١٦٦

محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية (المكتبة التاريخية - ٤ ، القاهرة ١٩٥٩) .

في أدب مصر الفاطمية (القاهرة ١٩٥٠) .
« نظرية المثل والممثول وأثرها في شعر مصر الفاطمية » ، النص العربي للبحث الذي ألقي في مؤتمر المستشرقين الحادي والعشرين المنعقد في باريس في جلسة ٢٩ يولية ١٩٤٨ .

محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الإسلامي (القاهرة ١٩٥٨) .

مصطفى عبد الرازق : الإمام الشافعي (القاهرة ١٩٤٥) .

ناجي حسن : ثَوْرَة زَيْد بن علي (بغداد ١٩٦٦) .

الهَمْدَاني ، حسين : بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها . (بومباى ١٩٣٥) .
الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (القاهرة ١٩٥٥) .

المراجع الأجنبية

Ashtor, E., « The Karimi Merchants », *JRAS* (1956), pp. 45 - 56 .

Ayman Fu'ad Sayyid, « Lumiéres nouvelles sur quelques sources de l'histoire Fatimide en Egypte », *An. Isl.* XIII (1977), pp. 1 - 41 .

Balog, P., « Nouvelles Observations sur la thechnique de Monnayage (Période Fatimide et Ayoubite) », *BIE* XXXIII (1950 - 51), pp. 1 - 42 .

________ ., « Quatre dinars du Khalife Fatimide al-Montazar li-Amr-Illah ou Bi-Amr-Illah (525 - 526 A. H.) », *BIE* XXXIII (1950 - 51), pp. 375 - 78 .

Bikhazi, R., « Coins of al-Yaman (132 - 569 A. H.) », *al-Abḥāṯ* XXIII (1970), pp. 3 - 127 .

Brock., *GAL* = Geschichte der arabischen Litteratur, Bd I - II (Leiden 1943, 49), *S.* = Supplement I - II (Leiden 1937 - 42) .

Canard, M., « L'Autobiographie d'un Chambellan du Mahdi 'Obeidallah

le Fatimide », *Hespéris* 39 (1952), pp. 279 - 329 .

Casanova, P., « Dinars inédits du Yemen », *RN* (1894), pp. 200 - 220
Combe, E. Sauvaget, J. Wiet, G., Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. VIII - IX (*IFAO* 1937) .

EI. = *Encyclopedie de l'Islam* .

Fyzee, A.A.A., « A chronological list of the Imam and Dà'is of the Musta'lian Ismailis » *JBBRAS* X (1934), pp. 8 - 16 .

———— ., A.A.A, « The Study of the Literature of Fatimid Da'wa » in *Arabic and Islamic studies in Honor of Hamilton A.R.Gibb,* edited by Georg Makdes; Leiden 1965, pp. 232 - 249 .

Gatteau, A., « La Sirat Ja'far al-Hâjib, Contribution à l'histoire du Fatimides », *Hespéris* 34 (1947), pp. 375 - 396 .

Goitein, S.D., « New Light on the beginnings of the Kàrim merchants », *JESHO* I (1958), pp. 175 - 184 .

Hamdani, A., *The beginnings of the Ismà'ili Da'wa in Northern India,* Cairo 1956 .

———— ., « Byzantine - Fatimid relations before the battle of Manzikert », Byz. St. I (1974), pp. 169 - 179 .

———— ., « The Dà'i Hàtim ibn Ibràhim al-Hàmidi (D. 596 H./ 1199 A. D) and his book Tuhfat al-Qulúb », *Oriens* 23 - 24 (1970 - 71) pp. 258 - 300 .

———— ., « Evolution of the Organisational Structure of the Fàtimi Da'wah, The Yemeni and Persian Contribution », *Arabian Studies,* III (1976), pp. 85 - 114 .

———— ., « The Fatimid - 'Abbasid conflict in India », *IC* XLI (1967), pp. 185 - 191 .

———— ., « Some aspects of the history of Libya during the Fatimid period » in *Libya in History* (Beirut S. D.), pp. 321 - 344 .

———— ., « Some considerations on the Fatimid Caliphate as a Mediterranean Power, Including an Interpretation of the Fatimid split with the Qarmatians » in *Atti del Terzo Congresso di Studi Arabi e Islamici* (Ravello, Napoli 1967), pp. 385 - 396 .

Hamdani ., H., « The history of the Ismà'ili Da'wat and its literature during

the last phase of the Fatimid Empire », *JRAS* (1932), pp. 126 - 136 .

_______ ., « The Letters of al-Mustansir bi'llah » , *BSOS* VII (1933 - 35), pp. 307 - 324 .

Hollister, J. N. *The shi'a of India* (London 1955).

Idris, H. R., *La Berbérie Orientale sous les Zirides X-XII Siècle Publ. de l'IEO,* Alger 1962 .

Ivanow, W., *Ismaili Literature, A bibliographical survey* (Tehran 1963) .

Jungfleisch, H., « Jetons (ou Poids) en Verre de l'Imàm al - Montazar », *BIE* XXXIII (1950 - 51), pp. 359 - 374 .

Khan, M. S., « The Early History of Zaydi Shi'isme in Daylamân and Gilàn », *ZDMG* 125 (1975), pp. 301 - 314 .

Lewis, B. « An Interpretation of Fatimid history » in *CIHC* (DDR 1973), pp. 287 - 195 .

_______ ., The route to India = « The Fatimid and the route to India », *Revue de la Faculté des Sciences économiques, Uni. d'Istanbul* XI (1949 - 50), pp. 50 - 54 .

Lowick, M., « Some Umpublished Dinars of the Sulayhids and Zuray'ids », *Num. Chr.* IV (1964), pp. 261 - 270 .

Madelung, W., « The'Alid Rulers of Tabaristân, Daylamân and Gīlân » in *Atti del terzo Congresso di Studi Arabi e Islamici,* (Ravello, Napoli 1967), pp. 483 - 492 .

_______ ., « *Der Imam al - Qasim ibn Ibrahim und die Glaubenslehre der Zaiditen* (Berlin 1965).

_______ ., « A Mutarrifi manuscript » in *Procedings of the VIth Congress of Arabic and Islamic Studies,* Stockholm 1972, pp. 75 - 83 .

Pearson, J. D., *Index Islamicus* 1 - 4 (1905 - 1970), Cambridge - london 1958 - 1972 .

Pines, S., « Nathanael ben al-Fayyūmī et la théologie Ismaelienne », Bulletin des études historique Juives I (1946), pp. 5 - 21 .

Poonawala, I. K., *Bibliography of Isma'ili Literature* (California 1977) .

Rogers Bey, E. I., « Notices sur quelques pièces rares et inèdites » *BIE* 2 serie - n 3 (1882), pp. 31 - 39 .

Schneider, M., « Les inscriptions arabes de l'ensemble architectural de Ẓafār Ḏi Bīn au Yeman du Nord », *Comptes rendus de l'Academie des inscriptions et Belles - Lettres* (juillet - Octobre 1979), pp. 556 - 577; *JA* 273 (1985) .

Sezgin, F., *GAS* = Geschichte des arabischen Schrifttums *Bd* I (Leiden 1967) .

Stern, S., « Cairo as the centre of the Isma'ili movement » *CIHC* (DDR 1973), pp. 437 - 450 .

_______ ., *Fatimid Decrees, Original Documents from the Fatimid chancerly* (London 1964).

_______ ., « A Fatimid Decree of the Year 524 / 1130 », *BSOAS* 23 (1960), pp. 439 - 455 .

_______ ., « The Succession of the Fatimid Imam al-Amir, the claims of the later fatimid to the Imamate, and the rise of Tayyibi Ismailism », *Oriens* IV (1951), pp. 193 - 255 .

Strothman, R., « Die Literature der Zaiditen », *Der Islam* I (1910), pp. 354 - 367; II (1911), pp. 48 - 78 .

_______ ., Das Staatsrecht der Zaiditen (Strassburg 1912) .

Tritton, A.S., « The Mutarrifia », Le *Muséon* LXIII (1950) pp. 59 - 67 .

Van Arendonk, C., *Les débuts de l'Imamat Zaidite au Yemen.* traduction française par Jacques Ryckmans (Leyde 1960).

_______ ., « De Jemenitische secte du Mutarrifieten » in *Verslag van het vÿfde Congres Gehonden te Leiden* (Brill 1927), pp. 23 - 24 .

الرموز والاختصارات

ABREVIATIONS

AIEO	= *Annales de l'institut d'Etudes Orientales*
An. Isl.	= *Annales Islamologiques*
BEO	= *Bulletin d'Etudes Orientales*
BIE	= *Bulletin de l'Institut d'Egypte*
BIFAO	= *Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientales* .

BSO (A) S	= *Bulletin of the School of Oriental (and African) Studies*
BYZ. ST.	= *Byzantine Studies*
CIHC	= *Colloque International de l'Histoire du Caire* (DDR 1973)
EI.	= *Encyclopédie de l'Islam*
GAL	= *Geschichte der arabischen litterature*
GAS	= *Geschichte des arabischen Schriftums*
GMS	= *Gibb Memorial Series*
IC	= *Islamic Culture*
IEO	= *Institut d'Etudes Orientales.*
IFAO	= *Institut Français d'Etudes Orientales*
JA	= *Journal Asiatique*
JBBRAS	= *Journal of the Bengal Branch of the Royal Asiatic Society .*
JESHO	= *Journal of the Economic and Social History of the Orient*
JNES	= *Journal of Near Eastern Studies*
JRAS	= *Journal of the Royal Asiatic Society .*
JRCAS	= *Journal of the Royal Center and Asian Society .*
MIFAO	= *Mélanges de l'Institut Français d'Archeologie Orientales .*
MUSJ	= *Mélanges de l'Université Saint - Joseph*
MW	= *Muslim World*
Num. Chr.	= *Numismatic Chronologie*
REI	= *Revue d'Etudes Islamic*
REJ	= *Revue d'Etudes Juives*
RN	= *Revue Numismatique*
SI	= *Studia Islamica*
SNR	= *Sudan Notes and Records*
ZDMG	= *Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft .*

LES DOCTRINES RELIGIEUSES AU YEMEN

DE L'ORIGINE JUSQU'AU VI / XII SIÈCLE

par
AYMAN FU'AD SAYYID
Docteur d'état - es - lettres de la Sorbonne



AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH

رقم الإيداع ٩٠٤٧ / ٨٧

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر — المهندسين — جيزة

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل — أرض اللواء

☎ ٣٤٥١٧٥٦ — ص . ب ٦٣ إمبابة

AVANT - PROPOS

Il s'agit d'un mémoire dont le sujet est : « Les doctrines religieuses au Yémen et leur influence sur la vie intellectuelle et politique au Vé et VIéme siécle de l'hégire » .

J'ai été à choisir ce sujet pour l'affection que je porte à l'histoire du Yémén durant la période islamique; histoire qui nécessite encore de nombreux efforts et de recherches, particuliérement pour l'histoire des doctrines religieuses .

Les historiens yéménites se sont mis d'accord pour diviser le Yémen du point de vue religieux en deux parties : Le bas-Yémen et le haut-Yémen . Le bas-Yémen est dominé par les écoles sunnites et plus particuliérement par l'école Šâfi ite, tandis que le haut - Yémen l'est pour la doctrine zaydite hadawite. La doctrine fatimide l'a emporté dans le centre du Yémen autour de la province de la montagne Haraz .

J'ai divisé ce mémoire en une introduction et trois chapitres . Dans l'introduction, j'ai étudié et critiqué les sources historiques . Dans le premier chapitre dont le titre est « L'Islam sunnite au Yémen au Vé et Viéme siécle de l'Hégire », j'ai étudié l'école Sâfi'ite dans le bas-Yémen et son influence sur la vie intellectuelle en particulier, et aussi l'histoire des dynasties sunnites qui ont régnées à cette époque .

Dans le deuxiéme chapitre dont le titre est « La mission fatimide au Yémen au Vé et VIéme siécle de l'hégire », j'ai étudié la doctrine fatimide et sa propagation dans le centre du Yémen et le succés de ses missionnaires pour établir un état fatimide, attach au Califat fatimide du Caire, il s'agit de l'Etat Ṣulayhide, lequel dirigeait les Missions de l'Inde et de l'Oman .

J'ai consacré le troisiéme chapitre à l'étude de la doctrine zaydite et sa propagation dans le haut - Yémen . Le titre de ce chapitre est : « L'Etat zaydite du Yémen au Vé et VIéme siécle de l'hégire ».

Dans l'introduction, j'ai étudié et critiqué l'importance, l'authenticité et l'enchainement historique des sources. Et comme le

Yémen était partagé entre Sunnites, Fatimides et Zaydites, il en découle que les sources de l'histoire du Yémen sont divisées aussi en trois parties : Sunnites, Fatimides et Zaydites .

J'ai remarqué que :

1°) Ces sources n'abordent que rarement la relation entre les différentes dynasties et les différentes doctrines religieuses du Yémen, excépté lorsque les guerres éclatent entre ces états .

2°) Les sources zaydites ne distinguent pas entre les Imams zaydites du *Djīl* et *Daylam* et entre ceux du Yémen, mais elles les présentent réunis .

Aprés avoir achevé ce mémoire, j'apporte une remarque supplémentaire : L'Islam sunnite n'avait que peu d'influence sur la vie politique, malgré qu'il était la doctrine officielle des dynasties sunnites, mais son influence fut trés importante dans la vie intellectuelle, surtout l'école Safi'ite qui a supplanté les écoles Malikite et Hanifite .

Les savants yéménites Šāfi'it ont composé des livres traitant des principes fondamentaux de leur école en matiére de *fiqh* et en traitant également des branches dérivées de ces principes fondamentaux tout en subissant l'influence des traités des autres écoles sunnites composés en dehors du Yémen .

La situation de la doctrine fatimide était différente, le pouvoir fatimide étant lié étroitement à la mission religieuse, de telle sorte qu'il est devenu difficile de séparer dans cette mission l'histoire religieuse de l'histoire politique .

La Mission fatimide s'est caractérisée pendant la période de l'occultation par l'activité intellectuelle, activité que la mission a bien conservée durant la période de la manifestation et de la puissance et on a vu le dā'ī al-Mu'ayyad fil Din al-Širāzī, quand il aperçut la faiblesse du calife fatimide du Caire al - Mustanṣir, et le commencement de l'influence des ministres, demander au missionnaire du Yémen Lamak b. Mālik, de transférer les livres de la Mission du Caire au Yémen .

Tandis que les Fatimides ont réussi à établir un califat rivalisant evec la califat ʿabbasside, et ont même cherché à le renverser , aux Zaydites, ils n'ont pas essayé. à établir un califat, mais ils se sont contentés de realiser leurs objectifs politiques en créant de petit états qui disposaient chacun de ses propres lois et croyances, d'abord dans le *Djil* et le *Daylam,* puis au Yémen. Et leur influence a été prépondérante sur le Califat abbasside par l'intérmédiaire des Buwayhides durant une longue période .

L'influence de la doctrine Zaydite sur la vie intellectuelle fut grande et les Imams ont joué un rôle considérable dans ce domaine, compte tenu que la doctrine zaydite exige de l'Imam d'être savant, pour tenir le pouvoir religieux et politique. C'est pourquoi les Imams et les savants zaydites ont composé un nombre considérable de livres dans les domaines les plus divers et se sont occupés à consolider leur doctrine et de réfuter les sectes dissidentes .

AYMAN FŪ'ĀD SAYYID

